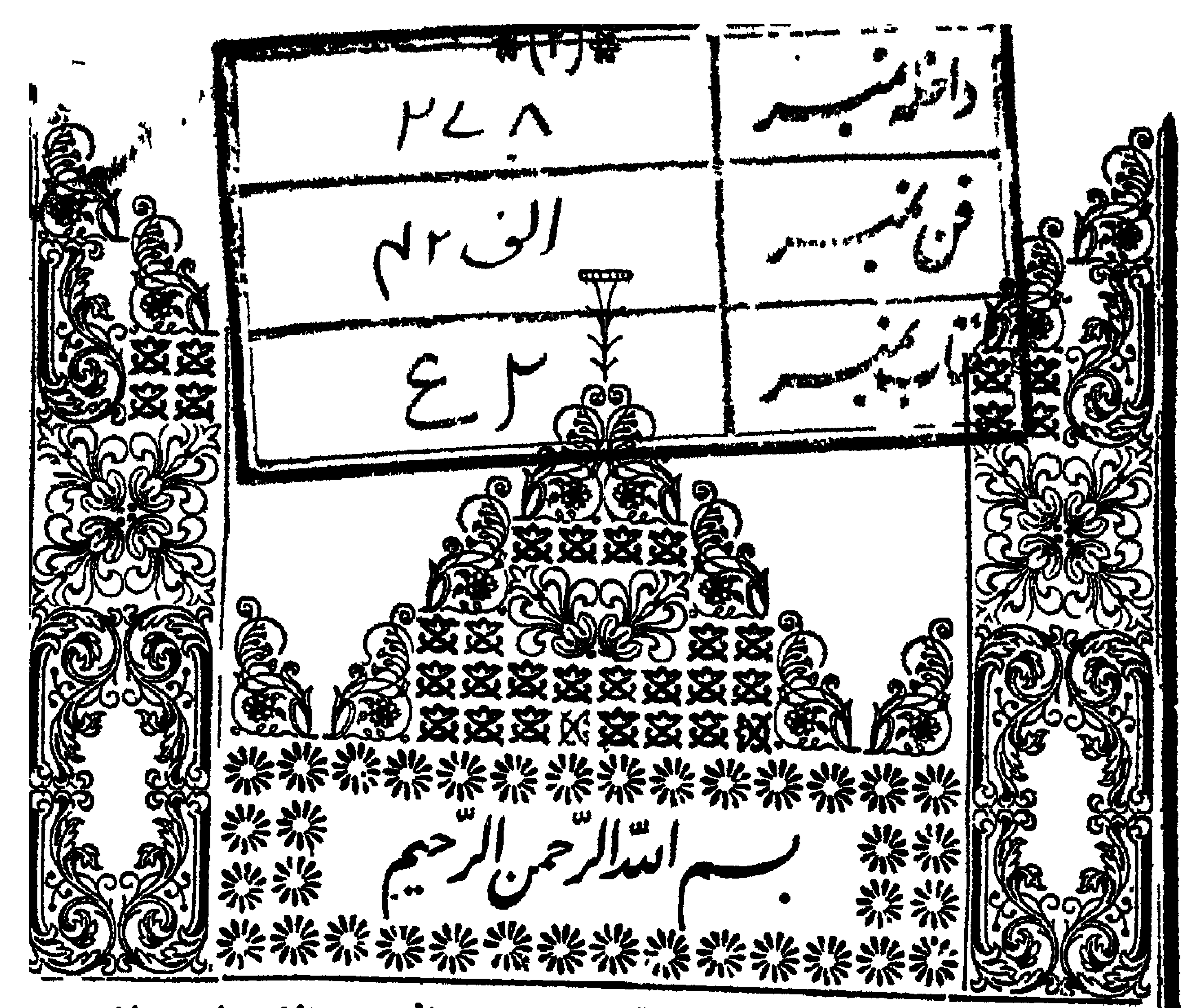
(فهرست بدائع الزهور)

صحيفه		صحيفه	
١٢٣	حديث غرق فرعون فى البحر	١٥٠	ذكر قصة بخت نصر البابلى
١٢٥	حديث قارون وبغيه	١٥١	ذكر قصة العزير
١٢٧	ذكر قصة يوشع عليه السلام	١٥٢	ذكر قصة دانيال عليه السلام
١٢٨	حديث الياس عليه السلام	١٥٣	ذكر قصة لقمان الحكيم عليه السلام
١٣٠	ذكر قصة اليسع عليه السلام	١٥٥	ذكر قصة صاحب الاخدود
١٣٠	ذكر قصة شمعون عليه السلام	١٥٢	ذكر قصة اسكندر ذى القرنين
١٣١	ذكر الخضر عليه السلام	١٦٠	ذكر اخبار ياجوج وماجوج
١٣١	ذكر حرب طالوت مع جالوت	١٦١	ذكر قصة دخول ذى القرنين الى الظلمات
١٣١	قصة النهر وتابوت السكينة	١٦٥	ذكر قصة اهل الكهف رضى الله عنهم
١٣٥	قصة وفاة طالوت وماجرى بينه وبين داود عليه السلام	١٦٩	ذكر قصة نبى الله يونس بن متى عليه السلام
١٣٦	ذكر قصة داود عليه السلام	١٧٣	ذكر قصة كيفية القرعة وسببها
١٣٩	ذكر قصة داود وسليمان فى الحرث	١٧٥	ذكر قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام
١٤٠	ذكر قصة نبى الله سليمان عليه السلام	١٨١	ذكر نزول المائدة لعيسى عليه السلام
١٤٢	ومن النكت الغريبة مانقله عبد الرحمن المقرى	١٨٤	ذكر اخبار نزول عيسى عليه السلام
١٤٣	ومن النكت اللطيفة ماذكره ابن الجوزى	١٨٥	ظهور الدجال عليه اللعنة وظهور المهدى رضى الله عنه
١٤٣	ذكر قصة تزويج سليمان ببلقيس	١٨٦	خروج دابة الارض
١٤٧	ذكر قصة خاتم سليمان بن داود عليه السلام		
١٤٨	ذكر وفاة سليمان عليه السلام		
١٤٩	ذكر خبر بلوقيا وبناء بيت المقدس		

هذا كتاب بدائع الزهور في وقائع
الدهور تأليف الفاضل الهمام
الكامل الشيخ محمد بن
احمد بن اياس الحنفي
رحمه الله تعالى
ونفعنا به



الحمد لله القديم الاول * الازلى الذى لا يتحول * ولا تغيره الدهور والاعصار * ولا يفنيه حدثان الليل والنهار * هو الذى انشأ الوجود من العدم * وقدر ما كان قبل ان يكون فى اللوح والقلم * وخلق آدم وجعل من نسله العرب والعجم * واصطفى منهم نبينا محمدا وكمل به ديوان الانبياء وختم * ونسخ بشريعته جميع الشرائع * واوجب طاعته على الخلائق من عاص وطائع * وجعل دول الاسلام مؤيدة بالخلفاء الراشدين * فهم ظل الله تعالى فى ارضه لكل طائع انتظم فى سلك المهتدين * احمده حمدا يقتضى المزيد من النعم واشهد ان لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه ذو الفضل والكرم * وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين * وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين * وسلم تسليما الى يوم الدين * وبعد فقد الفت هذا التاريخ والسير * فاخترت احسن الاخبار من نفائس الدرر * ليكون نزهة لذوى العقول فللمستخبر ان يسمع وللمؤلف ان يقول * فان فيه من الفوائد الغرائب * ومن المنقول العجائب وقد اوردت فى هذا الكتاب من الوقائع الحميده * واختصرت من الاشياء المسائل المفيده * وابتدات فيه بذكر السموات والارضين وما كان قبل وجود الوجود * واظهار العالم الموجود * من مبدا خلق آدم عليه السلام * وما جاء من نسله من الانبياء الكرام * الى نبينا محمد عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام * وسميته بدائع الزهور * فى وقائع الدهور * والمستعان بالله تعالى فى المبدا والختام * ومن هنا نشرع فى الكلام * قال ابو زيد البلخى مخارج

العلوم اربعة علم رافع وعلم ساطع وعلم نافع وعلم واضع فأما الرافع فهو العلم الشريف من الاحاديث والفقه وأما العلم الساطع فهو علم الادبيات والاخبار الرقيقة وأما النافع فهو علم الطب ومعرفة الحساب وأما العلم الواضع فهو علم الكهنة من السحر وما شبهه فاختر ما تنتفع به دنيا واخرى كما قيل ما حوى العلم جميعا احد * لا ولو مارسه الف سنه

انما العلم كبحر زاخر * فاتخذ من كل شئ احسنه

*(ذكر ما كان فى بدء المخلوقات)

روى الامام احمد فى مسنده عن عامر العقيلى رضى الله عنه انه قال قلت يارسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض قال كان فى غمام فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء قال بعض العلماء الغمام هو السحاب واختلف العلماء فيما خلقه الله قبل العرش روى الترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول شئ خلقه الله تعالى القلم من نور وقيل من لؤلؤة بيضاء طوله ما بين السماء والارض ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من الياقوت الاحمر وطوله ما بين السماء والارض وعرضه من المشرق الى المغرب وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله لوحا احد وجهيه من ياقوتة حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء واقلامه من نور * قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى القلم قبل ان يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر اليه نظر الهيبة فانشق وقطر المداد وقال ابن عباس ان القلم مشقوق ينبع منه المداد الى يوم القيامة ثم قال الله للقلم اكتب فقال القلم يارب وما اكتب قال اكتب علمى فى خلقى بما هو كائن الى يوم القيامة * واخرج سعيد بن منصور ان اول ما كتب القلم انا التواب اتوب على من تاب * واخرج ابن ابى حاتم ان اول ما كتب القلم ان رحمتى سبقت غضبى والاقوال فى ذلك كثيرة والاصح ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ان القلم جرى فى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة وما قدر من خير وشر وسعادة وشقاوة وهو قوله تعالى وكل شئ احصيناه فى امام مبين اى فى اللوح المحفوظ وقال عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف عام وهذا الحديث يدل على تقديم القلم على العرش وانه اول المخلوقات ثم خلق اللوح بعده قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى لوحا من درة بيضاء ينظر فيه كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين نظرة ففى كل نظرة يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعزل ويولى ويفعل ما يشاء الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهو قوله تعالى وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله

بسير *(ذكر خلق العرش)* اخرج ابن ابي حاتم في تفسيره ان الله تعالى خلق العرش
من نوره والكرسي ملتصق بالعرش وحول العرش اربعة انهار نهر من نور يتلألأ ونهر
من نار يتلظى ونهر من ثلج ابيض ونهر من ماء والملائكة قيام في تلك الانهار يسبحون *
وعن ابن ابي حاتم قال خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له اربع قوائم من
ياقوتة حمراء ما بين القائمة الى القائمة مسيرة ثمانين الف عام واتساعها مثل ذلك وهو
كهيئة السرير والقوائم تحملها ثمانية من الملائكة وهو كالقبة على الملائكة والعالم
*وعن ابي حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العرش كان على الماء فلما خلق
الله السموات جعله فوق السموات السبع وجعل السحاب كالغربال للمطر ولولا ذلك
لغرقت الارض ويقال ارتفاع السحاب عن الارض اثنا عشر ميلا * قال عكرمة ان الله
تعالى ينزل المطر من السماء القطرة كالبعير ولولا ان السحاب والرياح تفرقها افسد كل ما
تقع عليه من النبات والبهائم وقد قال الله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرى الآية
(ذكر اخبار المطر) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى وكل بالمطر ملائكة
فلا تنزل قطرة الا ومعها ملك يضعها حيث شاء الله تعالى اما في البر واما في البحر فاذا كان
على الارض انبت الله به الزرع والاعشاب وهو قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء
فأخرجنا به نبات كل شيء وان كان في البحر يخلق الله تعالى منه اللؤلؤ الصغار والكبار
قال ارسطاطاليس ان المطر يقع في البحر المحيط بالدنيا وذلك وقت هبوب الريح الشمالي
فاذا هاج البحر بالامواج نزل من السماء مطر عظيم فيصعد من ذلك البحر صدف على
وجه الماء ويفتح فاه ويلتقم القطرة من المطر كما يلتقم الفرج النطفة فلا يزال الصدف يصعد
الى مواضع في البحر لينعقد المطر فيصير درا فاذا انعقد تغوص الصدفة الى قعر البحر
ويجمعونها في اوعية موضوعة في صدورهم فيصعد بها الغواصون واذا تركت الدرة في
الصدفة وطال مكثها في البحر فسدت وتغير لونها كالثمرة اذا تركت على الشجرة ولم تقطف
في اوانها * وحكي ان اعرابيا قدم الى البصرة ومعه درة نفيسة فأتى بها الى عطار هناك
وسأله ان يشتريها منه فاشتراها منه بأبخس الاثمان ثم ان العطار سأل الاعرابي من اين
وصلت اليك هذه الدرة فقال مررت يوما من الايام بساحل البحر من ارض الصين
فرأيت ثعلبا ميتا وعلى فمه صدفة في جوفها بياض يلمع ووجدت هذه الخرزة الى جانبه
فأخذتها ومضيت والذي يظهر لي من هذه الواقعة ان صدف البحر الذي فيه اللؤلؤ
يخرج من الماء لينتشق الهواء كما هي عادة الصدف فلما مر ذلك الثعلب بساحل البحر رأى
لحمة حمراء في جوف الصدفة وهي فاتحة فاها فوثب عليها الثعلب ليقتلها فادخل فاه في
الصدفة فانطبقت عليه ومن شأنها اذا انطبقت على شيء لا تنفتح ابدا حتى تنشق بالحديد

فلما طبقت على فم الثعلب أخذها فصار يضرب بها فى الارض يمينا وشمالا الى ان مات فخرجت هذه الدرة من جوف الصدفة فربها ذلك الاعرابى فأخذها فلم يعلم قيمتها فكانت من رزق ذلك العطار فباعها بألف دينار وكانت قدر بيضة الحمامة * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ماء المطر من بحر بين السماء والارض وهو كثير المياه وفيه السمك والضفادع وقد نزل فى بعض السنين فى اماكن من الارض مع المطر ضفادع وسمك صغار ومصداق ذلك ما حكى ان ملكا من الملوك اطلق بازيا له فى الفضاء خلف طائر فصعد البازى الى اعلى الجو فغاب عن الاعين ثم رجع وفى رجله سمكة فلما رآها الملك اراد ان يأكلها فأحضر الحكماء واستشارهم فى اكل تلك السمكة فأشاروا عليه فى أكلها فقام من بين الحاضرين شاب صغير وكان له اشتغال بالعلم فى وسط المجلس وقال ايها الملك ان لحم هذه السمكة مسموم ولا يجوز اكله فقال له الملك ومن اين لك هذا العلم قال ان الله تعالى خلق بحرا بين السماء والارض وقد ورد فيه من الاخبار بأن به اسماكا مسمومة وانت لما أطلقت البازى خلف الطائر وفاته اختطف هذه السمكة من ذلك البحر وان هذا البحر لا يصل اليه الا البازات الشهب فان اراد الملك صدق قولى فليحضر شخصا وجب عليه القتل وليطعمها له فينظر صدق قولى فأتى الملك بشخص وجب عليه القتل فأطعمها له فلما اكلها اضطرب ومات فى الحال فلما راى الملك ذلك انعم على الشاب بالف دينار وصار الملك لا يتصرف بشئ من الامور الا برأى ذلك الشاب *(ذكر أخبار الثلج والبرد)* قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق فى السماء جبالا من ثلج و بردكما ان فى الارض جبالا من حجر وهو قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد الآية * وفى بعض الاخبار ان الله تعالى خلق ملائكة نصف ابدانهم من ثلج ونصفها من نار فاذا اراد ان ينزل الثلج على مكان أمر تلك الملائكة ان ترفرف بأجنحتها على الثلج فلا يسقط الى الارض ثلج الا برفرفة اجنحة الملائكة * قال ابن الجوزى فى بعض مصنفاته ان فى القرن الخامس من الهجرة وقع من السماء بردة وهى قطعة عظيمة فى بعض جهات الغرب فاهتزت لها الارض وقتلت مالا يحصى عددهم من البهائم والناس وكان امرا مهولا *(ذكر أخبار ما بين السماء والارض)* قال كعب الاحبار رضى الله عنه ان بين السماء والارض سحابا بالطير وفوقه طيور بيض رؤسها كرؤس الخيل ولها ذوائب كذوائب النساء ولها اجنحة طوال وليس لها فى السماء ملجأ ولا فى الارض مأوى وانها تبيض وتفرخ على السحاب فى الهواء وتقر على السحاب كما تقر الطيور على الماء * ويقرب من ذلك ان الطير المسمى بالحجل يعشش فى الهواء وانه يلقح فى الهواء كما تلقح النخلة من النخل وانه يأتى الى اعشاش الطير فيأخذ من بيضها

وحضنته فاذا تحرك الفرخ في البيضة وصار له قوة على الطيران طار حتى يلحق بامه التي باضته في الاصل ولا يقيم في الهواء ويقال ان العقاب لا يسافد اناثه وان الذي يسافدها من غير جنسه من الطيور نقل ذلك صاحب السكردان * وقيل ان الحجل يكون في اسافل الريح والطير المسمى باليعسوب يكون في اعالي الريح فيلقح منه * وقيل في المعنى

ما انت الا كالعقاب فامه * معلومة وله اب مجهول

ومن العجائب ان في بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها جبل يرى كله فيه نار من غير موقد ويقال ان بذلك الجبل طائرا يسمى السمندل وهو على قدر الرخمة وانه يعشش في ذلك الجبل الذي ترى فيه النار ويفرخ فيه ولا يحترق من تلك النار ويقال ان ريشه يعمل منه مناشف فاذا اتسخت ترمى في النار فتنقى من وسخها ولا تحترق ويعمل من ريشه فتائل للسراج فاذا فرغ الزيت تنطفي منه الفتيلة ولا تأكلها النار ولو اقامت الى الابد ويقال ان دهن هذا الطير اذا طلى به الانسان بدنه ودخل النار لا تضره فاذا اراد الانسان ابطال عمل ذلك الدهن يطلي فوقه بالخل فانه يفسد الدهن * ومن العجائب ان طائرا يسمى السمرمر وهو قدر الزرزور ومن شأنه انه يهلك الجراد قيل انه يأوي الى عين ماء في اقصى بلاد العجم فاذا نزل في بلادهم الجراد ارسلوا فارسين الى تلك العين فيحضران لهم من ماء تلك العين فيعلقونه بين السماء والارض فاذا اتى الماء الى الارض التي فيها الجراد يتبعه الطائر المعروف بالسمرمر فيقتل الجراد ويفنيه عن آخره ويقال مادام ذلك الماء في الارض لا يدخل اليها الجراد ومن شأن هذا الماء اذا كان في اناء ووضع على الارض بطل السر الذي به * واما قولهم في ارسال فارسين الى تلك العين التي يأوي اليها السمرمر فارسال الفارسين خشية ان يموت احدهما فيحضر الماء الآخر * ويقال ان عين الماء هي التي تسمى السمرمر واليها ينسب ذلك الطير * ومما يؤيد هذا الخبر ان في سنة اثنين وخمسين وثمانمائة احضر بعض الاعاجم الى الملك الظاهر جقمق قمقم نحاس مختوما وزعم ان فيه ماء السمرمر فانعم عليه السلطان بألف دينار في مقابلة تعبه فعلق الملك الظاهر ذلك القمقم في سقف القصر الكبير والسمرمر معلق به مدة طويلة فمن يومئذ امتنع الجراد عن مصر * وفي بعض الاخبار ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ان بين السماء والارض بحرا من نار وليس لها دخان فيقال ان الجان خلقوا من ذلك البحر ومن الفوائد اللطيفة ما نقله الثعلبي في كتاب العرائس ان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى احدكم اناءه وروى ان اسم الغراب اعور وانما سمي بذلك لانه يغمض احدى عينيه من قوة بصره ويقتصر على الاخرى وقد قيل في المعنى

وقد ظلموه حين سموه سيدا * كما ظلم الناس الغراب بأعور

(ذكر اخبار الرياح) قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى اربع رياح وهي الجنوب والشمال والصبا والدبور ويقال ان الرياح ثمانية اربعة منها في الجهات الاربع واربعة منها تسمى بالنكباء الميلها عن الجهات الاربع فريح الجنوب تجمع السحاب وقيل منها خلق الله الخيل وقيل انها سيدة الرياح واما ريح الشمال فانها من جهة الشمال وهبوبها من ناحية القطب وهي باردة يابسة ويقال لها ريح الجنوب واما ريح الصبا وتسمى ايضا ريح القبة وهي من ناحية الشرق واذا هبت على الابدان العليلة انعشتها وتنفس عن المكروب كربته ويكون هبوبها عند السحر واما ريح الدبور وتسمى ايضا العاصف والصرصر والعقيم وهي التي تهدم البناء وتقلع الاشجار قال اهل اللغة الريح العقيم لا ماء معها وسميت عقيما لانها لا تلقح ولا تنتج كالمرأة التي لا تلد تسمى عقيما وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقد جعل الله تعالى اقران الدبور بالريح العقيم واقران الجنوب بالريح الشمال وجعل ريح الشمال والصبا متعاقبين وجعل لكل ريح من هؤلاء اوقاتا معلومة لا تتجاوزها فاذا اراد الله ان يعذب قوما بالريح افرد الريح العقيم من الدبور وسلطها على من يشاء من عباده

(ذكر مبدا خلق الارض)

قال الله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش قوله تعالى في ستة ايام اختلف جماعة من العلماء في مقدار هذه الايام هل هي من ايام الدنيا أم من ايام الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وآخرون من العلماء هي من ايام الدنيا وقال كعب الاحبار وابن جرير انها من ايام الآخرة التي كل يوم منها مقداره ألف سنة مما تعدون والاصح ما قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك قال ابن عباس لما اراد الله تعالى ان يخلق الارض امر الرياح جميعا بأن تثير فثارت حتى هيجت المياه وأثارت الامواج فصار يضرب بعضها ببعض فلم تزل الرياح تضرب بالماء حتى ازبد وتراكم الزبد فصار منه حشفة بيضاء فصارت ربوة كهيئة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد يعلو بقدرة الله تعالى حتى بلغ واحدق الماء من حوله فصارت الارض كالكرة البارزة في الماء قال وهب بن منبه لما خلق الله تعالى الارض كانت طبقة واحدة ففتقها فصيرها سبعا كما فعل بالسماء وجعل بين الطبقة والطبقة مسيرة خمسمائة عام وهو قوله تعالى ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي قال وهب بن منبه لما فتق الله تعالى الارض وجعلها سبعا كان اسم الطبقة الاولى اديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحا والخامسة حينا والسادسة ماسكة والسابعة الثرى وفي بعض الروايات تختلف اسماؤها قال الثعلبي ان الارض الثانية تخرج منها الريح وسكانها

امم يقال لهم الطمس وطعامهم من لحومهم وشرابهم من دمائهم والطبقة الثالثة سكانها امم وجوههم كوجوه بني آدم وافواههم كافواه الكلاب وايديهم كايدي بني آدم وارجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان البقر وعلى ابدانهم شعر كصوف الغنم وهو لهم ثياب ويقال ان ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والطبقة الرابعة سكانها امم يقال لهم الحلهام وليس لهم اعين ولا اقدام بل لهم اجنحة مثل اجنحة القطا والطبقة الخامسة بها امم يقال لهم الخشن وهم كامثال البغال ولهم اذناب كل ذنب نحو ثلاثمائة ذراع وفي هذه الارض حيات كامثال النخل الطوال ولهم انياب مثل الجبال والطبقة السادسة بها امم يقال لهم الخثوم وهم سود الابدان ولهم مخالب كمخالب السباع ويقال ان الله تعالى يسلطهم على يأجوج ومأجوج حين يخرجون على الناس فتهلكهم والطبقة السابعة فيها مسكن ابليس اللعين وجنوده من المردة والشياطين * وقال بعض علماء الهيئة ان الارض مبسوطة وقال آخرون انها كالكرة وهي واقفة في الافلاك والافلاك دائرة عليها من جميع جهاتها كالصفار من البيضة وهي موضوعة في جوف الفلك وبعدها في الفلك من جميع الجوانب على التساوي وسبب وقوفها في الوسط سرعة دوران الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما لو وضعت ترابا في قارورة وادرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط واما من قال ان الارض مبسوطة قال ان البحر المحيط الذي هو اربعة وعشرون الف فرسخ محيط بها كما يحيط الخاتم بالاصبع * قال ابن عباس رضي الله عنهما ان حول الدنيا ظلمة ثم وراء تلك الظلمة جبل ق ويروى ان الله تعالى لما خلق الارض صارت واقفة في الهواء فحركها الريح فاضطربت ومادت فشكت ذلك الى ربها وقالت يارب قد ضعفت قوتي واستخفني الريح وحركني فأوحى الله تعالى اليها اني مؤيدك بالاطواد وهي الجبال فاستقرت بعد ذلك الاضطراب وقال وهب بن منبه ان الجبال خلقت من امواج البحر قال الله تعالى والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها الآية وهذا يدل على أن الله تعالى خلق السموات قبل الارض بمدة طويلة قال الثعلبي لما خلق الله تعالى الارض بعث اليها ملكا من تحت العرش فدخل من تحت الارضين السبع وأخرج احدى يديه من المشرق والاخرى من المغرب وقبض على اطراف الارض فلم يكن لقدميه قرار فأهبط الله تعالى ثورا من الجنة اسمه نون له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة من القرن الى القرن خمسمائة عام فاستقر قدم ذلك الملك على ذلك الثور فلم يكن لاقدام ذلك الثور قرار فانزل الله تعالى ياقوتة خضراء من يواقيت الجنة غلظها خمسمائة عام فاستقرت قوائم الثور على تلك الياقوتة الخضراء ثم خلق الله تعالى صخرة كغلظ السماء والارض وهي الصخرة التي قال لقمان

لابنه انها ان تلتبعثقال حبة من خردل فتكن في صخرة الآية واسم الصخرة صيخور *
وروى ان بين هذه الصخرة سبعة آلاف ثقب في كل ثقب منها بحر لا يعلم عظمه الا الله
فاستقرت تلك الياقوتة الخضراء عليها ولم يكن للصخرة قرار فاهبط الله تعالى اليها حوتا
عظيما من البحر السابع الذي تحت العرش ويقال اسم الحوت بهموت وقيل بلهوت
فاستقرت تلك الصخرة على ظهر الحوت وقيل لا يقدر احد ان ينظر الى ذلك الحوت من
بريق عينيه ولو وضعت بحار الدنيا كلها في احدى منخريه لكانت كالخردلة في ارض
فلاة فاستقر الحوت على الماء وصار واقفا مكانه لا يتحرك فقال اللهم لك الحمد بك قويت
وبحولك استطعت ولولا ذلك لما كان لي قوة على حمل ما استحملتني اياه فأذن لي يارب
بالسجود شكرا لك على ذلك فأذن الله تعالى له بأن يسجد فأدخل راسه في الماء حتى
غاب ثم اخرجه من الماء فهو يسجد في كل يوم الى يوم القيامة ثم جعل الله تعالى تحت الماء
الهواء وتحت الهواء الظلمة ومن هناك ينقطع علم الخلائق ويروى في بعض الاخبار ان
الله تعالى وكل بذلك الحوت ملائكة يأتونه بغدائه في كل يوم على قدر شبعه فيأتونه
من البحر المسجور بألف حوت كل حوت طوله مسيرة يوم وليلة واما الثور فوكل الله
تعالى ملائكة بغدائه في كل يوم بألف شجرة من بساتين القدرة طول كل شجرة مسيرة
يوم وليلة فسبحان القادر على كل شئ ويروى في بعض الاخبار ان ابليس اللعين
لازال يغوص الى الارض السابعة حتى وصل الى الحوت المسمى بهموت فتقدم اليه وقال
له يا بهموت ان الثور يقول لك انه هو حامل الصخرة التي عليها الارضون وانك لا حامل لك
مع حمله ولو كلفت انت بحمل ذلك لم تطق وانت الذي حملته وحملتها ولو كلفت الثور بحمل
ذلك لم يطق فأعجب الحوت في نفسه وبقوته فظن ابليس اللعين انه قد اغوى الحوت
وانه سيفسد ما عليه فاضطرب الحوت من تحت قوائم الثور فسلط الله تعالى على الحوت
دابة لطيفة قدر فراشة واسمها الامة فأوقفها بين عيني الحوت فصارت تنقره على دماغه
حتى وصلت الى عظم دماغه فذل ووقف مكانه ولم يتحرك واشتغل بما ناله من الالم من
تلك الدابة ثم ان ابليس اللعين مضى الى الثور واغواه كما اغوى الحوت فسلط الله على
الثور دابة لطيفة رأسها عند منخره فذل ووقف كما وقف الحوت ولم يتم لابليس اللعين
ما دبره من الحيلة للافساد اورد ذلك الثعلبي * قال ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الارض يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق
الاشجار يوم الاثنين وخلق الكروم يوم الثلاثاء وخلق الظلمة والنور يوم الاربعاء وخلق
الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة *وقد اختلف جماعة من العلماء
في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه بالمخلوقات وهو على ثلاثة اقوال فقال ابن اسحاق هو

يوم السبت وقال كعب الاحبار هو يوم الاحد * وقال اهل الانجيل هو يوم الاثنين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى في يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم
والملائكة الى ثلاث ساعات مضين من يوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر يوم الجمعة
واهبط من الجنة عند غروب الشمس من يوم الجمعة وقال وهب بن منبه انما سمى يوم
الجمعة لان طينة آدم جمعت فيه فلذلك سمى الجمعة وقال حذيفة اليماني روى في بعض
الاخبار ان الدنيا مسيرة خمسمائة عام منها ثلاثمائة عام بحار وجبال ومائة عام عمار
ومائة عام خراب * وقال بعض علماء الهيئة ان الجهات ستة الشرق وهو حيث تطلع
الشمس اى تشرق والقمر والنجوم والغرب وهو حيث يغربن فيه والشمال وهو حيث
مدار الجدي وقد أفرط هناك البرد والجنوب وهو حيث مدار سهيل وهو مايلى كرة
السماء والتحت وهو مايلى كرة الارض والفوق وهو مايلى الافلاك قال بعض الحكماء فجهة
الشمال واقعة تحت مدار الجدي وقد افرط هناك البرد فيصير ستة اشهر ليلا دائما
مستمرا وهذه مدة الشتاء لايرى هناك النهار وتجمد في هذه الجهة المياه لقوة البرد فلا
ينبت فيها شيء من النبات ولا يقيم فيها حيوان واما جهة الجنوب فحيث مدار سهيل
فيصير هناك ستة اشهر نهارا دائما مستمرا بغير ليل وهذه مدة الصيف فيفرط هناك الحر
والسموم فلا ينبت فيها نبات ولا يقيم فيها حيوان لشدة الحر هناك فلا تسكن تلك الجهات
(ذكر اخبار اجزاء الارض) قال الحكيم هرمس الدنيا سبعة اجزاء جزء منها للترك
وجزء منها للعرب وجزء منها للفرس وجزء منها للسودان وثلاثة اجزاء منها ليأجوج
ومأجوج وقال ان الاقاليم ايضا سبعة وهى اقاليم الصين واقليم الحجاز واقليم الهند واقليم
الروم واقليم يأجوج ومأجوج واقليم العرب *وقال اطراف الدنيا اربعة والنواحي
خمسة واربعون والمدائن والحصون احدوعشرون الف وستمائة مدينة ففي الاقليم
الاول ثلاثة آلاف ومائة مدينة وفي الاقليم الثاني الف وسبعمائة وثلاثة عشر مدينة وفي
الاقليم الثالث ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وسبعون مدينة وفي الاقليم الرابع الف
وتسعمائة واربعة وسبعون مدينة وفي الاقليم الخامس ثلاثة آلاف وخمسمائة واربعة
وثلاثون مدائن وفي الاقليم السادس ثلاثة آلاف وخمسمائة مدينة وفي الاقليم السابع
ثلاثة آلاف وثمانمائة مدينة ولم يذكر هرمس غير المذكور هنا وذلك غير القرى
والرساتيق وذكر ان مساحة الدنيا خمسة آلاف الف فرسخ وخمسمائة الف الف فرسخ
وثلاثة وستون الف فرسخ والفرسخ ثلاثة اميال والميل اربعة آلاف ذراع بالذراع القديم
وهو ستة وثلاثون اصبعا بخلاف الذراع الهاشمي ويقال ان العالم السفلى مقسوم ايضا
على سبعة اجزاء وفيه ايضا اقاليم كما في اعلى الارض انتهى ذلك

(ذكر خلق البحار)

قال الشيخ ابو الفرج ابن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحرا غير ما ظهر من الانهار والعيون * فائدة لطيفة فى الفرق بين البحر والنهر قال الجوهرى فى الفرق انما سمى البحر بحرا لاستبحاره وانبساطه وسعته لانه شق فى الارض شقا وفى كلام العرب الشق هو البحر فكانوا يقولون للناقة اذا شقوا اذنها بحيرة وقال الزجاج وكل نهر ذى ماء كثير راكد بحر لكن اذا جرى يقال له نهر كدجلة والفرات والنيل وما اشبه ذلك فيكون الماء اذا اتسع ولم يجر بحرا واذا جرى فهو نهر ويقال للبحر الصغير بحيرة قال ابن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحرا ففى جزيرة الشرق منها ثمانية بحور وفى جزيرة الشمال أحد عشر بحرا وفى جزيرة الجنوب اثنان وفيهم من الجزائر المعروفة احدى وسبعون جزيرة وفى جزيرة الشرق ثمان جزائر وفى جزيرة الغرب ستة عشر جزيرة وفى جزيرة الشمال احد وثلاثون جزيرة وفى جزيرة الجنوب ستة عشر جزيرة * واما البحار الكبار المشهورة فسبعة وهم المحيط بالدنيا ويقال ان مسافته اربعة وعشرون الف فرسخ وجميع البحار تأخذ منه قال بعض العلماء انما سمى البحر المحيط محيطا لاحاطته بالدنيا ولذا كان الحكيم ارسطاطاليس يسميه الاكليل لانه حول الارض بمنزلة الاكليل على الراس وبهذا البحر من العجائب ما لا يسمع بمثلها ويخرج من هذا البحر ستة بحار كبارا عظمها اثنان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن فى قوله عز وجل مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان احدهما يخرج من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فالشرقى يقال له الصينى والهندى والفارسى واليمنى والحبشى والغربى يقال له البحر الرومى واما ذكر عجائب البحر المحيط قال ابن الجوزى ان به جزائر فيها غنم لا يحصى عددهم ولحومهم مرة لا تؤكل فيذبحون منها اهل الجزائر ويصنعون منها الانطاع وبهذه الجزائر شجر يطرح شيئا مثل التين ومن شأنه اذا اكله المسموم يبرا من وقته وفى هذه الجزائر حيات عظيمة تبتلع الجاموس وفى هذا البحر اسماك كل سمكة مسيرة ثلاثة أيام ويرى فى عينها كالبرق الخاطف وفيه سرطانات عظيمة قدر الجبل وفيه حجر يسمى البهت اذا مسكه احد من ذوى الحوائج ودخل على سلطان أو حاكم انعقد لسانه عنه وقضيت حاجته منه وفى هذا البحر عجائب كثيرة وهو بحر مظلم كدر المياه منتن الروائح صعب المسالك لما فيه من الدواب الكواسر وهيجان امواجه ولا يعلم له آخر ولا يوقف احد على صحة اخباره سوى ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره اه والبحر الثانى هو البحر الصينى ومخرجه من الشرق وهو كدر اللون ومخرجه من بحر المحيط ومن عجائبه

(ذكر اخبار الانهار)

المشهور منها الدجلة ونهر سيحان ونهر جيحان والفرات والنيل فأما الدجلة فقال ان الذى حفرها واجرى اليها الماء من الفرات هو دانيال عليه السلام قال بعض الحكماء ان الشرب من ماء الدجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد شهوة النساء ويقطع نسل الخيل حتى ان جماعة من العرب كانوا لا يسقون منها خيلهم واما جريانها فانها تجرى من بلاد آمد الى ديار بكر وهى اعين من بلاد خالد ومقدار جريانها على وجه الارض ثلاثمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك ومن عجائب الدجلة الدوى والجزر وهو دائم فيها مع الريح كل يوم صيفا وشتاء * واما الفرات فمبدؤها من بلاد قاليقلا من ثغور الارض نحو ارمينية من جبال هناك تدعى انودخس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه على وجه الارض خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك واما الآن فجريانه من شمالى الاردن من بلاد الروم من جهة الشرق ولا يزال يجرى على وجه الارض حتى يخرج الى فضاء العراق ثم يصب فى بطائح كبار فيجرى منها انهار كثيرة معروفة فى تلك الجهات قال ابن الوردى

ان للشام فراتا * لم تصل مصر اليها
كم بمصر من وجوه * فضل النيل عليها

واما نهر سيحان وجيحان فهما غير سيحون وجيحون قال النووى فى شرح مسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال كعب الاحبار ان النيل هو نهر العسل فى الجنة والفرات هو نهر الخمر فى الجنة وسيحان هو نهر الماء فى الجنة وجيحان هو نهر اللبن فى الجنة وقيل ان عناصر هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس والله اعلم بذلك *(فائدة) وهى ان الدابة اذا اصابها المغل يكتب على قوائمها الاربعة على كل قائمة اسم نهر وهو سيحان وجيحان والنيل والفرات فانها تبرأ من ساعتها اسرعما وقد جرب ذلك وصح * واما نهر مهران بأرض الهند قيل انه فرقة من النيل وقد استدلوا على ذلك بأن فيه التماسيح والضفادع ذكر البحار اما بحر الترك وهو المعروف ببحر الخزر وهو بحر كبير عرضه ثمانية عشر الف ميل وطوله ستة آلاف ميل وقد صار فيه مائة وسبعون جزيرة منها الادقية وبيروت واقريطش ويمر على بلاد المغرب قاطبة منها افريقية وبراقة والاسكندرية وارض فلسطين من سواحل الشام ثم ينعطف من هناك الى انطاكية فيمر على بلاد كثيرة منها القسطنطينية وغيرها الى بلاد المغرب ثم ينتهى الى البحر المحيط الذى خرج منه وقال ابن عبد الحكيم فى تاريخ مصر ان الذى خرق هذا الثقب واجرى ماءه هو الاسكندر ذو القرنين فسلطه على اهل تلك البلاد لما عصوه ولم

يدخلوا تحت امره وقال بعض علماء التفسير ان هذا المكان هو مجمع البحرين الذى تلاقى فيه موسى والخضر عليهما السلام كما ذكر فى القرآن العظيم اقول وقد كانت ملوك الافرنج تسمع باخبار هذا الثقب قديما وانه يمكن ان ينفذ الى بحر الهند منه وكانوا يوصوا اولادهم بأن لا يغفلوا عن الثقب حتى يتسع لهم الثقب فكانوا يتوارثون التوصية ويوسعون فى الثقب فصارت تدخل المراكب الكبار فى ذلك الثقب فى اوائل القرن العاشر فصارت طائفة من الافرنج يقال لهم البرتقان يدخلون من هذا الثقب فى المراكب الكبار ويصلون الى بحر الهند نحو عن ثلاثين مركبا مشحونة بالمقاتلين بأنواع السلاح والمدافع فصاروا يخربون على التجار المسافرين فى بحر الهند ويملكون منهم عدة قرى من بلاد الهند فأرسل الملك الاشرف وزيره الغورى بتجريدة فى مراكب وصحبته الامير حسين فكسرهما العسكر المصرى وكسبوا منهما مراكب مشحونة بالمال والقماش والسلاح وغرق منهم مراكب بعدما كسروا المدافع قال وقتل ابن البرتقان فى هذه الوقعة ثم بعد ذلك كبست الافرنج بعد مدة يسيرة مراكب المسلمين على حين غفلة وكانت متفرقة فكسرتهم الافرنج ونهبت جميع ما كان مع المسلمين * واما بحر طرستان وهو البحر السادس وطوله من المشرق الى المغرب ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وامتداده من البحر المحيط وفيه عشرون جزيرة منها ما هو مسكون ومنها ما هو خراب * ومن عجائب هذا البحر ان فيه جزيرة فيها شجرة تثمر مثل اللوز وله قشر فاذا كسر خرجت منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله وهى كتابة واضحة جيدة وبها شجرة لها أوراق كبار على قدر ورق القلقاس مكتوب على كل ورقة بخط اخضر اشد من خضرة الورق لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل ان عبدة الاوثان من قديم الزمان قطعوا هذه الشجرة فنبتت من اصلها فعمدوا الى رصاص فذوبوه وقلبوه فى جذر ما قطع من تلك الشجرة فلم تنبت وقيل ان فى بعض جزائره شجرة تطرح نوعا مثل التفاح نصفها حلو فى غاية الحلاوة ونصفها حامض فى غاية الحموضة وذلك التفاح ابيض اللون مكتوب عليه على هيئة الجلالة بخط احمر جيد الكتابة وفى بعض جزائره وحش يشبه خلقه بنى آدم وهو ملفوف القامة وظهره عظمة واحدة واهل تلك الجزيرة يرمون عليه بالنشاب ليصيدوه فلا يؤثر فيه النشاب ويولى عنهم ويشتمهم بالفارسية واذا جرى فلا تلحقه الخيل الغائرة وفى بعض جزائره ناس لهم ثلاثة اعين فالثالث بين حواجبهم اه واما البحر الزفتى فهو البحر السابع ولونه اسود ومادته من البحر المحيط وهو كريه الرائحة وخيم الهواء ويقال ان النيل ينحدر من أعلى جبل القمر ويمر فى هذا البحر فيه يرفرقه كالخيط الابيض على الثوب الاسود فتبارك الله احسن الخالقين سبحان الذى اتقن كل

شئ وهذا البحر قليل المهالك صعوبته لا يرى فيه شمس ولا قمر دائما فاذا مالت الشمس
فى الدنيا ظهر فيه بعض شفق احمر من ضوء الشمس وبه جزائر يطلع فيها قصب فارسى
يدخل فى جوف القصبة الجمل بحمله وفى هذا البحر اسماك كبار تبلع المراكب لعظم خلقتها
وقد روى فى بعض الاخبار عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان تحت العرش بحرا
فيه اسماك لها اجنحة تطير بها الى الارض فتحرق الشمس اجنحتها فتقع على الغمام
فيلقيها الغمام الى هذا البحر فتتربى فيه وقال بعض العلماء اعلم الله تعالى ان الوحوش
اذا كثر ضررها اكثر من نفعها قلل من نسلها فكانت اللبوة لا تحمل الا فى كل سبع
سنين مرة واحدة واذا حملت اقامت عشر سنين حتى تضع ونقل بعض الحكماء ان الفيل اذا
احتلم وطلب النكاح لا يعلو الفيلة بل يحك جنبه بجنبها حتى يجد اللذة فيمنى ثم يرخى
ذكره فينزل المنى فى زلومته فيضعه فى فرج الفيلة فتارة تحمل وتارة لا تحمل ومن هنا قل
نسل الافيال والله اعلم بحقيقة الحال ويوجد فى هذه الجزائر شجر الحصا البان وشجر
الابنوس وفيها احجار اذا نقعت فى الزيت تضئ مثل الفتيلة ولا يطفأ ذلك * واما البحر
الغربى وهو البحر الرابع فامتداده من البحر المحيط ايضا وهذا البحر لا يعرف منه الا
ما ظهر من جهة الغرب وينتهى الى بلاد الحبشة والى خلف بلاد الرومية وهو صعب
المسالك لا يعرف له منتهى وفى بعض جزائره اشخاص متوحشة تسمى الغيلان وهى
تقرب من شكل بنى آدم ولا تظهر الا بالليل وتهلك كل من تراه واذا جرى الواحد فلا
تلحقه الخيل الغائرة ولا يؤثر فيه وقع السهام ويتطاير من فمه مثل شرر النار واذا طلع
عليه النهار يختفى فى مغاير هناك الى ان يدخل الليل * وفى بعض جزائره يقطين عظيم
الخلقة قيل انه يعمل من نصف اليقطينة مركب صغير يعدون فيها الى البر وفى هذه
الجزيرة حيات عظيمة الخلقة لها ذوائب شعر وهى تسبح فى البحر وتمد ما بين البرين فاذا
اشرقت الشمس وثبت عليها الكى تبلعها وكذلك اذا غربت وفى هذا البحر امم على صور
مختلفة ما بين شكل بنى آدم من رجال ونساء فمنهم من راسه اقرع وله ذقن بيضاء يسمونه
شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلب والخنزير والقط والفرس والحمار والبقر والغنم وغير
ذلك كما فى البر من الحيوانات وتزيد على البر من الاجناس قال بعض الحكماء ان حيوان
البحر اذا اقام فى البر هلك وحيوان البر اذا اقام فى البحر هلك وسبب ذلك ان الله تعالى
خلق حيوان البحر لا رئة له لان بها يقع النفس فلا اقامة له فى البر قال كعب الاحبار خلق
الله ثمانين الف امة وجعل نصفها فى البحر ونصفها فى البر وهم على صور مختلفة
وفى هذا البحر جزائر ينبت فيها قضبان لها لون كلون الذهب فاذا طلعت عليه الشمس صار
له لمعان فلا يستطيع احد ان ينظر اليه واما البحر الرومى وهو البحر الخامس ومادته من

البحر

البحر المحيط ايضا ويمتد من على افريقيه والشام ويتصل بطرسوس وهو خمسة آلاف ميل وعرضه سبعمائة وستون ميلا وفيه جزائر عامرة يسكنها امم من بنى الاصفر وغيرهم وفيه من العجائب قيل ان فى بعض جزائره تطلع دابة فى كل سنة من البحر تشبه البقرة وفيها روح تقيم ساعة فى البر ثم تموت فتصير قطعة زفت فيبيعونها اهل تلك الجزيرة للافرنج فيطلون بها المراكب * ونقل الباشورى فى بعض مصنفاته ان ملكا من ملوك اليونان قصد ان يحفر خليجا من البحر الغربى الى البحر الشرقى ويرفع البرزخ من بينهما وكانت جزيرة الاندلس وبلاد البرابرة بينهما بحر الجيز وكانت تلك الارض وخمة يسكنها اقوام من اليونان وكان بتلك الارض الطائر المعروف بالفقعس وهو طائر حسن الصوت اذ سمعه انسان غلب عليه شدة الطرب فيموت السامع من وقته وكان هذا الطائر اذا حان موته حسن صوته قبل ان يموت بسبعة ايام فلا يمكن احد يسمع صوته الا يموت ويقال ان عامل المو سيقا كان من الفلاسفة فاراد ان يسمع صوت الفقعس وهو فى شدة صياحه خشى على نفسه ان يموت من الطرب فسد اذنيه سدا محكما ثم قرب اليه وجعل يفتح اذنيه شيئا فشيئا ثم استكمل فتح الاذنين فى ثلاثة ايام الى ان وصل الى سماعه رتبة بعد رتبة وقيل ان ذلك الطائر هو وافراخه غرقوا لما هجم الماء على تلك الارض فلم يبق له وجود بعد ذلك ويقال ان الملك الذى اجرى ماء هذا الخليج حفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا فى عرض اثنى عشر ميلا وبنى بجانبه عضادتين وعقد عليهما قنطرة فلما فتح البرزخ من البحر الغربى فتح منه قدرا يسيرا من ثقب فى جبل كان حاجزا بين تلك الارض والبحر فلما دخل الماء فى ذلك الثقب كان ماء البحر الغربى اعلى من تلك الارض فلما ساح الماء غطى تلك العضادتين والقنطرة وساق قدامه بلادا كثيرة * واما نهر العرجاء ويسمى ايضا نهر ابى بطرس وهو شمال مدينة الرملة ومجراه نحو اثنى عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهى حتى يصب فى البحر الرومى واما نهر الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة وينتهى الى بحيرة طبرية وقد عد الدجلة ايضا من جملة الانهار وانها تجرى من بلاد الروم الى اعلى آمد وحصن كيفا والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة وينتهى الى بحر فارس واما نهر حماة وحمص المسمى بالعاصى فانه يجرى من جهة الجنوب الى الشمال وهو بخلاف غيره من الانهار فانه لا تسقى منه الارض الا بالنواعير ومنه فرقة تمضى الى بعلبك وينتهى فى مصبه الى البحر الرومى وقد قالت الشعراء فيه فمن ذلك ما قيل فى فيه

ناعورة فى النهر ابصرتها * تشوق الدانى والقاصى
قد نبهتنا للهدى والتقى * لانها تبكى على العاصى

اضحت حماة للورى جنة * يدخلها الدانى مع القاصى
ولم يكن يسمع قبل ذا * بجنة فى وسطها عاصى

قال بعض الحكماء وكان من تمام حكم الله تعالى حيث جعل الانهار الحلوة جارية والبحار المالحة راكدة لان ركودها نجة ودفع مضرة وايضا البحار المالحة يصب فيها جميع الانهار وماء السيول والعيون وهى لا تزيد بقدرة الله تعالى فلو زادت لا غرقت الارض وهذا من رحمة الله كما اخبر فى القرآن العظيم مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان *(ذكر اخبار النيل المبارك)* قال الواقدى ان معاوية بن ابى سفيان قال يوما لكعب الاحبار هل تجد للنيل ذكرا فى كتاب الله تعالى يعنى فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال والذى فلق البحر لموسى انى لاجد فى التوراة ان الله يوحى اليه عند ابتدائه ويأمره ان يجرى حيث ماشاء الله تعالى ثم يوحى اليه عند انتهائه ان الله يأمره ان يرجع راشدا حيث شاء الله تعالى يعنى يوحى اليه عند زيادته ونقصانه فصل فى بيان المكان الذى يخرج منه النيل وفى المكان الذى يذهب منه قال المسعودى فى مروج الذهب نقل صاحب الاقاليم السبعة ان اصل النيل من جبل القمر من عشرة اعين فتجتمع كل خمسة اعين فى بطيحة هناك ثم يجريان وذكران صفة جبل القمر انه منقوش وعلى راسه شراريف كاروذكران جبل القمر خلف خط الاستواء الذى يستوى فيه الليل والنهار دائما وان القمر يطلع من عليه وقال المسعودى ان النيل يجرى على وجه الارض الف فرسخ فى عمار وخراب حتى يأتى الى بلاد السودان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من الفسطاط وعلى أميال من اسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين مواضع سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف هذا الموضع بالجنادل والصخور ثم ان النيل ينتهى الى بحر دمياط ورشيد والاسكندرية فيصب فى البحر المالح من هناك اه كلام المسعودى وقال الكندى ان النيل يخرج من قبة من الزبرجد ويمر على ارض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق من هناك نهران احدهما يجرى الى ارض الهند ويسمى نهر مهران والآخر يجرى نحو ارض الزنج * وقال هرمس يخرج من هذه القبة اربعة انهار وهى سيحان وجيحان والفرات والنيل ومما يحكى ان ملك نقرواش الجبار بن مصرائم توجه الى منبع النيل فحفره وأصلح مجراه وكان يسيح فى الارض ويتفرق من غير حائز فهندسه وساق منه عدة أنهار الى اماكن كثيرة لينتفع بها الناس وعمل هناك تماثيل من نحاس عدتها خمسة وثمانون تمثالا جامعة للماء حتى لا يخرج ماء النيل عنها وجعل لها منافذ مستديرة يخرج الماء من حلوق تلك التماثيل وجعل لها ساقيا سامعلوما بمقاطع واذرع معلومة فتخرج تلك الانهار ثم تصب فى بطيحتين

فتخرج

فتخرج منهما المياه الى بطيحة كبيرة جامعة للمياه وجعل التماثيل مقادير بين المياه ليكون فيها الصلاح لارض مصر دون الفساد وقدر ذلك على ستة عشر ذراعا وكان الذراع يومئذ اثنين وثلاثين أصبعا ثم جعل فضلات تلك المياه تخرج الى مسارب عن يمين تلك التماثيل وعن شمالها ثم تصب الى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرق ماء النيل ما كان يمر عليه من البلدان قاطبة وقال لولا ان ماء النيل يمر في البحر المالح ويكتسب من ملحه لشرب من مائه ماهو احلى من العسل وابيض من اللبن * وقال بعض الحكماء لولا الليمون بمصر لوخم اهلها من حلاوة النيل ولماتوا ولكن حموضة ماء الليمون تمنع الصفراء وقال الكندى ان النيل يمر على ستين مملكة من ممالك الحبشة والزنج وقال ابن زولاق فى تاريخه ان بعض الملوك امر اقواما بالمسير الى حيث يجرى النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عال والماء ينزل من اعلاه وله دوى وهدير حتى لا يكاد احد يسمع صوت من فى جانبه من اصحابه من دوى الماء ثم ان احد القوم تسبب فى الصعود الى اعلى الجبل لينظر ماوراء ذلك فلما وصل الى اعلاه ضحك وصفق بيديه ثم مضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم اصحابه ماشأنه ثم ان رجلا آخر منهم صعد بعده ليرى ما وراء ذلك الجبل وما كان من امر صاحبه ففعل مثل صاحبه وصفق ومضى فى الجبل ولم يعلم اصحابه ماشأنه فطلع ثالث وقال لاصحابه اربطونى من وسطى بحبل فاذا انا وصلت الى ماوصل اليه اصحابى وفعلت كما فعلوا فاجذبونى بالحبل فلا ابرح من مكانى ففعلوا ذلك فلما صار فى اعلى الجبل صفق واراد ان يمضى فى الجبل فجذبوا الحبل اليهم ونزل عندهم فلما وصل خرس لسانه ولم يرد جوابا واقام ساعة ومات فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك من اخبار النيل * قال الامام الليث بن سعد رضى الله عنه بلغنى ان رجلا يقال له حامد بن ابى سالم وهو من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام خرج هاربا من بعض الملوك الجبابرة فدخل الى مصر فلما راى نيلها تعجب منه وحلف على نفسه ان لا يفارق ساحل النيل حتى يبلغ منتهاه ومن اين يخرج او يموت قبل ذلك فسار على ساحل النيل نحوا من ثلاثين سنة حتى وصل الى جبل القمر فاذا هو برجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح فلما رآه سلم عليه واستأنس به فقال ذلك الرجل الذى تحت الشجرة من انت ايها الرجل فقال له حامد انا من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ثم قال له حامد من انت قال انا ابو العباس الخضر فما جاء بك الى ههنا قال فى طلب معرفة النيل فقال له الخضر عليه السلام سيمر عليك حية ترى آخرها ولا ترى اولها فلا يهولك امرها وهى دابة معادية للشمس اذا طلعت الشمس هوت اليها لتلتقمها فاركب على ظهرها فانها تذهب بك الى جانب البحر الزفتى فسر فى بره فانك تقع فى ارض من

ذهب وبها جبال واشجار فلما مضى حامد فعل ماقاله الخضر فلما وصل الى ارض الذهب نظر الى قبة من الذهب ولها اربعة ابواب فنظر الى النيل وهو ينحدر من جوف تلك القبة من كل باب نهر يجري الى جهة من الارض وهم سيحان وجيحان والفرات والنيل فأراد حامد ان يمضي الى ماوراء تلك القبة فأتاه ملك وقال له قف ياحامد مكانك فقد انتهى اليك علم النيل وماوراء ذلك الا الجنة فقال حامد اريد ان انظر الى الجنة فقال له الملك انك لن تستطيع دخولها اليوم فجلس حامد على شاطئ النيل وشرب منه فاذا هو احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج وقيل في المعنى

ونيل مصر من الجنان * وماؤه يحيي الغصون
فبالعيون ان قايسوه * قل ماترى مثل العيون

ويقال ان حامدا راى الفلك الذي يدور بالشمس والقمر والنجوم وهو شبه الرحا فقيل ركب الفلك ودار في الدنيا كلها وقيل انه لم يركبه وقيل ان ذلك الملك اتى حامدا بعنقود من العنب من الجنة وهو على ثلاثة الوان اخضر كالزبرجد واحمر كالياقوت وابيض كاللؤلؤ وقال له هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها ثم ان حامدا رجع من هنالك الى شاطئ البحر الزفتي وركب على تلك الحية لماهوت الى الشمس عند الغروب لتلتقمها فقذفت به الى جانب البحر الزفتي الى المكان الذي ذهب منه فأتى الى الخضر عليه السلام وسلم عليه وحكى له ماجرى له وقيل ان حامدا لم يأكل من اكل الدنيا الا انه اكل من ذلك العنب ومات بعد ذلك بمدة يسيرة *(فصل في بيان زيادة النيل ونقصانه)*

قال المسعودي ان زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الامطار وقالت الروم زيادته من عيون في شاطئه تفور من اوله الى آخره وهذا هو السبب في تكديره عند الزيادة لان العيون اذا نبعت من الارض اختلطت بالطين عند نبعها فتكدره * وقال الكندي انه في ايام الزيادة يستمر في بلاد الحبشة المطر ليلا ونهارا لاينقطع في هذه المدة ويتنفس النيل بالزيادة * قال المهتدي في تفسيره عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الارض من المشرق الى المغرب فاذا اراد الله تعالى ان يجري نيل مصر امر كل نهر على وجه الارض ان يمده بالمياه فاذا انتهى جريانه الى حيث شاء الله تعالى امر كل نهر ان يرجع الى عنصره ومصداق هذا الخبر ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت الانهار كلها واذا زادت نقص هو فصح انه يمدها بها والله اعلم * وقال بعض الحكماء ان النيل اذا زاد يصب في البحر المالح فيجتمع بخاره ويرتفع في الجو فتحمله الريح الى الغمام فيذهب به الى حيث شاء الله فينزل حيث يريد الله تعالى والى هذا اشار الزمخشري في قوله تعالى والسماء ذات الرجع والمراد بالسماء الغمام

والرجع المطر لان ماء المطر من البحر ثم يرجع اليه بعد اخذه منه ثم يعود به وفي قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانزلنا من السماء ماء قال البغوي اللواقح من الرياح التي تحمل الندا ثم تمجه في السحاب فاذا اجتمع صار امطارا فان السحاب تلقح كما تلقح البقر باللبن وقال المسعودي ليس في الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل وفي ذلك يقول

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو العين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وقال ايضا

انظر الى النيل السعيد وقد اتى * في عسكر الموج المديد معربدا
حصر البلاد فسلمته ارضها * فكسى ثراها حين ولى سندسا

قال المسعودي ومن عادة النيل اذا كان عند ابتداء زيادته يخضر ماؤه فيقول اهل مصر توحم النيل ويرون ان الشرب منه مضر وسبب ذلك ان البطيحات المتقدم ذكرها اذا تناقص النيل عن الزيادة ينقطع عنه الامداد من المياه فيتغير ماؤه من لونه ويخضر فاذا زاد النيل ساق تلك المياه القديمة التي هي في اعالي النيل التي كانت راكدة فيقول العوام قد توحم البحر وقيل في المعنى

عجب لنيل مصر لانه * عجب اذا فكرت فيه يعظم
يطأ الاراضي فهي تلقح دائما * من مائه وهو الذي يتوحم

ومن عجائب النيل فيه فرس البحر قال عبد الله بن احمد الاسرائي ان فرس البحر غالظ الجاموس قصيرة القوائم ولها احقاف وهي في الوان الخيل ولها معرفة واذنان صغار كاذني الخيل ولها ذيل مثل ذيل الجاموس ولها صهيل كالخيل ولها انياب كانياب السباع ولها حافر مشقوق كحافر البقر واذا ظفرت بالتمساح تأكله واذا اطلعت الى البر يحصل منها الضرر الشامل لاهل النواحي فترعى الزروع فاذا حصل منها ضرر ولازمت تلك الجهات يطرح لها اهل القرى شيئا من الترمس في الموضع الذي تطلع منه فتأكله وتعود الى الماء فاذا شربت رباذلك الترمس في جوفها فتنتفخ فتموت وتعلو على وجه الماء وقيل ان المكان الذي تسكن فيه لا يقيم به التمساح واكثر ما ترى فرس البحر في دنقلة واسوان من جهات الصعيد قال الكندي ان النيل اشرف انهار الارض فانه يسقي عدة اقاليم من ديار مصر وماؤه افضل المياه وبذلك يشهد جماعة من الحكماء منهم ابن سينا وابن نفيس وذكروا ان ماءه يهضم كل المياه الرديئة ويقوي المعدة لانه يمر على ارض الذهب وقال بعضهم الشرب من ماء النيل ينسي الغريب الوطن واعظم من هذا كله ما جاءت به اخبار الشريعة ان منبعه من الجنة من تحت سدرة المنتهى وقد ورد بذلك اخبار نبوية قال الشيخ زين الدين بن الوردي

ديار مصر هي الدنيا وسكانها * هم الانام فقابلها بتفضيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

انتهى ما اوردناه من ذكر الانهار وذلك على سبيل الاختصار

(ذكر اخبار الجبال) قال الشيخ ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ان الذي عرف من الجبال في سائر اقاليم الدنيا مائة وثمانية وتسعون جبلا فالمشهور منها ما سنذكره دون غيره من الجبال * اخرج ابن ابي الدنيا في كتاب الورع ان اول جبل وضع على وجه الارض جبل ابي قبيس الذي بمكة وقال الواقدي ان جبل ق ابو الجبال كلها وقد جعل الله تعالى لكل جبل من جبال الدنيا عرقا متصلا به * وروى في بعض الاخبار ان الله تعالى وكل بجبل ق ملكا عظيم الخلقة يقال له ق فاذا اراد الله تعالى زلزلة في الارض او خسف ناحية امر ذلك الملك الموكل بجبل ق ان يحرك عرقا من عروقه فاذا حركه تزلزلت تلك الارض او خسف بها وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان جبل ق محيط بالدنيا وهو جبل عظيم لا يعلم قدره الا الله تعالى وقد اقسم به في القرآن العظيم فقال عز من قائل ق والقرآن المجيد قال كعب الاحبار رضي الله عنه ان خلف جبل ق سبعون الف ارض من فضة ومثلها من حديد ومثلها من مسك وهي مشرقة بالنور وسكانها ملائكة ولا يرى فيها قمر ولا شمس ولا حر ولا برد طول كل ارض عشرة آلاف سنة وخلف ذلك بحار من ظلمة وخلف ذلك حجاب من ريح وخلف ذلك حية عظيمة محيطة بجميع الدنيا تسبح الله تعالى الى يوم القيامة * وروى في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله تعالى ارضا بيضاء مثل الفضة وهي قدر الدنيا ثلاثين مرة وبها امم كثيرة لا يعصون الله طرفة عين قالت الصحابة يا رسول الله امن ولد آدم هم قال لا يعلمهم غير الله وليس لهم علم بآدم قالوا يا رسول الله فأين ابليس منهم فقال ولا يعلمون بابليس ثم تلا قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون قال وهب بن منبه ان بالقرب من جبل ق ارضا رجراجة لا تستقر عليها الاقدام وبها صنم من نحاس وهو ماد يده الى وراءه كأنه يقول ليس وراءي مسلك ويقال ان ذا القرنين وصل الى تلك الارض في سبعين الف من عسكره فماتوا جميعا واما الجبل الجودي الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام فانه من جبال الموصل وقد روى في بعض الاخبار ان الله تعالى اوحى الى الجبال اني ارسي السفينة على جبل منكن فتشامخت الجبال كلها الا جبل الجودي فانه تواضع وخر ساجدا لله تعالى فارسى الله السفينة عليه ويقال ان حجارة الكعبة نقلت من جبل الجودي حتى يصير ثقله في ميزان من يحج واما جبل الراهون وهو الذي اهبط عليه آدم عليه السلام لما اخرج من الجنة ويروى ان في هذا الجبل اثر اقدام آدم وهي مغموسة

في

في البحر وطولها نحو عشرة اذرع ويرى على هذا الجبل نور ساطع يشبه البرق لا يزال ليلا
ونهارا وهو محيط بارض الهند مشرف على وادي سرنديب وان اهل تلك الناحية اقوام
يقال لهم البرهت يقرون بالله تعالى ويجحدون الانبياء وهم عراة الاجسام ولهم شعور
تغطي عوراتهم وطعامهم من اشجار تلك الناحية وشرابهم من عيون هناك وبهذا الجبل
دابة تسمى الكركند وهي مشهورة به وبهذا الجبل معدن الياقوت الاحمر والاصفر
والازرق وبه حجر الالماس وحجر البنادج وغير ذلك من المعادن الفاخرة وبتلك
الارض انواع الطيب كالسنبل والقرنفل وغير ذلك من العطر الطيب ويقال ان ذلك
الياقوت حصى ذلك الجبل وينحدر منه بالسيول وفيه تعشش النسور فاذا لم ينحدر منه
شيء بالسيول تذبح اهل تلك النواحي شيئا من الحيوان ويسلخون جلده ثم يقطعون لحمه
قطعا كبارا ويتركونها تحت ذلك الجبل فتاتي اليها النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به على
الجبل عند اوكارها فاذا وضعته على الارض تعلق به حصى الياقوت ثم تاتي اليه نسور
اخرى فتخطفه وتطير به الى ارض اخرى فتضعه فيلتقط حصى ثم تخطفه نسور اخرى فربما
هم طائرون به يقع منه حصى الى اسفل الجبل فيلتقط الحصى المراقبون له وهذا الجبل
شاهق في الهواء صعب المسالك جدا وبارضه حيات عظيمة تبتلع الجمل والفرس
والآدمي فاذا ثقل في بطنها عمدت الى اصل شجرة والتوت عليها فقذف ما في بطنها
وقال ارسطاطاليس ان في بحر الهند جبلا اذا قربت السفن من هذا الجبل تناثرت
مسامير الحديد التي فيها جميعا وتاتي فتلتصق بهذا الجبل وهذا من سر حجارة المغناطيس
فان الحديد يجذبه حجر المغناطيس جذبا قويا * واما جبل القمر فقد تقدم ذكره في اخبار
النيل واما جبل الفتح فببلاد التتر يسكنه امم من قبائل التتر نحو سبعين امة لكل امة
لسان وهو جبل عال وفيه مغاير وشعاب واودية ومفاوز انتهى ذلك * ومن العجائب
ان ببلاد سمرقند جبلا فيه الحجوبة وهي مغارة تدخلها الناس ويمشون تحت الارض
مقدار ساعة فيجدون الفضاء وفي ذلك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة
اناس قاطنون وفي ذلك المكان مسجد وكنيسة فاذا كان الداخل مسلما اتوا به الى
المسجد وان كان نصرانيا اتوا به الى الكنيسة وفي ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى قد
صاروا جلودا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شيء وعليهم اقبية من القطن
وكفوفهم مفتوحة كانهم يصافحون بها من اتى اليهم وعلى رؤسهم عمائم وهم قيام
وظهورهم الى حائط المغارة فمنهم جماعة على وجوههم اثر الضرب بالسيوف وفي
اجسادهم اثر الطعن بالرماح وفيهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهناك تابوت
فيه امرأة وعلى صدرها صبي صغير وحلمة ثديها في فمه وهناك سرير وعليه اثنا عشر رجلا

وهم نيام على ظهورهم وبعضهم صبي مخضبة بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا من اى طائفة هم فمن الناس من يقول انهم من شهداء المسلمين قتلوا فى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام ومنهم من يقول انهم قتلوا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر اهل تلك الناحية ان فى كل سنة يكسونهم الاثواب من القطن ويحلقون رؤسهم ويقصون اظفارهم وهم عظام عليها جلود ولا ارواح فيها واما جبل كورة رسم من اعمال الشرق ففيه اعجوبتان وهما ان فيه غارا اذا دخل فيه انسان وجد فى ذلك الغار حزمة من الحطب فيها قضبان عددهم خمسة عشر قضيبا لا يعلم من أى الاخشاب هى فاذا اخذ تلك الحزمة انسان وخرج بها من الغار سقطت اخرى غيرها فى الحال فهى على ذلك لا تنقطع على ممر الزمان ولو تكرر اخذها فى النهار مرارا سقط بدل ما اخذوا الاعجوبة الاخرى به مغارة اخرى فيها عظم ميت وهو واقف فى المغارة فيأتى اليه انسان فيضعه على الارض ممدودا ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان اولا ثم يخرج به من المغارة ويبعد به عن ذلك المكان مسافة بعيدة ويضعه فى البرية ملقى على الارض ثم يسوق فرسه مشوارا واحدا ويجىء الى تلك المغارة فيجده قد سبقه الى تلك المغارة وهو واقف كما كان فيها اولا واهل تلك الناحية يسمونه الشهيد اه ذلك واما جبال مكة فمنها جبل حرا وجبل ثور الذى به المغار وجبل ثبير وجبل مفرح الذى بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحنا وغير ذلك من الجبال * ومن العجائب ان جبلا بمدينة آمد فيه صدع من ادخل سيفه فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضطرب السيف ويرتعد صاحب السيف ولو كان صاحب السيف اشد الناس قوة واما جبل قافونا فمبدأه من كتف السد الذى على يأجوج ومأجوج وينتهى الى ارض الصين واما جبل الجرد فهو عند بحر الظلمات ومن عجائبه ان به اناسا اعينهم فى مناكبهم وافواههم فى صدورهم وليس لهم اكل سوى السمك ويقال ان عندهم بذلك الجبل بذرا اذا بذروه عندهم ينبت حملا مثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوا بذلك الحمل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه واكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دسم وصفة الخروف عندهم يكون على قدر القط وليس على جسده صوف واما جبل بكرسقانا ممتداه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل تأوى اليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركند * واما جبل اللكان فبأرض دمشق ومبدأه من مكة والمدينة وهذا الجبل يسمى هناك بجبل مفرح ثم يمتد من هناك حتى يتصل بدمشق ويسمى بدمشق جبل لبنان وجبل الثلج ويمتد هذا الى انطاكية والمصيص ويصل الى بحيرة طبرستان عند باب الايوان ويمتد منه طرف الى صفد والمتصل منه بدمشق والمطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل الى بعلبك

ويسمى هناك بجبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس والى حصن الاكراد ويتصل الى حمص من غربيها ويسمى في تلك الجهة بجبل اللكام ولا يزال هذا الجبل يمتد الى ان يتصل بجبال الروم ويقال ان هذا الجبل يأوي اليه القاقم وهو شيء يشبه الفيران يتربى في الثلج فيصيدونه بالشرك * ونقل صاحب المبدا ان ببعض نواحي دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف عنده انسان ونظر اليه وانشد هذين البيتين يتمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب بذكر حبيبه وهما هذان البيتان

يا سا كنا بالجبل البلقع * ويا ديار الظاعنين اسمعي

ما هي دياري واسكنها * ديار من اهوى فنوحي معي

قيل ان الناس يقصدونه وقت القائلة في شدة الحر وليس في الجو هواء ويذكرون عنده هذين البيتين فيرون منه ذلك التمايل وان لم ينشدوه فهو ساكن لا يتحرك وهذا من العجائب * واعجب من هذه الحكاية ما ذكره ابن وصيف شاه في اخبار مصر ان بنواحي الصعيد شجرة اذا وضع احد يديه عليها وقال يا شجر العباس جاءك الناس تجمع اوراقها وتشرع في الذبول واذا قال لها عفونا عنك ترجع الى ما كانت عليه من الحسن والنضارة وهذه الشجرة تشبه شجرة السنط مستديرة الاوراق بهية المنظر * واما جبل طور سيناء قيل هو بالقرب من عقبة ايليا ويقال ان به قبر هارون اخي موسى عليهما السلام * وجبل في جهات الصعيد فيه عدة جبال كبار وصغار يوجد فيها مقاطع الرخام السماقي واللازوردي والفستقي والابيض والكهرماني ويقال في البهنسا جبل فيه مغاير يوجد فيها الزمرد الذبابي قال المسعودي ليس في الدنيا يوجد معدن الزمرد الذبابي الا بمصر في نواحي البهنسا ولم يزل هذا المعدن يوجد هناك الى اوائل قرن المائة السابعة ثم انقطع وجوده من هناك واما الجنادل فهي جبلان صغيران والنيل يشق بينهما فيسمع له هناك دوي عظيم وذلك المكان لا تسلكه المراكب الكبار وهو الفارق بين سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف بالجنادل والصخور كما تقدم ذكره واما جبل الطير فهو بصعيد مصر في ضيعة يقال لها اشمون مطل على بحر النيل وفيه اعجوبة لم يسمع بمثلها في سائر البلدان وذلك انه في آخر فصل الربيع في يوم معلوم من السنة تأتي اليه طيور كثيرة وهي بلق سود الارقاب مطوقات بالبياض وفي اصواتها بحة واذا طارت ملأت الآفاق ويقال لها طيور البح فيصعدون مكانا في هذا الجبل فينفرد منها طائر فيضرب بمنقاره في المكان فان تعلق بمنقاره في ذلك الشعب وقبض عليه تفرقت عنه بقية الطيور وان لم يتعلق ذلك الطير تقدم غيره فيضرب بمنقاره فان تعلق والا تأخر ويتقدم غيره فلا يزال يتقدم واحد بعد واحد حتى يتعلق واحد فان تعلق نفرت الطيور كلها وذهبت الى حال سبيلها فلا يزال

ذلك الطائر معلقا بمنقاره حتى يموت ويضمحل فيقع على الارض وهذا دأب تلك الطيور
فى كل سنة وهذه الواقعة مشهورة فى تلك البلاد (وحكى) انه فى بعض السنين تعلق طائر
بمنقاره فلما رأته الطيور متعلقا جعلت تضربه بمناقيرها وتسوقه الى ان جاء الى الشعب
وضرب بمنقاره فتعلق كما كان حتى مات وهذه من العجائب وقيل اذا كان السنة
مخصبة جيدة يتعلق اثنان واذا كانت متوسطة يتعلق واحد واذا كانت مجدبة لم يتعلق
شئ واما الجبل المقطم فان اوله بالمشرق من نواحى بلاد الصين ويمر من بلاد التتر حتى يأتى
الى مدينة فرغانة والى جبال التيم ويتصل بجبال القلزم من جهة اخرى قال بعض العلماء
انما سمى بالمقطم لان المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع لانه مقطوع من النبات
والاشجار فلذلك سمى المقطم وروى عن الامام الليث بن سعد رضى الله عنه انه قال لما
قدم عمرو بن العاص الى مصر عند فتحها فلما فتحها سار يوما الى سفح الجبل المقطم وكان
صحبته المقوقس عزيز القبط صاحب مصر فقال له عمرو بن العاص ما بال جبلكم هذا
اقرع ليس به اشجار ولا نبات فقال له المقوقس ان فى كتبنا القديمة انه كان اكثر
الجبال نباتا واشجارا فلما كانت الليلة التى ناجى موسى ربه فيها اوحى الله الى الجبال انى
مكلم نبيا من الانبياء على واحد منكم فعند ذلك شمخت الجبال كلها الا جبل بيت
المقدس فانه تصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك فقال اعظاما واجلالا لك يارب فأمر الله
تعالى كل الجبال ان تمده مما عليها من الاشجار فجاد له الجبل المقطم بجميع ما كان
عليه من الاشجار والنبات وكان اكثر الجبال اشجارا ونباتا فأوحى الله اليه انى موطنك
على فعلك وذلك بغراس الجنة وهم المؤمنون من امة محمد صلى الله عليه وسلم ويروى
ان كعب الاحبار رضى الله عنه قال لرجل من اصحابه يريد التوجه الى مصر فاذا جئت الى
بيت المقدس فاصحب لى معك شيئا من تراب الجبل المقطم ففعل الرجل ذلك فلما دفع
اليه تراب المقطم وضعه فى جراب وجعله عنده واوصاه انه اذا مات يفرش ذلك التراب فى
قبره للتبرك فلما مات وضعوا التراب فى قبره * واما الجبل الاحمر فانه متصل بالجبل المقطم
مطل على القاهرة من شرقيها ويعرف بالجبل اليحموم واليحموم عند العرب الاسود
وقال الكندى ان بمصر ثلاثة جبال صغار تسمى الشرف احدها الذى وضعت عليه
القلعة وسميت قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والثانى الذى وضع عليه جامع
احمد بن طولون ويسمى يشكر ويقال ان موسى ناجى ربه عليه والجبل الثالث وهو المطل
على بركة الحبش الذى وضع عليه الرصد فعرف به * واما جبل الكبش فهو الذى عند
الجسر الاعظم وكان قديما يشرف على بحر النيل وهو متصل بجبل يشكر وانما سمى
بجبل الكبش لان الصحابة لما نزلت بأرض مصر سار كبش وهو رجل من الصحابة الى

ذلك الجبل ونزل وحده فمن ذلك سمي جبل الكبش وأما جبل لوقا وهو غربي مصر
قليل الارتفاع وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في مكان وتتسع في مكان
وهذا الجبل اقرع مثل الجبل المقطم لانبات به وماؤه مالح ويجفف ما يدفن فيه من بني
آدم انتهى ما اوردناه من اخبار الجبال وذلك على سبيل الاختصار

(ذكر عجائب البلدان وما فيها من الحكم)

قال القضاعي ان من البلدان العجيبة مدينة رومية قيل ان دورها عشرون فرسخا
وعليها ثمانية اسوار من الحجارة الصوان المانع وهي على جبل داخل البحر المالح وهو
محيط بها ويقال ان الجن بنتها لسليمان بن داود عليهما السلام وحول هذه المدينة خندق
من النحاس عمقه اربعون ذراعا وعرضه مثل ذلك وعليه الواح من نحاس كهيئة
الطوارق طول كل لوح خمسون ذراعا وعرضه عشرين ذراعا في غلظ ذراعين وجعلوا من
اول هذه المدينة الى آخرها اعمدة من النحاس الاصفر وعلى تلك الاعمدة مجراة من
النحاس قدر الخليج يجري فيها الماء وبهذه المدينة اربعمائة منارة من الذهب الاحمر
طول كل منارة مائة ذراع وهي حول الكنيسة الكبيرة وبها مكان مربع وعليه
درابزون من الذهب ويقولون ان به ملكا من الملائكة مقيم في ذلك المكان لا يبرح عنه
ابدا وبها جثة بطرس وبواص من حواري عيسى ابن مريم عليه السلام وهما في توابيت
من ذهب معلقين بسلاسل من فضة في هذه الكنيسة وقد كان حولها الف ومائتا
كنيسة يسكنها الرهبان في صوامع بها ولهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا وهي مصفحة
بصفائح الذهب والفضة وفي دائرها الف شباك من النحاس الاصفر خارجا عن الابواب
الابنوس وفيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهي من الزمرد الاخضر وطولها
ذراعان وعرضها ذراع وهي محمولة على اثنى عشر تمثالا من الذهب باعين من الياقوت
الاحمر وهي تقد كالشمس واما صفة هذه المدينة فاسواقها وشوارعها مبلطة بالرخام
الابيض وبها حجارة مكتوب عليها بالقلم العبراني فاذا جعلوا تحتها قمحا طحنته بدوران
سريع فيصير دقيقا فاذا فرغ القمح بطلت حركتها وبها ايضا من العجائب انه في ليلة
الشعانين ينفتح في الكنيسة الكبرى كوة فيخرج منها تراب ابيض ولا يزال يخرج الى
الصباح فاذا طلع الفجر انقطع التراب ومن خاصية هذا التراب انه ينفع للملسوع فيفرقونه
للاجر فاذا بيع بطل نفعه وكان بها من العجائب صخرة من رخام اخضر عليها كتابة
بالقلم القديم فمن اراد ان يعلم حال الغائب او المسافر او الباقي فيجيء الى تلك الصخرة
وينام عليها فيرا في منامه جميع ما يكون من حال الغائب وغيره وكان بها من العجائب
حجر اذا وضع عليه الانسان يده تقايأ كل ما في جوفه فما دامت يده موضوعة فهو يتقايا

وان لم يرفع يده عنه كفاية والاخرجت اعماؤه فيموت * وكان بها من العجائب شجرة من نحاس اصفر وعليها هيئة طائر من نحاس فاذا كان اوان الزيتون صفر ذلك الطائر النحاس صفيرا عاليا فيأتي اليه كل زرزور في الدنيا وفي كل رجل من رجليه زيتونة وفي منقاره زيتونة فيضعونه على سطح الكنيسة الكبرى فيجمع الرهبان من تلك الزيتون شيئا كثيرا فيعصرونه ويخرجون زيته فيكفيهم من العام الى العام وقيدا واكلا وقيل كانوا اذا ادخروا فيها الغلال دهرا طويلا لا يتغير لانها مبنية في مكان معتدل جدا غير وخيم

(واما اخبار مدينة الاسكندرية)

قال المسعودي هذه المدينة من اعظم مدائن الدنيا وقد بنيت بعد الطوفان على يد مصرائم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ثم خربت بعد ذلك فبنتها الملائكة رقود ثم خربت بعد ذلك فبناها الاسكندر ذو القرنين فعرفت به قال ابن الحليم في اخبار مصر بناها الاسكندر بن فلقش المخزومي وكان من اليونان وقيل بناها شداد بن عاد والاقوال في ذلك كثيرة وقال بعض المفسرين ان الاسكندرية هي ارم ذات العماد التي ذكرت في القرآن العظيم وقيل انها بنيت في ثلاثمائة سنة وسكنت ثلاثمائة سنة وخربت ثلاثمائة سنة وقال ابن وصيف شاه بنيت الاسكندرية ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وهي اثنا عشر فرسخا في مثل ذلك واقام لبنائها الف الف صايغ وعمل فيها اسارب يقناطر تتصل الى بحر النيل قال ابن عبد الحليم لما ارادوا ان يبنوا اساس الاسكندرية كان يخرج اليهم من البحر صور على صفة السباع والذئاب والكلاب والخنازير وغير ذلك فيهدمون تحت الليل ما تبنيه الرجال بالنهار فلما اعيا الملوك ذلك حضر اليهم بعض الحكماء وعمل اشباه تلك الصور التي تطلع من البحر فلما خرجت تلك الصور رأت مثل صورها مقابلها فهربت منها ولم تعد بعد ذلك * قال ابن عبد الحليم قامت الاسكندرية سبعين سنة لا يقدر احد ان يدخلها الا وعلى عينيه شعرية او خرقة زرقاء من شدة بياض حيطانها فانها كانت تخطف الابصار وكان لا يوقد بها سراج في الليالي المقمرة وكانت عمارتها ممتدة من رمال رشيد الى برقة وتسير المراكب في ظل الاشجار مستترة من حر الشمس ويقال ان اهلها اكثر الناس اعمارا لصحة هوائها وطيب ارضها ولم تزل الاسكندرية على ذلك حتى فتحها عمرو بن العاص * قال المسعودي اختلف المؤرخون في من بنى المنارة فقيل انه الاسكندر بن فلقش الرومي وقيل الملكة رقود وقيل الذي بنى رومية بنى المنارة وقيل الاسكندر ذو القرنين قال ابن وصيف شاه كان الاسكندر بن فلقش من اليونانين وكان رأسه قدر القبة العظيمة وكان طول انفه ثلاثة اذرع فلما بنى هذه المنارة جعلها على كرسي من الزجاج كهيئة الجبل وهو في جوف البحر وكان

طول هذه المنارة فى الزمن القديم الف ذراع ثم خربت حتى بقى منها اثنان وثمانون
ذراعا وقد بنى فى اعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال يدور مع الشمس حيث دارت ومنها
تمثال يشير بيديه الى البحر فاذا وصل عدو الى البلد وصار قريبا منها يسمع لذلك التماثيل
صوت عال فيعلم اهل المدينة ان العدو صار قريبا منهم فيستعدون لقتاله وكانت هذه
المنارة مبنية بحجارة من الصوان وبينها شىء من الرصاص المذاب وقد جعلوا فى هذه
المنارة ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد الى تلك البيوت وهى محملة
مما يحتاج اليه اهل تلك البيوت وكان لهذه البيوت طاقات تشرف على البحر الرومى
وكان الغريب اذا دخلها يتوه فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وقيل ان جماعة دخلوها
فتاه فيها احدهم فلم يقدر على الخروج من التوهان ومات جوعا وكان بها مرابطون لاجل
الجهاد لا يبرحون عنها وكان لاهل تلك المدينة يوم مشهور يسمونه يوم العدس
فيجتمعون فيه عند المنارة ويأتون بطعام العدس ويأكلون عندها ويحملونه للتنزه
وكان يوقد بهذه المنارة نار ليلا ليهتدى اليها المسافرون وفى حسنها وكمالها يقول
القائل ﷲ در منار سكندرية كم * يسمو اليها على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى اوصافه شمم * كانه باهت فى دارة الافق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كموقع النوم فى اجفان ذى ارق
قال ابن وصيف شاه فى اعلى هذه المنارة قبة من نحاس أصفر منصوب فوقها مرآة من
معادن شتى وقيل كانت من الحديد الصينى وقيل كانت من زجاج مدبر بالحكمة وكانوا
قدرها خمسة اشبار وقيل سبعة اشبار وهى على كرسى من نحاس مدبر بالحكمة وكان
ينظرون فيها كل ساعة الى من يخرج من بلاد الروم من مسافة تعجز عنها الابصار
فيستعدون لذلك فان كان العدو مدركهم يديرون تلك المرآة مقابل الشمس ويستقبلون
بها سفن العدو فيقع شعاعها على السفن فتحترق عن آخرها فيهلك كل من فيها وان ارادوا
اهل تلك المدينة ان يعلموا غيرهم من نواحيهم بعدوهم فينشروا فى اعلى المنارة اعلاما
فيعلم اهل تلك النواحى بالعدو فيستعدون للقتال أيضا قال ولم تزل المنارة على هذه
الحالة حتى جاء عمرو بن العاص واخرج جماعة كتابا مكتوب فيه ان اموال الاسكندر تحت
هذه المنارة وحسنوا لعمرو بن العاص هدمها واخذ الاموال من تحتها ثم يعيدها الى ما
كانت عليه بذلك فطمع بذلك وقلع المرآة وهدم من المنارة ثلثها فلم يجد شيئا فعلم ان ذلك
دسيسة لهدم المنارة ليبطل عمل المرآة والصنم وغيرهما من المنافع لهم المضرة للعدو فطلب
الذين أشاروا عليه بهدمها فوجدهم قد هربوا وتمت حيلتهم على عمرو بن العاص وكان
أصل هذه الحيلة من الروم ثم انه قد بنى المنارة ثانيا ونصب عليها المرآة كما كانت فبطل

عملها الذى كانت عليه من الرؤيا والاحراق واستقرت المنارة قائمة فى الهواء بغير منفعة الى تسع وسبعين ومائة من الهجرة فوقعت زلزلة عظيمة فسقط راس المنارة فلما استولى احمد بن طيلون على مصر بنى فى أعلى المنارة قبة من الخشب واستقرت على ذلك الى زمان الظاهر بيبرس البندقدارى فسقطت تلك القبة فبناها وجعل فى أعلى المنارة مسجدا وذلك فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة واستقرت على ذلك الى اثنين وسبعمائة من دولة الناصر محمد بن قلاون فوقعت فى أيامه زلزلة عظيمة فسقطت المنارة عن آخرها ونسخ أمرها من يومئذ

(ذكر أخبار عمود السوارى)

قال القضاعى ومن العجائب عمود السوارى الذى بثغر الاسكندرية وهو من الحجر الصوان وارتفاعه سبعون ذراعا ودوره خمسة أذرع ونصف وكان هذا العمود من جملة سبعة أعمدة وكان فوقها رواقا يقال له بيت الحكمة فلما كان أيام سليمان بن داود عليهما السلام هدم ذلك البيت وجعله مسجد العبادة وكان حول ذلك الرواق أربعمائة عمود يسمونه الملعب يجتمعون تحت تلك العمد فى يوم معلوم من السنة ويرمون بينهم الكرة فلا تقع فى حجر أحد منهم والذى تقع فى حجره يكون ملكا فى مصر ولو بعد حين فحضر فى بعض أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة فى حجره فملك مصر بعد ذلك فى زمن الاسلام وكان يحضر فى ذلك الملعب ألف ألف انسان من الاقباط وغيرها من سائر الاجناس قيل لما وقعت الكرة فى حجر عمرو بن العاص تعجب كل من كان حاضرا وقالوا من أين لهذا الاعرابى ان يصير ملك مصر بيده فلا زالت ارادة الله تعالى الى ان صار والى مصر والاسكندرية من أعمال مصر وقد قال القائل

يقولون المنارة والسوارى * واهل للعوامد والبناء
ويفتخرون فى حق وجهل * بعلمهم وحاصله هواء

قال المسعودى ان اهل الاسكندرية ينسبون الى الشح والبخل الزائد وتطول فيها الاعمار وكذلك قرية مريوط ووادى فرغانة بالغرب وسبب ذلك لقربها من النيل وظهور ريح الصبا فيها وذلك مما يعالج أبدانهم ويرقق طباعهم ويرفع هممهم وقيل فيهم

نزيل اسكندرية ليس يقرى * بغير الماء ونعت السوارى
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبز * فما فيها لذاك الحرف قارى
وقال اسكندرية كربه * وجر نار تسعر
ان قيل ثغر أبيض قلت راكس أبخر

(ذكر أخبار صنم الاهرام)

قال القضاعى ومن عجائب مصر الصنم الذى عند الهرمين بالجيزة ويسمى بالهوية ويعرف

بابي الهول عند أهل مصر فيقال انه طاسم لدفع الرمل لئلا يغلب على اهل الجيزة وقال
هذا الصنم من الحجر الكدان لا يظهر منه سوى رأسه وبقيته مدفونة في الرمل ويقال
طوله سبعون ذراعا وفي وجهه دهان يلمع له رونق كانه يضحك تبسما وكان في مقابلته صنم
مثله في مصر عند قصر الشمع وهو من الصوان المانع ويقولون انه طلسم يمنع الماء عن بر مصر
وكل من الصنمين مستقبل المشرق وبقي صنم قصر الشمع الى سنة احدى عشر وسبعمائة
ثم قطعه الملك الناصر محمد بن قلاون وصنع منه اعتابا وقواعد لما بنى الجامع الجديد على
بحر النيل ولم يبق لهذا الصنم اثر وبقي ابو الهول الى يومنا هذا وهو موجود عند الاهرام
ومن العجائب ان قرية من اعمال اسوان وهي شرقي النيل ولها سور وابواب وهي قرية
خراب وعلى احد ابوابها جميزة كبيرة فاذا كان ايام الشتاء يرون في كل يوم قبل طلوع الشمس
اناسا غير جنس بني آدم يدخلون تلك القرية ويخرجون منها فاذا دخل الناس الى تلك
القرية لم يروا فيها احدا من الذين كانوا يدخلون اليها ويخرجون منها وهذه الواقعة
مشهورة عند أهل تلك الناحية * ومن العجائب ان ببلاد الهند ضيعة يقال لها كام وبها
عمود من نحاس أصفر وعليه صفة طائر من نحاس فاذا كان يوم عاشوراء نشر ذلك الطائر
جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية ويسقي زروعهم وبساتينهم ويملأ
صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام الى العام وهذا دأب الطائر في كل سنة ويقرب من ذلك
انه كان ببلاد الاندلس فرس من نحاس وعليها راكب من نحاس فاذا دخلت الاشهر
الحرم هطل من تلك الفرس الماء اغزيرا حتى يعم أرضهم وبساتينهم وآبارهم فاذا مضت
الاشهر الحرم انقطع ذلك الماء وهو يكفيهم من العام الى العام * ومن اعجب العجائب ان
حكيما من بعض الحكماء في بعض مدائن بابل صنع حوضا من رخام ابيض وعليه كتابة
بالقلم القديم فتجتمع أهل تلك المدينة ويأتي كل منهم بشراب فيفرغه في ذلك الحوض
فتختلط الاشربة كلها في بعضها البعض حتى تصير شيئا واحدا ثم يقف الساقي على ذلك
الحوض ويسقي فلا يطلع لكل واحد في قدحه الا من الشراب الذي اتى به صبه في
الحوض ومن العجائب انه كان ببيت المقدس كلب من الخشب اذا مر به ساحر نبح عليه
ذلك الكلب الخشب ويسلب منه عمل السحر ويقال ان بعض السحرة رمى ذلك الكلب
بسهم ليقتله فعاد السهم على راميه فقتله * ومن العجائب انه كان بمدينة ابهر طلسم
للبعوض فلا يدخلها البعوض فكان اذا أخرج احد يده من السور الى خارج المدينة
وقع عليها البعوض واذا دخلها ارتفع عنها البعوض ولا يدخل الى داخل السور * ومن
العجائب ان في بلاد الشرق ضيعة وبها دير يقال له دير الخنافس في يوم معلوم من السنة
يمتلئ الدير والارض التي حوله بالخنافس وهي تشبه سوس الخشب فتمشي الناس عليها

لكثرتها فاذا انقضى ذلك اليوم لم يرمن تلك الخنافس شئ وقد احتال بعض الناس على هذه الخنافس وأدخل منها شيئا فى القنانى وختم عليها بشمع فلما انقضى ذلك اليوم لم يجد فى القنانى شيئا والشمع بحاله مختوم ومن العجائب ان فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها اقوام يعبدون النار فى يوم معلوم من السنة يأتى شخص او أكثر من اهل تلك المدينة و يقرب نفسه الى النار فيوقد له النار بزيادة فاذا تسعرت النار طرح ذلك الشخص نفسه فيها فيكون له غليان عظيم ويخرج له دخان قتيم فاذا كان اليوم الثانى يظهر من تلك النار شخص على هيئة المحروق فيسلم على اصحابه فيسألونه عن حاله فيخبرهم انه فى رياض الجنة و يرغبهم فى ان يلقوا انفسهم فى النار ثم يختفى عنهم وذلك الشخص الذى يظهر لهم انما هو شيطان من الجن موكل بتلك النار وقد جعله الله اضلال هذه الطائفة * ومن العجائب ان ببلاد الصين مدينة يقال لها جاسق فيها رجال على صفة الناس لا يتكلمون الا بالاشارة ولهم ايد طوال تصل الى اقدامهم عند الوقوف ولهم وثوب نحو عشرة أذرع فى الهواء ولم يأو هذا الجنس الا فى البساتين و يسكن على الاشجار وينفر من الناس و يتناكحون و يتناسلون فى البساتين ولهم احاليل طويل يصل الى افخاذهم وهم عراة الاجسام وفيهم الابيض والاسود ونساؤهم على هيئتهم فى الشكل * ومن العجائب ان بمدينة اذربيجان واديا و يه دود أحمر يظهر فى زمن الربيع يسمونه القرمز فيلتقطونه ويطبخونه و يصبغون به اللون الذى يسمونه الارجوان وكان ابتداء وجود هذا الدود فى اوائل قرن المائة الرابعة وذلك ان راعيا كان يرعى غنمه فدخل الى ذلك الوادى ليرعى به الغنم فرأى كلب الرعى دودة فأكلها فبقى على خرطومه من دمها فأخذ الراعى صوفة ومسح بها ذلك الدم فانصبغت الصوفة بالحمرة فلما دخل المدينة شاع خبره بما وقع له فى ذلك الوادى فأتوه وجمعوا من ذلك الدود وخلطوا معه شيئا من القرمز وطبخوه فجاء من احسن الالوان و يصبغون منه الآن * ومن العجائب انه كان بمدينة حمص حجر ابيض وعليه صورة عقرب فاذا لدغ انسانا عقرب اخذ طينا والصقه على تلك الصورة فاذا جف وقع أخذه وذوبه بالماء وشرب منه الملسوع يبرأ من ساعته وذلك طلسم العقارب * ومن العجائب ان ببلاد الصين كنيسة كبيرة ولها سبعة ابواب فيها قبة عالية وفى وسط تلك القبة جوهرة قدر بيضة الدجاج وهى معلقة تضئ منها تلك القبة وقد جاء جماعة كثيرون ليأخذوا تلك الجوهرة فكان اذا دنا أحد منها على مقدار عشرة اذرع خر ميتا وان احتال عليها بشئ من الآلات الطوال كالرمح أو غيره انعكست حيلته فليس اليها سبيل وقد قصدها ملوك كثيرة فلم تتم لهم حيلة على أخذها * ومن العجائب اهل قريتين قتلوا بالسيف عن آخرهم بسبب قطرة من عسل وسبب ذلك ان رجلا نحالا

فى

في قرية اخذ ضرفا من العسل ليبيعه في قرية أخرى فجاء الى زيات وفتح الضرف ليريه العسل فقطرت من العسل قطرة على الارض فانقض عليها زنبور فخطفته قطة فخطف القطة كلب وكانت القطة للزيات والكلب للعسال فلما راى الزيات ان الكلب افترس القطة ضرب الزيات الكلب فقتله فلما راى العسال كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله فلما راى ولد الزيات ان أباه قد قتل ضرب العسال فقتله فلما سمع اهل القريتين بقتل الرجلين ابدوا عدة حربهم ولا زالوا يقتتلون حتى فنوا تحت السيف عن آخرهم وكان سببه قطرة من عسل كما يقال ومعظم النار من مستصغر الشرر *(لطيفة)* منتزهات الارض اربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق اما سغد سمرقند فهو نهر تحف به اشجار مثمرة بالفواكه والازهار وهي مشتبكة بعضها ببعض ممتدة مقدار اثنى عشر فرسخا في مثله واما شعب بوان فهو من نواحي نيسابور وهي مقدار فرسخين وفيها انهار متدفقة واشجار مثمرة طيبة واما نهر الابلة فهو من اعمال البصرة وهو على اربع فراسخ منها ومن جوانبه الاشجار الطيبة الثمار واما غوطة دمشق فمقدارها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا وهي مشتبكة بالاشجار كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع على الارض فيها وثمارها طيبة لم تكن في غيرها شعر

سألتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرآ مني كتابا كتبته * بدمعي اليكم فاقرآ ولا تنسيا سطرا

والشقراء والخضراء اسما قريتين من قرى الشام * وقال القيراطي

مافيه الا روضة او جوسق * اوجدول اوبلبل اوربرب
فكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه ابصرته * في الجال بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق اطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مشبب * والنهر يسقي والجداول تشرب
وضياعها اضاع النسيم بها فكم * اضحى له من بيننا متغلب
فلكم طربت على السماع بذكرها * وغدا بربوتها اللسان يشبب
اشتاق من وادي دمشق لغوطة * كل الجمال الى حماها ينسب

انتهى ما اوردناه من عجائب البلدان وذلك على سبيل الاختصار

(ذكر ما كان من مبدء خلق العالم من قبل وجود آدم عليه السلام)

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما كمل الله تعالى خلق السموات والارض على الصفة المتقدم ذكرها وارسى الجبال ونشر الرياح وخلق فيها الوحوش والطيور فصارت الثمار

تجف وتقع على الارض ويتولد العشب فى الارض ويركب بعضه بعضا وعند ذلك شكت
الارض الى ربها من هذا الامر فخلق الله من الارض امما كثيرة وهم على صور مختلفة
واجناس مجنسة يقال لهم الجن وقد خلقهم الله تعالى من الريح ومن البرق ومن
السحاب وهم ذو نفس وحركة فانتشروا كالذر واكثرتهم فامتلأ منهم السهل والجبل وسائر
أقطار الدنيا فأقاموا على وجه الارض ماشاء الله من الزمان وكان منهم الابيض والاسود
والاحمر والاصفر والابلق والابقع والاصم والاعمى والحسن والقبيح والقوى والضعيف
والانثى والذكر فتناكحوا وتناسلوا وسموا الجن لاجتنانهم اى اختفائهم فلما كثروا
فى الارض وضاقت بهم الدنيا لكثرتهم زاد بأسهم فأرسل الله عليهم ريحا عاصفا
فأهلكتهم ولم يبق منهم الا القليل فهم اول من ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور
وصيد الطيور والوحوش فاستمروا على ذلك دهرا طويلا ثم بغى بعضهم على بعض
فتقاتلوا ولم يكن قتالهم بسلاح وانما كان يفنى بعضهم بعضا بالمحاصرة فى البيوت حتى
يهلكوا جوعا وعطشا فلما تزايد أمرهم بالفساد اخرج الله تعالى لهم امما من البحر وهم اعظم
اجسادا منهم واعجب خلقة يقال لهم البن فحاربوهم فهلكت الجن ولم يبق منهم احد ومدة
اقامتهم فى الدنيا خمسمائة عام وملك الارض بعدهم البن وتناكحوا وتناسلوا وكثروا
حتى ملؤا الارض فكان احدهم يغوص الى الارض السابعة ويقيم بها اياما فلم يحجب
عنهم بقعة من الارض فهم اول من حفر الآبار وشق الانهار واجرى المياه اليها من
العيون والبحار وهم اول من صنع الدواليب وبنى القناطر على الانهار وتسلطوا على
الاسماك فى البحر بالصيد وعلى الوحوش فى القفار فلم يبق فى البر والبحر دابة الا وشكت
منهم الى الله تعالى وتزايد امرهم بالفساد فخلق الله تعالى الجان قال ابن عباس رضى الله
عنهما خلق الله الجان من مارج من نار وخلق الملائكة من نور ساطع وهم على صفات
مختلفة فمنهم من يشبه بنى آدم فى الخلق ومنهم طائفة يسكنون السموات وطائفة
يسكنون الارض وطائفة موكلون بحفظ بنى آدم ومنهم حملة العرش ومنهم جبريل
وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فأما جبريل فهو امين الوحى الى الانبياء واخرج ابن ابى
حاتم عن عطاء بن السائب قال اول من يحاسب جبريل عليه السلام لانه كان امين الله
تعالى الى رسله واول من قال سبحان ربى الاعلى واما صفته فله ستمائة جناح بين كل
جناحين مسيرة خمسمائة عام وله ريش من راسه الى قدمه كلون الزعفران وكل ريشة
كهيئة الشمس فى نورها ويروى انه ينغمس فى بحر النور كل يوم ثلاثمائة وستين مرة
فاذا خرج سقطت منه قطرات من النور فيخلق الله من تلك القطرات ملائكة على صورته
يسبحون الله تعالى الى يوم القيامة ومعنى جبريل بالسريانية عبد الله *واما ميكائيل

عليه

عليه السلام فانه موكل بارزاق بنى آدم والطير والوحش وبالامطار والسحاب والبحار والاشجار وكل النباتات واما صفته فيروى ان له ريشا اخضر كلون الزمرد فى كل ريشة الف وجه وفى كل وجه الف فم وفى كل فم الف لسان يستغفرون للمذنبين من امة محمد صلى الله عليه وسلم ويخلق الله تعالى فى كل يوم سبعين الف ملك على صفته موكلون بالارزاق على نحو ماهو موكل به تمامر ويروى انه لما عاين النار ميكائيل لم يضحك بعد ذلك ولم يتبسم من هول ماعاين من النار خوفا من الجبار واما اسرافيل عليه السلام فانه صاحب نفخ الصور ويروى ان الله تعالى خلق اسرافيل قبل ميكائيل بخمسمائة عام ووكله بالصور ويروى ان الصور كهيئة القرن وفيه مثل خليات النحل وهى التى تستقر فيها الارواح طوله مابين السماء والارض فاذا انقضت ايام الدنيا امره الله تعالى ان ينفخ فى ذلك القرن فتخرج الارواح من تلك الخليات وهى تتوهج وينفخ فى الصور ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث ويروى ان اسرافيل له اجنحة لاتحصى وقد اعطاه الله قوة على سائر الملائكة وعظما ويروى ان جبرائيل مع عظمه طار باجنحته نحو ثلاثمائة عام ما بين انف اسرافيل وشفته فما بلغ مقدار ذلك ومع ذلك قيل ان اعظم الملائكة ملك يقال له الروح قال الله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا الآية ويروى ان هذا الملك الذى اسمه الروح يقوم يوم القيامة صفا وحده لعظمه وجميع الملائكة صفا فيكون الروح على قدر الملائكة لعظم خلقته واما عزرائيل عليه السلام فانه موكل بقبض الارواح من بنى آدم وغيرهم وكذلك سائر الطيور والوحوش وكل ذى روح ويروى ان صفته كصفة اسرافيل وانه جالس على سرير فى السماء السادسة وله اربعة اجنحة ممتدة من المشرق الى المغرب ويروى ان فى سائر جسده عيونا ناظرة الى كل ذى روح فاذا قبض روح احد عميت منه العين الناظرة اليه فاذا مات المخلوقون جميعهم ذهبت تلك العيون كلها التى فى جسده ولم يبق الا عينه فيعلم انه لم يبق الا هو وما اوردناه على سبيل الاختصار واما اخبار الجان قال ابن عباس رضى الله عنهما الجان هم ذكور الجن وهم على اجناس مختلفة فنهم امم يقال لهم النهابر وامم يقال لهم النهامر وهذه الامة كبنى آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون ومنهم المؤمنون والكافرون وشيخهم ابليس لعنه الله ويروى ان الله تعالى جعل سكان السماء الملائكة وجعل سكان الارض الجان فلما اشكت الوحش والطير من افعال الجن والبن خلق الله تعالى الجان كما تقدم ذكره فلما خلق الجان اسكنهم الارض فلما سكنوا اتصل بهوامع البن فقوى الجان عليهم فاهلكوهم عن آخرهم ولم يكن لهم بقية فبقى الجان فى الارض فتناكحوا وتناسلوا حتى ملاؤا الارض ثم وقع بينهم التحاسد والبغى وكثر

فيهم سفك الدماء وشوش بعضهم على بعض فشكت الارض الى ربها فعند ذلك بعث
الله اليهم جنودا من الملائكة ومعهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان رئيس الملائكة
فطردوا الجان من الارض فتوجهوا الى شعب الجبال وسكنوا بها فلك ابليس الارض
منهم فكان يعبد الله تعالى فى الارض وفى السماء فاعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع
الله على ما فى قلبه فقال عز من قائل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى
اعلم مالا تعلمون وقول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنى كمن تقدم
ذكرهم من الجن والبن فانهم كانوا يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء انتهى ذلك
*(ذكر قصة آدم عليه السلام) *قال الثعلبى فى كتابه لما اراد الله تعالى ان يخلق آدم
عليه السلام اوحى الى الارض انى خالق من اديمك خلقا فنهم من يطيعنى ومنهم من
يعصينى فمن اطاعنى ادخلته الجنة ومن عصانى ادخلته النار ثم بعث الله تعالى جبرائيل
عليه السلام الى الارض ليأتيه بقبضة منها فلما اتاها جبرائيل اقسمت عليه وقالت انى
اعوذ بعزة الله الذى ارسلك انك لا تأخذ منى شيئا يكون للنار فيه نصيب فلم يأخذ منها
شيئا ورجع الى ربه وقال يارب قد استعاذت بك منى فكرهت ان آخذ منها شيئا فأمر
الله تعالى ميكائيل ان يمضى اليها ويقبض منها قبضة من تراب فأقسمت عليه وقالت له
مثل ما قالت لجبرائيل فبر قسمها ولم يأخذ منها شيئا فأرسل الله اليها عزرائيل فلما هبط
اليها وكزها بحربة كانت معه فاضطربت فمد يده اليها فأقسمت عليه وقالت له مثل ما
قالت لاخويه فقال لها امر الله خير من قسمك وقبض قبضة من زواياها الاربع من
جميع اديمها من اسودها وابيضها واحمرها من سهلها وجبلها واعاليها واسافلها ثم اتى
بتلك القبضة بين يدى الله تعالى فقال الله تعالى له لم ترحمها وقد اقسمت بى عليك فقال
يارب امرك اوجب وخوفك ارهب فقال له اذا انت ملك الموت وقابض الارواح ومنتزعها
من الاشباح ولم يكن قبل ذلك ملك الموت قال فلما قبض منها ومضى بكت على ما نقص
منها فأوحى الله اليها انى سوف اردّ اليك ما أخذ منك وهو قوله تعالى منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ثم ان الله تعالى امر عزرائيل ان يضع تلك القبضة
على باب الجنة فلما وضعها امر الله رضوان خازن الجنان ان يعجنها بماء التسنيم ثم امر الله
جبرائيل بان يأتى بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض فخلق منها الانبياء ثم خلط
الطين بالماء حتى صارت معجنة كبيرة وقد قيل فى المعنى

يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا اصبحت فى كدر * فانما انت من ماء ومن طين

فلما عجنت تركت اربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ثم تركت اربعين سنة اخرى حتى صارت صلصالا كالفخار ثم جعل من تلك العجنة جسدا مصورا والقاه على طريق الملائكة التي تصعد منها وتهبط وترك اربعين سنة ملقى على تلك الهيئة قال تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ابن عباس الحين اربعون سنة *قال الثعلبي ان الله تعالى لما عجن طينة آدم عليه السلام امطر عليها سحائب الهموم والحزن اربعين سنة ثم امطر عليها السرور والفرح سنة واحدة فلذلك صار الهم اكثر من الفرح والحزن اكثر من السرور وانشد في المعنى

اى شئ يكون اعجب من ذا * لو تفكرت في صروف الزمان

حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالصيعان

ثم ان الله تعالى اظهر آدم الى الوجود فكان طوله ستون ذراعا وجعل فيه ثلاثمائة وستين عرقا ومائتين واربعين عصبا واثنى عشر مفصلا وفي راسه سبع منافذ وجعل له اليدين والرجلين وغير ذلك واتم خلقه فتبارك الله احسن الخالقين * وقال ابو موسى الاشعرى لما خلق الله فرج آدم قال هذا امانتى عندك فلا تضعها الا في حقها قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله ثلاثة بيده الاول آدم والثانى شجرة طوبي والالواح المكتوبة فيها التوراة واليد عبارة عن القدرة انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قال ولما كان آدم عليه السلام صلصالا كالخابية كان ابليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على بطن آدم فمن تلك الضربة صارت كانها السرة فكانت السرة علامة من ضرب ابليس وان طلب ضرب ابليس ليعلم هو مجوف ام صامد فلما رآه مجوفا دخل الى باطنه فاطلع على جميع اعضائه ظاهرا وباطنا وعلى عروقه الا قلبه فانه لم يطلع عليه احد غير الله تعالى ومنع ابليس عن القلب لانه بيت الرب ولهذا يقال ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم قال فلما اراد الله تعالى ان ينفخ في آدم الروح امرها بان تدخل اليه من راسه ولذلك سمى الراس نافوخا ويروى ان الروح امتنعت من الدخول الى آدم فقالت يارب كيف ادخل الى مكان مظلم فناداها الرب جل وعلا ثلاث مرات وهي تأبى فدخلت في جسده كرها فأوحى الله اليها ودخلت طائعة لخرجت طائعة ولكن سبق ذلك في علمى من الازل ان تدخلى كرها وتخرجى كرها فلما دخلت الروح الى دماغه استدارت فيه مائة عام ثم نزلت الى عينيه فابصرتا فنظر الى جسده وهو صلصال كالفخار ثم نزلت الى منخريه فشم الهواء فتنفس فعطس فنزلت الروح الى فيه ولسانه فألهمه الله حمده فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له يرحمك الله يا آدم وهذا لك ولذريتك ولذلك سن تشميت العاطس ولما حمد الله آدم قال الله تعالى لهذا خلقتك يا آدم ثم نزلت الروح الى صدره

واضلاعه وبطنه فصار آدم ينظر الى الروح وهى تنتقل وكلما انتقلت الى عضو يصير لحما
وعظما وروحا ودما فلما بلغت الروح الى ركبتيه اخذ يعالج القيام فلم يقدر عليه فقال الله
تعالى وخلق الانسان عجولا فلما عمت الروح سائر جسده قام وتحرك وتمايل وقد تمت
خلقته باذن من يحيى العظام وهى رميم * قال الحافظ اسماعيل السدى قرأت فى الانجيل
اشياء كثيرة فمنها ان عدد ساعات الليل والنهار اربعة وعشرون ساعة يتنفس فيها ابن
آدم ثلاثين الف نفس فى كل ساعة الف ومائتان وخمسون نفسا واعتبار ذلك من
الغرائب قال العزيزى ان الروح دخلت فى جسد آدم يوم الجمعة وقد مضى من النهار سبع
ساعات وهى من ساعات الآخرة ثم ان الله تعالى البسه من الجنة حلة خضراء من السندس
والبسه تاجا من الذهب مرصعا بالجواهر وله اربعة اركان فى كل ركن منه درة عظيمة
يغلب ضوءها على ضوء الشمس وختمه بخاتم الكرامة ومنطقه بمنطقة الرضوان
وسروله بسروال من السندس الاخضر ثم ظهر فى جبهته نور ساطع كشعاع الشمس
وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله امر الملائكة ان تحمله على اكتافها ويطوفون به
فى السموات السبع فحملته الملائكة فطافوا به مقدار مائة عام حتى رأى ما فيها من
العجائب ثم امر الله تعالى ان ينصب له منبر من الذهب وعلمه الاسماء كلها وهى قوله
تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الآية ثم ان آدم صعد المنبر وبيده قضيب من النور وذلك
يوم الجمعة عند زوال الشمس فانتصب قائما وجمع الله له جميع الملائكة فقال آدم السلام
عليكم يا ملائكة ربى ورحمة الله وبركاته فقالت الملائكة وعليك السلام يا صفوة الله
ورحمته وبركاته فقال الله يا آدم هذه تحية لك ولاولادك الى يوم القيامة فلما خطب آدم
قال الحمد لله فصارت سنة فى الخطبة واول من خطب على المنبر آدم فى يوم الجمعة ثم ان الله
تعالى عرض الاسماء كلها على الملائكة فقال انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
وقالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فقال الله تعالى لآدم انبئهم باسمائهم
فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون * قال وهب بن منبه اول من افشى السلام آدم وفى بعض الاخبار ما افشى
السلام قوم الا امنوا من العذاب والنقمة ثم قالت الملائكة الهنا هل خلقت خلقا افضل
منا فقال الله تعالى انا الذى خلقته بيدى وقلت له كن فكان ثم ان الله تعالى امر
الملائكة ان يسجدوا لآدم فكان اول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم
عزرائيل ثم الملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين * ثم ان الله تعالى
امر ابليس بالسجود لآدم فأبى وامتنع من السجود فقال له الله تعالى ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدى فقال ابليس انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وانا الذى

عبدتك دهراطويلا قبل ان تخلقه فقال الله تعالى لقد علمت في سابق علمي منك المعصية فلم تنفعك العبادة اخرج من رحمتي مذموما مدحورا لاملئن جهنم منك وممن تبعك * فقال ابليس عند ذلك رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين فعند ذلك تغيرت خلقته وصار شيطانا رجيما وكان اسمه عزازيل وكان من كبار الملائكة لا تفوته بقعة من السماء والارض الا وله فيها ركعة وسجدة ولكن بعصيانه لم تنفعه عبادته وسمى ابليس لانه ابلس من رحمة الله اى ايس وقد هجاه ابونواس بقوله

عجبت من ابليس من كبره * وخبث ما اضمره من نيته

تاه على آدم في سجدة * وصار عدوا لذريته

سؤال لطيف لم اهلك الله تعالى اعداء سائر الانبياء وابقى ابليس وهو عدو آدم عليه السلام فالجواب ان الله تعالى ابقى ابليس امتحانا للخلق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اراد الله تعالى ان لا يعصى لما خلق ابليس * وايضا بقاؤه عقوبة للكافرين ورحمة للمؤمنين فيحبهم الله بعصيانهم لابليس وايضا ابليس سأل ربه الانتظار الى يوم البعث اه فلما نزل آدم عن المنبر جلس بين الملائكة فالقى الله عليه النوم لان فيه راحة للبدن فلما نام رأى حواء في منامه قبل ان تخلق فمال اليها حين نظرها ثم اخرجها من ضلعه الايسر فخلقت منه حواء على هيئته واحسن الله خلقها واعطاها حسن الف حورية وكانت احسن النساء اللاتي هن بناتها الى يوم القيامة وكان لها سبعمائة ضفيرة من الشعر فكانت على طول آدم والبسها الله من الجنة الحلي والحلل فكانت تشرق اشراقا ابهى من الشمس فانتبه آدم من منامه فوجدها بجانبه فاعجبته والقى الله الشهوة في آدم فهم بها فقيل له لا تفعل حتى تؤدي صداقها فقال قد نهيتك عن شجرة الحنطة فلا تأكل منها فهو صداقها وقيل ان الله تعالى قال اعطها صداقا قال وما صداقها قال الصلاة على نبيي وحبيبي محمد فقال آدم يارب ومايكون محمدا قال انه من اولادك وهو آخر الانبياء ولولاه ماخلقت خلقا ثم ان الله تعالى مسح على ظهر آدم فاخرج منه ذريته كهيئة الذر ما بين ابيض واسود من ذكر وانثى وافاض عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور كان مؤمنا ومن لم يصبه كان كافرا ومنهم طائفة لهم نور ساطع فقال يارب من هؤلاء قال الانبياء من ذريتك يا ادم ثم زوج الله تعالى آدم بحواء وكان ذلك يوم الجمعة بعد الزوال ولهذا سن عقدا تزويج في يوم الجمعة وقيل كان آدم احسن من حواء ولكن كانت حواء الطف والين ثم اوحى الله تعالى الى رضوان خازن الجنان ان يزخرف القصور ويزين الولدان والحور وخلق لآدم فرسا من المسك الازفر يسمى الميمون كالبرق الخاطف فلما احضر بين يدى آدم ركبه واحضر لحواء ناقة من نوق الجنة وعليها هودج

من اللؤلؤ فركبت فيه على الناقة فأخذ جبرائيل عليه السلام بلجام الفرس ومشى ميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره وطافوا به فى السموات كلها وهو يسلم على من يمر به من الملائكة فتقول ما اكرمك من خلق الله على الله تعالى هذا وحواء على الناقة تطوف معه الى ان اتوابها الى باب الجنة فوقفوا ببابها ساعة فأوحى الله تعالى الى آدم هذه جنتى ودار كرامتى ادخلا فيها وكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين واشهد عليهما الملائكة ثم دخلا الى الجنة فطافت بهما الملائكة فى الجنان واروهما اماكن الانبياء جميعهم فلما وصلا الى جنة الفردوس نظرا سريرا من الجوهر وله سبعمائة قاعدة من الياقوت الاحمر وعليه فراش من السندس الاخضر فقالت الملائكة يا آدم انزل هاهنا انت وحواء فنزلا وجلسا على ذلك السرير ثم اتوهما بقطفين من عنب الجنة فكان كل قطف مسيرة يوم وليلة فأكلا وشربا وورثاها فى رياض الجنة فكان آدم اذا اراد المجامعة مع حواء دخل قبة من اللؤلؤ والزبرجد واسبلت عليهما ستور من السندس والاستبرق فكانت حواء اذا مشت فى القصور كان خلفها من الحور مالا يحصى قال ابن السنى ان اول شئ اكله آدم من فواكه الجنة النبق وقال ابن عباس عنهما اكلا ولا العنب وآخر شئ اكلا منه الحنطة كما سيأتى الكلام عليه وكان يشرب من خمر الجنة وكان اذا شربه يجد سرورا زائدا فمن شرب من خمر الدنيا لم يشرب من خمر الجنة * قال ابو نواس

خمراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

قال وزارع الحنطة يعتريه الكد والتعب دائما فى زرعها وفى حصادها الى ان تم يرد قيقا لانها اكلت اولا على العصيان ويروى ان المؤمنين اول ما يأكلون من الجنة العنب وقال النيسابورى اول ما يأكلون من كبد الحوت الذى هو حامل الارض حتى يعلم اهل الجنة بانقراض الدنيا اه قال وكان آدم يطوف فى الجنة فاذا جاء الى جهة شجرة الحنطة نفر عنها للعهد الذى بينه وبين الله تعالى بعدم الاكل منها وكانت شجرة الحنطة اعظم شجر الجنة ولها سنابل وفيها الحب كل حبة قدر رأس البعير وكانت احلى من العسل وابيض من اللبن ولما علم ابليس بدخول آدم وحواء الى الجنة وعلم ان آدم منع من اكل شجرة الحنطة اتى الى باب الجنة واقام عنده نحوا من ثلثمائة سنة وهى ساعة من ساعات الآخرة فكان ابليس ينظر الى من يأتى الى جهة باب الجنة قال فجاء طائر مليح الملبوس يقال له الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس تقدم اليه وقال ايها الطائر المبارك من اين جئت فقال من بساتين آدم فقال له ابليس ان لك عندى نصيحة واريد ان تدخلنى معك فقال ولم لا تدخل بنفسك فقال انما اريد ان ادخل سرا فقال الطاوس

لا سبيل الى ذلك ولكنني اتيك بمن يدخلك سرا فذهب الطاوس الى الحية ولم يكن في الجنة احسن منها خلقا فكان راسها من الياقوت الاحمر وعيناها من الزبرجد الاخضر ولسانها من الكافور وقوائمها مثل قوائم البعير فقال لها الطاوس ان على باب الجنة ملكا من المكرمين ومعه نصيحة فاسرعت الحية اليه فقال لها هل لك ان تدخليني الجنة سرا ولك مني نصيحة فقالت وكيف الحيلة على رضوان فقال لها افتحي فاك ففتحته فدخل فيه ابليس وقال لها اوضعيني عند شجرة الحنطة فوضعته عندها فاخرج ابليس مزمارا وزمر تزميرا مطربا فلما سمع آدم وحواء صوت المزمار وجاآ اليه عند ذلك فلما وصلا الى شجرة الحنطة قال ابليس تقدم الى هذه الشجرة يا آدم فقال اني ممنوع فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فان من اكل من هذه الشجرة لا يشيب ولا يهرم ثم اقسم بالله انه لا تضرهما وانه لمن الناصحين لهما فظن آدم انه لا يتجاسر احد على ان يحلف بالله كاذبا وظن انه من الناصحين وقد قيل في المعنى

ان من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد

فمن حرص حواء على الخلود في الجنة تقدمت واكلت فلما نظر آدم اليها حين اكلت وجدها بسالمة تقدم واكل بعدها فلما وصلت الحبة الى جوفه طار التاج عن راسه وطارت الحلل ايضا (سؤال) لاى شئ لما اكلت حواء من الشجرة لم تسقط الكسوة عنها في الحال وآدم حين اكل سقطت عنه في الحال (الجواب) لوسقطت في الحال عن حواء لرجع آدم ولم يأكل وايضا الدية على العاقلة ولان الامركان اولا لآدم * وقال بعض العلماء ان آدم أكل وهو ناس قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى وقيل في المعنى

لقد نسيتك والنسيان مغتفر * وان أول ناس اول الناس

فلما اكل آدم من الشجرة اوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بأن يقبض على ناصية آدم وحواء ويخرجهما من الجنة فاخرجهما جبرائيل من الجنة ونودي عليهما بالمعصية قال فكان آدم وحواء عريانين فطافا على اشجار الجنة ليستترا باوراقها فكانت الاشجار تنفر عنهما حتى رحمته شجرة التين فغطته فتستر بورقها وقيل غطته شجرة العود فلذلك اكرمها الله بالرائحة الطيبة واكرم شجرة التين بالثمر الحلو الذى ليس له نوى وقيل غطته شجرة الحنا فلذلك صار اثرها طيبا مفرحا ولذلك سميت الحنا قال كعب الاحبار لما صار آدم عريانا اوحى الله تعالى اليه أخرج الى لانظرك فقال آدم يارب لا استطيع ذلك من حيائي منك وخجلي ولهذا المعنى قيل

بفرد خطيئة وبفرد ذنب * من الجنات اخرجت البرايا

فكيف وانت تطمع في دخول * اليها بالالوف من الخطايا

قال ثم ان جبرائيل اخذ بيد آدم وهو عريان مكشوف الراس فهبط به الى الارض عند غروب الشمس من يوم الجمعة فاهبط على جبل من جبال الهند يقال له الراهون وتقدمت صفة هذا الجبل بين ذكر الجبال * واما حواء فقد ذهب منها حسنها وجمالها وابتليت بالحيض وانقطع عنها ذكر النسب فيقال اولاد آدم ولا يقال اولاد حواء وانها اغرت آدم مع ابليس حيث ابتدأت بالاكل وفي المعنى قيل

وكم من اكلة منعت اخاها * بلذة ساعة اكلات دهر

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

واهبطت حواء عند ساحل البحر المالح بجدة قال الله تعالى قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين * واما ابليس اللعين فانه خرج عن طور الملائكة وصار شيطانا رجيما فلما اهبط من الجنة نزل بأرض العراق نحو البصرة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما اهبط ابليس الى الارض نكح نفسه بنفسه فباض اربع بيضات ففرق فى كل قطر من الاقطار بيضة فجميع من فى الارض من الشياطين من تلك البيضات وقال مجاهد انه نكح الحية التى دخل فى جوفها فى الجنة حين اهبطت الى الارض فباضت الاربع بيضات * واما الطاوس فانه ذهبت عنه الجواهر وبعض الحسن واهبط ايضا الى الارض ونزل فى أرض بابل وقيل بأرض انطاكية * واما الحية فمسخ شكلها وصار فيها السم وسببه ان ابليس اختبا تحت أنيابها وادخلته الى الجنة وخرس لسانها وصارت تمشى على بطنها زحفا ونزلت الى الارض بأصبهان ** قال ابن عباس كانت اقامة آدم وحواء فى الجنة مدة نصف يوم من ايام الآخرة وهو مقدار خمسمائة عام من اعوام الدنيا فلما اهبط آدم القى الله عليه النوم فنام فالقى الله النوم على جميع من فى الارض من الحيوانات الوحش والطير وكل شئ فيه روح ولم يكن قبل ذلك يعرف النوم فسمى ذلك اليوم يوم السبت فلما طلع النهار وراى آدم الشمس وهى تدور مع الفلك تعجب من ذلك فلما تعالت فى الفلك احرقت جسد آدم لانه كان عريانا مكشوف الراس فأتاه جبرائيل فشكا اليه من ذلك فمسح على راسه بيده فحط عن ذلك الطول ستة وثلاثين ذراعا قال قتادة كان آدم اذا عطش يشرب من السحاب ويروى انه لما طلع الشعر على راسه وطالت اظفاره اتاه جبرائيل فحلق رأسه وقص اظفاره ودفن ذلك فى الارض فانبت الله النخل ولهذا قيل عماتكم النخل وقال ابن عباس مكث آدم فى الارض ثلاثمائة سنة لم يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى واقام يبكى نحو مائتى سنة فنبت العشب من دموعه وصارت الطيور والوحوش تشرب من دموعه ثم ان آدم شكا الى جبرائيل من العرى وحر الشمس فمضى جبرائيل الى حواء ومعه كبش من الجنة فقص

من صوفه ودفعه الى حواء وعلمها كيف تغزل الصوف فلما علمها وغزلته علمها كيف تنسجه فنسجت عباءة فأخذها جبرائيل ومضى بها الى آدم فستر بها جسده ولم يقل له هذه العباءة من عند حواء ثم انه شكا من الجوع لانه اقام اربعين سنة لم يأكل ولم يشرب فمضى جبرائيل واتاه بثورين من الجنة أحدهما اسود والآخر احمر وعلمه كيف يحرث فحرث ثم اتاه بكف من الحنطة وعلمه كيف يزرع فزرع (نكتة) بينما آدم يحرث في الارض اذ وقف أحد الثورين فضربه بعصا كانت بيده فأنطق الله تعالى ذلك الثور فقال لم ضربتني فقال لاجل مخالفتك لي فقال له الثور لطف الله بك حيث لم يضربك حين خالفته فبكى آدم وقال الهي صار كل شئ يوبخني حتى البهائم فامر الله تعالى جبرائيل ان يمسح على لسان البهائم وكانت البهائم تتكلم قبل هبوط آدم الى الارض فلما زرع آدم نبت في الحال واسبل وادرك القمح من يومه فعلمه جبرائيل كيف يحصد فحصد ودرس وذرى في الهواء فقال آدم لجبرائيل آكل فقال اصبر ثم قطع له من الجبل حجرين فطحن بهما فلما صار دقيقا قال آدم آكل فقال له اصبر ثم مضى واتاه بشرارة نار من نار جهنم بعد ان غمسها في الماء سبع مرات ولولا ذلك لاحرقت الارض ومن عليها ثم ان جبرائيل علمه كيف يخبز فخبز ثم قال لجبرائيل اكل فقال اصبر حتى تغرب الشمس فيتم ذلك الصوم فكان آدم اول من صام على وجه الارض فلما غربت الشمس ووضع آدم الرغيف بين يديه ومد يده ليأخذ من الرغيف لقمة فر الرغيف من بين يديه وسقط من أعلى الجبل فتبعه آدم واخذه فقال له جبرائيل لو صبرت اتاك الرغيف من غير ان تقوم اليه * ويروى أن آدم لما اكل من الرغيف ادخر منه النصف الى الليلة القابلة فقال له جبرائيل لولا انك فعلت ذلك لما كان احد من اولادك يدخر فصار ذلك عادة لبني آدم وقيل ان آدم لما اكل الخبز عطش فشرب عليه الماء فوجد في نفسه تشكالم يكن بعهده فلما أتاه جبرائيل شكا له ذلك ففتق جبرائيل عن دبره فبال وتغوط من وقته قال ابن عباس رضي الله عنهما كان آدم اذا جاع نسي حواء واذا شبع تذكرها فقال يوما لجبرائيل يا جبرائيل هل حواء على قيد الحياة أم ماتت فقال بل في قيد الحياة وانها اصلح حالا منك لانها على ساحل البحر تصطاد الاسماك وتأكل منها فقال آدم يا جبرائيل اني رأيتها في منامي في هذه الليلة فقال جبرائيل يا آدم ابشر فيا أراك الله اياها الا اقرب الاجتماع * قال ابن عباس رضي الله عنهما لما انقضت ايام المحنة عن آدم عليه السلام وتاب فتاب الله عليه وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قال بعض العلماء الهمه الله ان يقول ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل ان آدم قال يارب بحق محمد الا ما غفرت لي خطيئتي فأوحى الله تعالى اليه وكيف

عرفت محمدا ولم أخلقه الا بعده فقال آدم لما خلقتني رفعت راسي فرايت مكتوبا على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تقرن اسمك الا باسم من هو أحب الخلق عليك فقال صدقت يا آدم وقد غفرت لك خطيئتك اذ سألتني بحق محمد قال الثعالبي ثم ان الله تعالى أوحى الى آدم بأن ارحل من ارض الهند الى مكة وطف حول مكان البيت واسألني المغفرة فأغفر لك خطيئتك قيل ان الله تعالى انزل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة على قدر الكعبة وذلك مكان الحشفة البيضاء التي امتدت منها الارض كما تقدم وجعل من داخلها قناديل من ذهب تضيء بالنور ثم ارسل الله لآدم ملكا يقوده ويرشده الى طريق مكة وانزل عليه عصا من شجر الآس طولها عشرون ذراعا وهي من اشجار الجنة فكان آدم يمشي فتطوى له الارض فصار كل مكان وضع عليه قدمه يصير قرية فلما دخل آدم مكة اوحى الله تعالى اليه ان يطوف بذلك البيت فطاف به سبعا مكشوف الراس عريان الجسد وذلك سنة لحج فلما فعل ذلك آدم غفر الله له خطيئته وتاب عليه وصار الطواف يكفر الذنوب وقيل في المعنى

خزيا لابليس فقد نلنا الخلاص من يديه * وان في طوافنا * دائرة السوء عليه

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابليس اللعين قال يارب ان شأن عبادك يحبب احبوك وعصولك ويبغضوني واطاعوني فأوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لاجعلن حبهم لي كفارة لطاعتك وبغضهم لك كفارة لمعصيتي اه قال ولما تاب آدم امره الله تعالى ان يخرج الى عرفات فلما خرج الى عرفات وقف بها واذا بحواء اقبلت نحو آدم فاجتمعا على ذلك الجبل فمن يومئذ صار الوقوف على ذلك الجبل سنة الحاج وانما سمي عرفات لان آدم وحواء تعارفا فيه ثم ان آدم اقام في مكة مدة يسيرة ثم ارتحل الى أرض الهند هو وحواء وروى ان المدة التي كانت بين آدم وحواء متفرقين خمسمائة عام وروى ان آدم لما خرج من الجنة تستر بورق الجنة فلما صار في الارض يبس الورق وتناثر على الارض فجميع ما في الهند من الروائح الطيبة سببها ذلك وقيل أنزل الله على آدم ثمانية زواج من الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وامره ان يشرب من البانها ويكتسي من أصوافها وكان آدم وحواء يبكيان على ما فات من نعيم الجنة فخرج من دموعهما الحمص والفول ويروى ان آدم عليه السلام شكا الى الله تعالى فقال يارب لا أعلم اوقات العبادة فأنزل الله اليه ديكا من الجنة على قدر الثور العظيم وهو أبيض اللون فكان اذا سمع الديك تسبيح الملائكة في السماء يسبح في الارض فعلم آدم من ذلك اوقات العبادة ثم ان آدم غرس الاشجار وحفر الآبار وعمر الدار ثم أنزل الله على آدم احدى وعشرين صحيفة فيها تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك وانزل عليه حروف الهجاء وهي تسعة

وعشرون حرفا فتعلمها آدم لاجل ان يقرأ الصحف ولا يقدر واحد ان يزيد فيها حرفا واحدا فان حكم الاله محكمة متقنة * ومن النكت اللطيفة قيل ان صبيا صغير السن لقي ابا العلاء المعري فقال له البيت القائل

واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

فقال ابو العلاء نعم قلت ذلك فقال الصبي ان الاوائل اتوا بحروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا فأت انت بحرف واحد زيادة عن ذلك يحتاج الناس اليه وينطقون به فعند ذلك سكت ابو العلاء ولم يتكلم بشيء فلما انصرف الصبي سأل عنه ابو العلاء فقيل له هو ابن فلان فقال قريبا يموت ولم تمض ايام حتى مات الصبي فقال ابو العلاء ذكاؤه قتله ثم رثاه بعض الناس بقوله مولاي اني رأيت الدهر ذا عجب * لا يستقيم لذي فضل على سنن

يقصي الذكي ويدني كل ذي حمق * اوفاسد صالح للحبل والرسن

مازال طبعا يعادي كل ذي فطن * كان حقا عليه بغضة الفطن

قال الثعلبي لما حملت حواء من آدم تحرك الجنين في بطنها الوقت ففزعت حواء وكانت تقول من اين يخرج هذا المتحرك مني فلما ولدت وضعت اثنين ذكرا وانثى فسمى الذكر هابيل والانثى ليوثا فلما انقضى زمن الولادة وطهرت اراد آدم ان يواقعها فابت لما رأت من الم الولادة فلازال بها حتى واقعها وقيل كانت تمانعه مع محبتها لذلك ولكن تخاف من امر الولادة كما ذكر الحكماء ان في الرجال شهوة واحدة وفي النساء تسعة ولكن غلب الحياء عليهن فلم يظهرن شيئا من ذلك توفيقا وفي الحديث يتمنعن وهن الراغبات قال وحملت حواء ثانيا فجاءت بذكر وانثى في بطن واحدة فسماهما قابيل واقليما ويقال ان مجموع ما ولدت حواء عشرون بطنا في كل بطن اثنان ذكر وانثى فكان لها من الاولاد اربعون ولدا ذكورا واناثا وقيل مائتا ولد ولم تلد في بطن واحد غير شيث وكان في جبهته نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ويروى وان اولاد آدم لم يزالوا يتناسلون في مدة حياته حتى بلغ عددهم نحوا من اربعين الفا ذكورا واناثا وهو قوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ويروى ان آدم لما تكاثر نسله صاروا يتشاجرون فانزل الله تعالى لآدم عصا من الجنة ليؤدب بها الولاد اذا عصوه ولهذا يقال العصا من الجنة قال الثعلبي لما كبر قابيل فوض اليه آدم امر الزرع وفوض امر الغنم الى هابيل فاوحى الله الى آدم بأن يزوج اقليما بهابيل وان يزوج ليوثا بقابيل فابى قابيل ان يتزوج بليوثا وقال لا اتزوج الا باقليما لانها ولدت معي في بطن واحد وهي احب الي من اخت هابيل وكان يومئذ نكاح الاخت جائز التكاثر النسل فعند ذلك قال آدم يا بني لا تعص الله فيما امرني به فقال

لا ادع اختي ان يأخذا قلبما فقال آدم اذهب انت واخوك فقربا الى الله تعالى قربانا ولكن من اطيب ماعندكما ثم يقف كل منكما وينظر من يتقبل قربانه فهو احق باقليما فرضيا بذلك وخرجا وتوجها الى مكة فصعدا على جبل من جبالها وقرب هابيل قربانا من خيار غنمه وقرب قابيل قمحا لم يدرك في سنبله ثم وقف قابيل وهابيل ينتظران ما يكون من امرهما فنزلت من السماء غمامة بيضاء فأشرفت على قربان قابيل ثم اعرضت عنه ومالت الى قربان اخيه هابيل فاحتملته وصعدت به الى السماء وهو قوله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر الايتان فقال قابيل لاخيه ان تأخذها اقتلك ولا ادعك لا خذ اختي الحسناء ولا انا بآخذ اختك القبيحة وبقي قابيل متحيرا كيف يقتل هابيل فأتاه ابليس اللعين على صورة بعض اخوته فأخذ حجرين من الارض وضرب احدهما بالاخر فانفلق الحجر نصفين وقابيل ينظر الى ذلك فقال لم لا افعل بهابيل كذلك فنهض قابيل من وقته واتى الى اخيه هابيل فوجده نائما تحت جبل من الجبال فعمد قابيل الى صخرة فاحتملها والقاها على راس اخيه فقتله ومات وهو اول من قتل ظلما من اولاد آدم وكان عمره عشرين سنة فلما قتله بقي متحيرا كيف يصنع به فجعله في جراب وحمله على ظهره وطاف به الارض وكانت السباع والطيور تحوم حوله وتنتظر متى يتركه لتأكله حتى بعث الله له غرابين فقتل احدهما الآخر فلما قتله حفر له الارض بمنقاره وبرجله ووضعه في الحفرة ورد التراب عليه فعند ذلك قال قابيل ياويلتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخي فأصبح من النادمين قال بعض المفسرين لم يندم قابيل على القتل ولكنه ندم على حمله حيث حمله قيل حمله سنة ولم يدر كيف يصنع به قال صاحب مرآة الزمان ان ارباب النجوم يذكرون ان كوكب الذنب لم يظهر في الدنيا الا عند قتل هابيل وعند القاء ابراهيم الخليل في النار وعند هلاك قوم عاد وعند غرق فرعون واستمر من يومئذ لا يظهر الا عند ظهور امر من طاعون او قتل ملك من الملوك وقد ظهر في اول الاسلام عند غزوة بدر الكبرى وظهر عند قتل الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه وعند قتل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهذا امر قد جرب والله تعالى اعلم قال الثعلبي لما قتل هابيل تزلزلت الارض وهي اول زلزلة وقعت في الارض وكانت في اليوم تتزلزل سبع مرات الى سبعة ايام عند قتل هابيل وفي ذلك كسفت الشمس وهو اول كسوف وقع في الدنيا قال الثعلبي لما قتل هابيل نبتت الشوك في الاشجار وتغير طعم الفواكه وملح طعم الماء وكان آدم بأرض الهند ولم يكن عنده علم بقتل ابنه هابيل وكان يحبه قال ابن عباس لما قتل قابيل اخاه هابيل كان في جبل قاسون في مغارة الدم فشربت الارض الدم فأوحى الله الى قابيل اين اخوك فقال

لا ادري

لا ادرى فأوحى الله اليه ان صورة دم اخيك تنادى من الارض بأنك قتلته فقال قابيل يارب واين دمه فمن يومئذ حرم الله على الارض ان تشرب الدماء جميعها ولما راى آدم ضيقا فى صدره خرج فى الارض ليرى ما حدث فيها فلما وصل الى جهة اولاده راى ابنه هابيل قد قتل واخذ قابيل الاغنام وتزوج باقليما فعند قدوم آدم هرب قابيل وساح فى الارض خوفا من ابيه وفى ذلك يقول القائل

من فتنة النسوان كم يعصى الفتى * امر الاله بطاعة الشيطان
واللص لولاهن لم يك باثما * للروح منه بابخس الاثمان
قابيل لولاهن لم يقتل اخا * ولا رضى بالذل والعصيان
وبهن صار لآدم مع يوسف * فيما حكاه الله فى القرآن
وكذاك هاروت ببابل منكس * ومعلق بالرجل فى الجذعان
مجنون ليلى جن فى حب النسا * كل الاذى يأتى من النسوان
فترى البلا منهن يأتى والوفا * منهن لا يأتى مدى الازمان
خذ ما استطعت من النساء بمعزل * ان النساء حبائل الشيطان

ومن النكت اللطيفة ما حكى ان بعض الملوك كان مغرما بحب النساء وكان له وزير ينهاه عن ذلك ولا زال ينهاه حتى قصر عن نسائه وجواريه فلما رات النساء من الملك التقصير سألته عن ذلك والححن عليه فى الجواب فقال من الوزير هو الذى ينهانى عنكن فعند ذلك ابرزت النساء جارية حسناء لم يكن عند الوزير مثلها ولا رقى قط اجمل منها وسألن الملك ان يهبها للوزير وكن قد امرنها بأن تمانع الوزير ولم تتركه يفعل شيئا حتى تضع على ظهره سرجا وفى فمه لجاما وتركب على ظهره فى ليلة معينة واعلمن الملك بذلك وسألنه ان يهجم على الوزير فى تلك الليلة فأجابهن الملك الى ذلك كله واعطى الوزير الجارية فأراد الوزير ان يواقعها فتمنعت ولم يجد الصبر عنها فقالت له ان كنت تفعل ما آمرك به مكنتك من نفسى فقال لا اخالفك فى شئ فقالت له ائتنى بسرج ولجام ففعل فلما حضرا اسرجته والجمته وركبت على ظهره فبينما هما على ذلك واذا بالملك قد هجم عليهما وراهما على تلك الحالة فقال للوزير الم تكن تنهانى عن حب النساء وهذه حالتك معهن فقال له الوزير اعز الله الملك كنت اخاف عليك ان يقع لك معهن مثل هذا الحال حتى وقعت انا فيه فضحك منه الملك وعفا عنه وانصرف قال فلما تحقق ادم قتل ولده بكى ولما تحققت حواء صرخت فصار ذلك سنة فى اولادهما وقت المصيبة وانشأ ادم يرثى ابنه فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

فمالى لا انوح بسكب دمع * واجفان مسهدة قروح
قتل قابيل هابيلا اخاه * فوا اسفا على الوجه الصبيح

وقيل هذا اول شعر قيل فى الارض واجمع اهل التواريخ على صحة ذلك ماعدا الشيخ ابا الفرج ابن الجوزى فانه ينكر ذلك ويقول ان ادم لم ينطق بالشعر ومما يؤيده انه كان سريانيا وان صح فانها كلمات سريانية وعربت ابيات شعر اه قال الثعلبى لما علم ادم بقتل هابيل اقام سنة لا يضحك ولا يطأ حواء فأوحى الله تعالى اليه يا ادم الى كم هذا البكاء والحزن انى معوضك عن هذا الولد بولد يكون صديقا نبيا واجعل من نسله الانبياء الى يوم القيامة وعلامته انه سيوضع وحده فى بطن واحد فاذا ولد فسمه شيثا ومعناه بالسريانية عبد الله فلما حملت به حواء لم تجد لحمله ثقلا وولدته من غير مشقة ولما ولدت حواء شيثا كان ما مضى من قتل هابيل مائة سنة ذكر الثعلبى انه لما ولد شيث وكبر اعتزل آدم الى عبادة ربه وقراءة الصحف وصار شيث يتولى امر اخوته ويقضى بينهم بالحق فبينما آدم فى خلوته يعبد الله تعالى اذ اوحى اليه يا آدم ارص ولدك شيثا بما اوصيتك به فانى مذيقك الموت الذى كتبته عليك وعلى اولادك الى يوم القيامة ففزع ادم من هذا المقال وقال يارب ما هذا الموت الذى توعدنى به ثم ان ادم احضر شيثا واوصاه بشئ كثير حتى اعلمه بوقوع الطوفان وهلاك العالم وعلمه اوقات العبادة من الليل والنهار واخرج له غطاء ابيض من حرير ابيض كان فيه صور الانبياء ومن يملك الدنيا الى يوم القيامة وكان هذا السفط انزل على آدم من الجنة فعرضه على شيث وامره ان يطويه ويضعه فى تابوت ويقفل عليه ثم ان ادم عمد الى شعرات من لحيته ووضعهن فى التابوت وقال يا بنى خذ هذه الشعرات فاذا هلكت امرنا جعلها معك فانك تظفر باعدائك ما دامت هذه الشعرات معك واذا رأيتها قد ابيضت فاعلم بأن اجلك قد قرب وتموت فى تلك السنة ثم ان آدم نزع خاتمه ودفعه الى شيث وسلمه التابوت والصحف التى انزلت عليه وقال له يا بنى حارب اخاك قابيل فان الله ينصرك عليه اه ذلك * ويروى ان آدم عاش من العمر الف سنة من حين اهبط الى الارض وقد قال القائل فى المعنى شعرا

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
قد ذقت شدة ايامى ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل

ومن الاخبار العجيبة ما روى ان ابليس اتى الى موسى بن عمران عليه السلام وقال له اذا ناجيت ربك فاشفع لى عنده وسله هل لى عنده من توبة ان اتيت فلما ناجى موسى ربه قال الهى هل تقبل توبة من ابليس اذا تاب فقال الله عز وجل يا موسى سبق فى علمى انه لم يتب ولكن انا التواب الرحيم فان تاب يسجد لآدم فان سجد له على قبره قبلت توبته فلما

رجع موسى الى ابليس وقال ياموسى ماصنعت بحاجتى فقال له موسى ان الامر معلق على سجودك عند قبر آدم له فقال انا ماسجدت له وهو حى فكيف اسجد له وهو ميت وروى ان ابليس اذا مات عند ميعاده يرسل الله اليه ملائكة من اعوان عزرائيل ليقبضوا عليه لاجل قبض روحه فينهزم ابليس فى جهات البر والبحر فلم يجد له ملجأ حتى يأتى عند قبر آدم فيسجد له فيقال له ان الله تعالى غلق باب التوبة فلم يقبل منك فيتحقق عدم القبول فيقول تجاهلا لوعلمت ان هذا قبر آدم لما وقفت هنا وسجدت فتقبض عليه الملائكة ويقبض عزرائيل روحه اشد القبض ويروى اذا كان يوم القيامة وصار اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار يأمر الله تعالى ان يخرج ابليس من النار فى كل مائة الف سنة مرة ويخرج ادم من الجنة ويأمر الله ابليس ان يسجد لآدم فيأبى ابليس عن ذلك فيرده الله الى النار ويرد ادم الى الجنة وقد قال الله تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين انتهى ما اوردناه من قصة ادم على سبيل الاختصار

(قصة شيث بن ادم عليهما السلام) قال وهب بن منبه لما توفى آدم كان شيث ابن اربعمائة سنة وكان قد اعطاه التابوت والسمط وسيفه وفرسه الميمون الذى نزل اليه من الجنة وكان اذا صهل اجابته دواب الارض بالتسبيح واوصاه بالقتال مع اخيه قابيل فخرج شيث لقتال اخيه قابيل فحاربه وهو اول حرب جرى فى الارض بين بنى ادم فانتصر شيث واسر قابيل فقال قابيل وهو اسير احفظ ياشيث مابيننا من الرحم فقال له لاى شئ لم تحفظه وقتلت اخاك هابيل ثم اخذه شيث وغل يده فى عنقه واوقفه فى الحر حتى مات فاراد اولاده دفنه فجاءاليهم ابليس فى صورة ملك من الملائكة وقال لاولاده لاتدفنوه فى الارض ثم اتاهم بحجرين من البلور وجوفهما وامر اولاده بأن يدخلوا قابيل بين الحجرين من البلور ويلبسوه افخر الثياب ويدهنوا جسده بأدوية مفردة حتى لايجف ثم امر اولاده ان يوقفوه فى بيت وهو على كرسى من ذهب وامر كل من يدخل عليه ان يسجد له ثلاث سجدات وامرهم بأن يعملوا له فى كل سنة عيدا ويجتمعوا حوله ثم ان ابليس وكل به شيطانا فكان يكلمهم فأقام الناس يسجدون لقابيل مدة من الزمان ثم رجع شيث الى الهند واقام يقضى بين الناس بالحق قال وهب بن منبه ان حواء زوجة ادم توفيت فى زمن ابنها شيث ولم تقم بعد ادم غير سنة وكان موتها فى يوم الجمعة فى الساعة التى خلقت فيها ويقال انها دفنت الى جانب قبر ادم عليهما السلام ثم انزل الله على شيث خمسين صحيفة وهو اول من نطق بالحكمة واول من اخرج المعاملة بالذهب والفضة واول من اظهر البيع والشراء واتخذ الموازين والمكاييل وهو اول من استخرج المعادن من الارض ثم ان شيثا ولد ولدا ذكرا سماه انوش وكان شيثا فى جبهته نور محمد صلى الله عليه وسلم الذى انتقل

اليه من ادم فلما ولد انوش انتقل النور الى جبهته فعلم شيث ان اجله قد قرب فنظر الى الشعرات فوجدها قد ابيضت فمات شيث فى تلك السنة وكان له من العمر تسعمائة سنة

(ذكر قصة انوش بن شيث) قال وهب بن منبه لما مات شيث استخلف بعده ابنه انوش وتسلم التابوت والسمط والصحف والخاتم فسار فى احسن سيرة وقضى بالحق ثم تزوج انوش بامرأة فحملت منه بولد فلما ولدته صار النور فى وجهه وسمته قينان فاستمر انوش على ذلك حتى حضرته الوفاة فسلم التابوت والصحف الى ابنه قينان واوصاه واستخلفه بعده

(ذكر قصة قينان بن انوش) قال وهب بن منبه لما استخلف قينان بعد ابيه انوش ظهر بين قومه بالعدل وسار سيرة حسنة ثم تزوج بامرأة يقال لها عطنوك فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سمته مهلائيل فانتقل النور الى جبهته ثم ان قينان مرض مرض الموت فسلم ابنه مهلائيل التابوت والصحف واستخلفه من بعده ثم مات مهلائيل وانتقل النور الى ابنه يرد ثم مات يرد فانتقل النور الى ولده اخنوخ وهو ادريس عليه السلام قال وهب بن منبه ما سمى ادريس الا لكثرة دراسته فى الصحف *

قال ابن عباس بعث الله ادريس الى بنى قابيل وكانوا يعبدون الاصنام وحادوا عن توحيد الله تعالى واتخذوا لهم خمسة اصنام يعبدونها من دون الله وهى ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسرا التى ذكرها الله فى القرآن العظيم فلما تزايد امرهم بعث الله اليهم ادريس عليه السلام فكان يدعوهم فى الجمعة ثلاثة ايام وكان ادريس عنده شدة بأس وصلابة فى امره ونهيه وهو اول من خط بالقلم واول من كتب الصحف واول من نظر فى علم النجوم والحساب وهو اول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان اذا خاط شيأ يسبح الله عند كل غرزة من الابرة فاذا غفل وخاط يفتق ماخاطه بغير تسبيح وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يخيط للناس بالاجرة وهو اول من صنع المكيال قيل قبل زمن ادريس كان الناس يلبسون الاوعية بغير خياطة فلما صنع ادريس الخياطة وخاط استحسن الناس ذلك ولبسوا المخيط ثم انزل الله على ادريس ثلاثين صحيفة فكان لا يفتر عن قراءتها ليلا ونهارا وكانت الملائكة تأتى لمصافحة ادريس وكان يرفع كل يوم لادريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس حتى تعجبت منه الملائكة وحسده ابليس اللعين على ذلك ولم ير له عليه سبيلا ويروى ان ملك الموت استأذن ربه بأن يزور ادريس فأذن له فى زيارته فأتى اليه فى صورة رجل فقال له ادريس من انت ايها الرجل فقال له انا ملك الموت استأذنت ربى فى زيارتك فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس ان لى اليك حاجة قال وما هى قال ان تقبض روحى فى هذه الساعة فقال له ملك الموت ان ربى لم يأذن لى بذلك فأوحى الله الى ملك الموت انى علمت ما فى نفس عبدى ادريس فاقبض روحه

فقبضها

فقبضها في الحال ثم ان الله تعالى احياه في الحال فقال يا ملك الموت بقي لي حاجة اخرى
فقال ماهي قال ادريس ان تمضي بي الى جهنم لانظر احوالها فأذن الله له بذلك فحمله
ملك الموت واتى به الى مالك خازن النار فأوحى الله الى مالك خازن النار بأن اوقف عبدي
ادريس على شفير جهنم لينظر ما فيها فلما وقف ادريس ونظر غشي عليه من احوالها
فجاء اليه ملك الموت واحتمله الى مكانه الذي اخذه منه فصار ادريس من ذلك اليوم
لا تكتحل عينه بمنام ولا يهنأ بطعام ولا بشراب ولا يقر له قرار من الهول الذي راه في
النار ثم ان ادريس انعكف الى عبادة الله تعالى وتزوج بامراة فحملت منه بولد ذكر فلما
وضعته سماه متوشلخ وانتقل النور الذي كان في جبهة ادريس الى جبهة ابنه متوشلخ
فلما كبر عهد اليه ادريس وسلمه الصحف والسمط والتابوت واوصاه بقراءة الصحف ولزوم
الصلاة وقال له يا بني اني صاعد الى السماء ولا اعلم هل ارجع ام لا فاقبل مني ما اوصيتك به
ثم ان ادريس دخل الى محرابه وسأل الله ان يريه الجنة كما اراه النار فأوحى الله الى رضوان
خازن الجنان بأن يدلي الى ادريس غصنا من اغصان الجنة فأدلى له رضوان غصنا
من اغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد الى السماء فأدخله رضوان الى الجنة فرأى
ما فيها من النعيم فلما اطال ادريس الجلوس في الجنة قال له رضوان اخرج فقد نظرت
الجنة وما فيها فقال له ادريس ما انا بخارج منها وقد قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت
وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فما
انا بخارج منها فأوحى الله تعالى الى رضوان قل لعبدي ادريس لا يخرج منها ابدا قال
وهب بن منبه رفع ادريس الى السماء وهو ابن ثلاثمائة وخمسة وستين سنة قال
ابن الجوزي ان ادريس وعيسى ابن مريم حيان في السماء ادريس في السماء الرابعة
تارة يعبد الله في السماء وتارة يتنعم في الجنة قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس
انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قال الكسائي لما رفع ادريس الى السماء وعلمت
الملائكة انه لا يبرح منها قالت الملائكة الهنا وسيدنا ومولانا ما كان لهذا العبد الخاطئ
ان يصير في مقام الملائكة المقربين فأوحى الله اليهم انكم قد عيرتم بني ادم بفعلهم فلو
ركبت فيكم ما ركبت فيهم من الشهوة وما قدرت عليهم من الخطا لفعلتم اعظم من فعلهم
فقالوا سبحانك ربنا ما ينبغي لنا ان نعصيك فأوحى الله تعالى اليهم بأن يختاروا منهم
ملكين من خيارهم ليهبطهم الى الارض ويركب فيهم الشهوة مثل ما ركبها في بني ادم
فاختارت الملائكة ملكين من خيارهم يقال لهما هاروت وماروت فركب الله فيهما
الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما بأن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك
بالله وعن قتل النفس بغير حق وعن الزنا وعن شرب الخمر فجعلا يقضيان بين الناس

بالحق بالنهار فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فيصعدان الى السماء فاستمرا على ذلك شهرا واحدا فاتت اليهما امرأة من اجمل النساء في الحسن والجمال والقد والاعتدال لابسة من افخر الثياب وكان اسمها الزهرة وكانت من اهل فارس وتحكم على عدة مدن فدخلت على هاروت وماروت وهي في زينتها وقد اسبلت شعرها من خلفها واسفرت عن وجهها ثم شكت الى ذلك الملكين من خصمها فلما راياها افتتنا بها فلما انصرفت عادت اليهما في اليوم الثاني فصار كل واحد منهما يحدث صاحبه بما عنده من الشغف بها فلما تزايد بهما الامر راوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت اليهما في اليوم الثالث فراوداها عن نفسها فأبت وقالت لهما الا امكنكما مما اردتما حتى تفعلا ما اريد ان تعبدا الصنم وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذا فان الله تعالى نهانا عنه فأبيا من ارادتها وأبت من ارادتهما وانصرفت عنهما فزادهما الوجد فتوجها الى بيتها وطرقا عليها الباب فرحبت بهما فدخلا عليها فأحضرت لهما طعاما فأكلا منه ثم راوداها عن نفسها فقالت انكما تعلمان ما اردت منكما فقالا ان الشرك لظلم عظيم والقتل عظيم واما شرب الخمر فانه اهون من هذه الاشياء ثم نستغفر الله ولم يعلما ان الخمر ام المعاصي فتقدما وشربا الخمر فلما انتشيا وقعا في المرأة فزنيا فرآهما انسان فقتلاه خوفا من ان ينم عليهما فأمرتهما ان يسجدا للصنم فسجدا وكفرا وقيل فيه

تركت المدام وشرابه * وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل سبيل الهدى * ويفتح للشر ابوابه

قال فلما فعل هاروت وماروت هذه الفعال ووقعا في الذنوب فارادا ان يصعدا الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا نبي الله ادريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه ان يشفع لهما عند الله تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ببابل فهما يعذبان في جب معلقان بشعورهما منكسان على رؤسهما في سلاسل من حديد يعذبان بالعطش وبين لسانيهما وبين الماء مقدار شبر كعرض الاصبع وجميع دخان الدنيا داخل في انفهما زيادة في عذابهما واعينهما شاخصة مزرقة ووجوههما مسودة وهما في هذا الحال الى يوم القيامة ويروى ان رجلا اتى اليهما من ارض بابل ليتعلم منهما شيئا من السحر فلما دخل عليهما ذلك الرجل رآهما في ما ذكرناه فقال الرجل اشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما سمعاه قالا له من اي امة أنت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم فقالا له ابعث محمد قال نعم فقالا

الحمد لله واظهروا الفرح فقال لهما قد ظهر تماما الفرح عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فقالا نعم انه نبي يبعث و بين يديه الساعة وانه قرب فرجنا انتهى قيل لما رفع ادريس عليه السلام الى السماء تولى بعده ابنه متوشلخ فحكم بين الناس بالحق ولما توفي متوشلخ سلم التابوت والصحف الى ابنه لامك قال الكسائي كان لامك شديد البأس وكان عنده صلابة وقوة فكان يقلب بيديه الصخرة العظيمة ويقلعها من الجبل ومما وقع له انه خرج ذات يوم الى الفضاء فرأى امرأة حسناء و بين يديها غنم ترعاها فاعجبته فتقدم وسألها عن اسمها فقالت انا قينوسة بنت اكايل من اولاد قابيل بن آدم فقال لها الك بعل قالت لا فقال لها انت صغيرة ولو كنت بالغة لتزوجت بك وكان البلوغ يومئذ مائتي سنة فقالت الصحيح أنا بنت مائتين وعشرين سنة فانطلق واخطبني من ابي فلما سمع لامك بذلك الكلام مضى الى ابيها وخطبها منه فزوجها له فلما دخل عليها حملت منه ووضعت له ولدا ذكرا فسماه يشكر وقيل عبد الغفار وهو نوح قال وهب بن منبه فلما كان وقت ولادتها وضعته في مغارة وأرادت الانصراف عنه خوفا من ملك ذلك الزمان فانه كان يحجر على النساء ويقتل الاطفال عمدا فلما وضعته ذهبت عنه وهي تنوح عليه فناداها يا اماه لا تخافي علي فان الذي خلقني يحفظني فعند ذلك انصرفت مطمئنة فأقام في تلك المغارة اربعين يوما ففي هذه الاربعين يوما مات الذي كان يقتل الاطفال فحمله بعض الملائكة ووضعه في حجر امه فاذا بالنور الذي كان في جبهة ابيه لامك انتقل الى جبهة ابنه عبد الغفار وهو نوح عليه السلام فأخذت امه في تربيته حتى كبر وانتشا فتعلم صنعة النجارة واتقنها وكان يرعى الغنم لقومه بالاجرة فأقام على ذلك مدة طويلة حتى توفي ابوه لامك فاستخلفه من بعده وسلم اليه الصحف والتابوت والسمط

(ذكر قصة نوح عليه السلام) وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن ادريس عليه السلام قال الكسائي كان اسمه عبد الغفار او يشكر وسبب تسميته نوحا قيل انه رأى كلبا له اربعة اعين فقال نوح ان هذا الكلب شنيع فقال له الكلب يا عبد الغفار اتعيب النقش أم النقاش فان كان العيب على النقش فان الامر لو كان الي لم أختر ان اكون كلبا وان كان العيب على النقاش فهو لا يلحقه عيب لانه يفعل ما يشاء فكان كلما ذكر ذلك ينوح ويبكي على خطيئته وذنبه فلكثرة نوحه سمي نوحا رواه الذي قال وهب بن منبه لما اتى على نوح من العمر اربعمائة وثمانون سنة اتاه جبرائيل عليه السلام فقال له نوح من أنت أيها الرجل البهي فقال له جبرائيل أنا رسول رب العالمين جئتك بالرسالة من عنده وقد بعثك الله الى قومك وهو قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم ثم ان جبرائيل البسه

لباس المجاهدين وعممه بعمامة النصر وقلده بسيف العزم ثم قال له امض الى عدو الله
درمشيل بن نوبيل بن جيج بن قابيل بن آدم وكان درمشيل جبارا عنيدا وهو اول من
اعتصر الخمر وشربها وهو أول من لعب بالقمار وأول من اتخذ الثياب المنسوجة بالذهب
وكان هو وقومه يعبدون الاصنام الخمسة وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهي
التي ذكرها الله في القرآن العظيم وكان حول هذه الاصنام ألف وسبعمائة صنم وكان
لهم بيوت مبنية بالرخام الملون طول كل بيت الف ذراع وعرضه كذلك وكان لهذه
الاصنام كراسي من الذهب فيها أنواع الجواهر الفاخرة وكان لها خدام يخدمونها
بالليل والنهار وكان لها عيد معلوم في السنة يجتمعون فيه فخرج اليهم نوح في ذلك اليوم
وكانوا يوقدون النار حول تلك الاصنام ويقربون اليها القربان ثم يسجدون بين يديها
تعظيما لها وكانوا يخرجون باصناف الملاهي ويضربون بالصنوج ويرقصون عندها
ويشربون الخمر ويزنون بالنساء جهارا من غير ستر ويركبوهن كالبهائم بين الناس فلما
خرج اليهم نوح ووقف على تل عال ورفع رأسه الى السماء وقال الهي اسألك ان تنصرني عليهم
بنور محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا ممالا يحصون لكثرتهم ثم ان نوحا وقف على ذلك التل
ونادى بأعلى صوته يا ايها القوم اني قد جئتكم من عند رب العالمين ادعوكم لعبادته
وانهاكم عن عبادة الاصنام فلما اصاح نوح هذه الصيحة بلغ صوته الى المشرق والمغرب
وسقطت الاصنام عن كراسيها وفزع من كان حولها من الخدام وغشي على الملك درمشيل
فلما افاق من غشيه قال لمن حوله ما الذي سمعتموه من الصوت فقالوا هذا صوت رجل
يقال له نوح وهو مجنون وفي عقله خلل فقال الملك ائتوني به فجاءت اليه اعوان الملك
فاخذوه واوقفوه بين يدي الملك فقال له الملك من انت قال انا نوح رسول رب العالمين
قد جئتكم بالرسالة لتؤمنوا بالله وحده وتتركوا عبادة هذه الاصنام فقال له الملك ان كان
فيك جنون نداويك وان كنت فقيرا نواسيك وان كنت مديونا قضينا عنك دينك
فقال نوح ما بي جنون ولا انا فقير ولا على ديون وانما انا رسول رب العالمين فكان نوح
أول المرسلين وهو من اولي العزم وقد بعثه الله الى بني قابيل لما تمادوا على عبادة
الاصنام واظهروا الشرك بالله فدعاهم الى توحيد الله وان يقولوا لا اله الا الله
وان نوحا رسول الله فلما سمع الملك كلامه غضب عليه وقال لولا انه يوم عيد لقتلته اشر
قتلة ويروى انه آمن بنوح في ذلك اليوم امراة يقال لها عمرة فتزوجها فولدت منه ثلاثة
اولاد ذكور وهم سام وحام ويافث وولدت له ثلاث بنات وهي حصوة وسارة
وبجيورة ثم آمنت به امراة اخرى يقال لها ولعب بنت بجويل فولدت له ولدين وهما
بانوس وكنعان ثم انها عادت الى دينها بعد اسلامها ثم آمن به من الرجال والنساء نحو

من سبعين انسانا فصار نوح يخرج الى القوم فى كل يوم وينادى ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره لا شريك له فيخرج اليه القوم من بيوتهم فيضربونه بالعصى والنعال فيغشى عليه ويغيب عن الدنيا فيجرونه من رجله ويلقونه على المزابل ولما يفيق يمسح الدماء عن وجهه ويصلى ركعتين ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فاقام على ذلك نحوا من ثلاثمائة سنة ثم ان الملك درمشيل هلك واقام بعده ابنه توبين فكان اطغى من ابيه فصار نوح يدعوه لما كان يدعوا اباه من قبله اليه واستمر نوح يدعو قومه الى اربعمائة سنة حتى دخل عليه القرن الخامس والقوم على حالهم وكانوا كلما سمعوا صوت نوح عليه السلام يضعوا اصابعهم فى آذانهم كما اخبر الله العظيم فى القرآن الكريم وكان قومه يجمعون له الحجارة فوق الاسطحة فاذا مر عليهم يرمونه بها فيغشى عليه فيظنون انه قد مات فكانت الطيور تروح عليه باجنحتها اذا غشى عليه فيفيق فلا زال حتى مر عليه ست قرون ودخل فى القرن السابع وهلك الملك توبين واستخلف من بعده ابنه طغردوس فكان اشد طغيانا من ابيه فصار كلما يدعوهم يرمونه بالحجارة كما تقدم ثم اوحى الله تعالى الى نوح انه لم يبق فى اصلاب الرجال ولا فى بطون النساء مؤمن يجيب دعوتك وقد اعقمهم الله تعالى فعند ذلك دعا عليهم نوح بأن لا يبقى احدا منهم كما اخبر الله تعالى عنه بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فانفتحت ابواب السماء لدعوته وهاجت عند ها الملائكة قال فعند ذلك اوحى الله اليه ان اصنع الفلك الآية فقال نوح يارب وما الفلك قال هو بيت من الخشب يجرى على وجه الماء فأمره ان يغرس فى الارض خشب الساج وقيل هو الابنوس فامره ان يغرسه بارض الكوفة فغرسه فاقام اربعين سنة حتى ادرك وامر السماء ان تمنع القطر وامر الارض ان تمنع النبات ففى تلك المدة لم تنزل من السماء قطرة ولا يخرج من الارض عشبة ولم تلد امرأة ولا بهيمة ولا وحش ولا يفرخ طير وذلك لاقامة الحجة على الناس قبل نزول العذاب فأمر الله نوحا عليه السلام ان يتوجه الى الكوفة وينقل خشب الساج فبقى نوح متحيرا كيف ينقل الخشب فأوحى الله اليه ان عوج بن عنق يحمل ذلك قال الكسائى ان عنقا ام عوج كانت من اولاد آدم وكانت شنيعة المنظر قبيحة الشكل وكانت ساحرة ماهرة فولدت عوج ثم ماتت بعد ولادتها بمائة سنة فلما كبر عوج كان عظيم الخلقة طوله ستمائة ذراع بالذراع القديم وهو ذراع ونصف الآن وكان عرضه مثل ذلك حتى قيل انه لما جاء الطوفان لم يجاوز الى ركبته وكان اذا جلس على الجبل يمد يده الى البحر فيأخذ منه السمك ويشويه فى عين الشمس وكان اذا غضب على قرية يبول عليهم فيغرقهم وقيل انه ساط على اهل قرية فقالوا له نحن نكسوك قميصا ولا

تأخذ منك ثمنه الا بعد سنة فتخارج اهل تلك القرية وصنعوا له قميصا من القطن فالبسوه اياه فمضى عنهم فكان كلما قصد ان يمر عليهم يذكر ما عليه من الدين فيرجع عنهم ولا يدخل اليهم خوفا من الدين ويروى ان عوج ابن عنق عاش من العمر اربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة وادرك ايام موسى فلما دخل موسى الى التيه ومعه بنو اسرائيل قصد عوج ان يهلكهم فجاء الى جيش موسى لاجل ان يعرف مقدارهم فوجدهم فرسخا فى فرسخ فمضى الى جبل وقلعه من الارض واحتمله على رأسه وجاء ليقلبه على جيش موسى فأرسل الله اليه هدهدا وجعل له منقارا من حديد فنزل ذلك الهدهد على تلك الصخرة وجعل ينقرها حتى نقبها فنزلت فى عنق عوج فصارت قفلا لا يستطيع الحركة فلما رأى موسى ذلك اتى اليه وضربه بعصاه وكان طولها عشرة اذرع ووثب موسى فى الهواء عشرة اذرع وكان طول موسى عشرة اذرع فلم تبلغ ضربته ساق عوج فلما ضربه موسى خر عوج ميتا وصار ملقى فى الفلاة كالجبل العظيم ويروى ان ببلاد التتر نهر يسمى الطائى وعليه قنطرة عظيمة فيقال ان تلك القنطرة من عظم ضلع عوج بن عنق وكان من جملة عجائب الدنيا قال الكسائى فلما اوحى الله الى نوح بان الذى يحمل له الخشب عوج من الكوفة الى ارض الحيرة وكانت الحيرة قرية قريبة من بغداد فجاء نوح الى عوج وسأله ان يحمل له الخشب فقال عوج لا احمل لك ذلك حتى تشبعنى من الخبز وكان مع نوح ثلاثة ارغفة من خبز الشعير فقدم الى عوج قرصا منهن وقال له كل فضحك عوج من ذلك وقال لوان مثل هذا الجبل خبزا ما اشبعنى فكيف اشبع بهذا القرص فكسر له نوح ذلك القرص وقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم وكل فاكل القرص وقدم له قرصا ثانيا فشبع من نصف الثانى ولم يقدر ان يأكل شيئا بعد ذلك فحمل عوج ذلك الخشب من الكوفة الى الحيرة جميعه فى نقلة واحدة فلما صار الخشب عند نوح قال يارب وكيف اصنع هذه السفينة فأوحى الله تعالى الى جبرائيل ان يعلمه كيف يصنع السفينة فكان نوح يضع الخشب الواحا ويلصق بعضها ببعض ويسمرها بالمسامير الحديد ثم جعل رأسها كرأس الطاوس وذنبها كذنب الديك ومنقارها كمنقار البازو اجنحتها كاجنحة العقاب ووجهها كوجه الحمامة وجعلها ثلاث طباق وقيل سبع طبقات قال ابن عباس رضى الله عنهما كان طولها الف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة ذراع ويروى انه اقام فى اعمالها اربعين سنة فكان القوم يسخرون منه ويقولون له يا نوح قد تركت النبوة وصرت نجارا قال الكسائى كان القوم اذا اتى الليل يطلقون النار فى خشب السفينة فلم تعمل فيه النار فيقولون هذا من سحر نوح فلما اشرفت السفينة على الفراغ طلاها بالزفت والقير ثم اوحى الله تعالى اليه بأن يسمر فى جوانبها

اربع مسامير وينقش على كل مسمار منها عينا فقال نوح يارب وما فائدة ذلك فأوحى
الله اليه هذه اسماء اصحاب محمد وهم عبد الله ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله
عنهم اجمعين فلا تتم السفينة الا ان تفعل ذلك ففعل نوح ما امر الله به فتمت السفينة ثم
انطقها الله تعالى فقالت جهارا والناس يسمعون لا اله الا الله اله الاولين والآخرين انا
السفينة التى من ركبنى نجا ومن تخلف عنى هلك فقال نوح تؤمنون الآن فقالوا ان
هذا من سحرك يانوح ثم اوحى الله تعالى اليه انه قد اشتد غضبى على من عصانى وأمره
الله ان يحمل معه قوت ستة اشهر وان يعمل فى السفينة خازنا للماء العذب ثم انزل الله
لنوح خرزة من الجنة لها ضوء كضوء الشمس فكان يعلم منها مواقيت الليل والنهار ومضى
الساعات ثم ان نوحا استأذن ربه بان يحج فاذن له بذلك فلما مضى الى مكة اراد القوم ان
يحرقوا السفينة فأمر الله تعالى الملائكة بان يرفعوها بين السماء والارض فرفعوها
والقوم ينظرون اليها فلما مضى نوح الى مكة وطاف بالبيت سبعا ثم دعا على قومه
هنالك فاستجاب الله دعاءه فلما رجع نوح من مكة انزل الله له السفينة الى الارض
ثم اوحى الله تعالى اليه بان يصعد الى الجبل وينادى بأعلى صوته يامعشر الوحوش
والطيور والهوام وكل شئ فيه روح هلموا الى دخول السفينة فقد قرب العذاب فوصلت
دعوته الى المشرق والمغرب فاقبلت اليه الوحوش والطيور والدواب والهوام افواجا
افواجا فقال نوح انى امرت ان احمل معى من كل زوجين اثنين ثم امره بان يحمل معه
الاشجار قاطبة وان يحمل معه جسد آدم وحواء فوضعهما فى تابوت ثم امره بان
يحمل معه الحجر الاسود وعصا ادم التى انزلت عليه من الجنة وحمل معه التابوت
والصحف والسمط وكان الذى دخل معه فى السفينة اربعين رجلا واربعين امرأة
فوضعهم فى الطبقة الاولى وفى الطبقة الثانية الوحوش والدواب والانعام ويروى
ان آخر من دخل من الدواب الحمار وقد مسك ابليس اللعين بذنبه فمنعه من الدخول
فظن نوح ان الحمار يمتنع من قبل نفسه فقال له نوح ادخل ياملعون فدخل الحمار
وابليس معه فلما رآه نوح قال له من اذن لك فى الدخول فقال انت اذنت لى انت
القائل ادخل ياملعون وما فى ملعون على الاطلاق غيرى ويروى ان نوحا لما ركب
السفينة نهى جميع من كان معه عن النكاح خشية من التناسل فيضيق عليهم
المكان فاطاعه جميع من كان فيها الا الكلب فانه نكح انثاه فنمت الهرة لنوح على
الكلب على فعله فانكر ذلك وعاد ثانيا وثالثا فقالت الهرة لنوح فى ذلك فدعى عليهما
بالفضيحة فوقعت العداوة بين الكلب والهرة من يومئذ وصار لهما الفضيحة عند
جماعهما وقيل فيهما قالت الهرة قولا * جمعت كل المعانى

اشتهى ان لا ارى الكلاب * ولا الكلاب يرانى

(و يروى) انه لما كثر روث الدواب فى السفينة شكوا من ذلك الى نوح فأوحى الله اليه ان اعصر ذنب الفيل فلما عصره وقع منه خنزير وخنزيرة فصارا يأكلان الروث ثم خلق الله من عطسة الخنزير فارا وفارة ثم تناسل الفيران فصاروا يقرضون فى جوانب السفينة فشكى اهل السفينة من ذلك فسلط على الفيران السنانير وهم القطط فصاروا يأكلونهم الا كلا ذريعا حتى افنوهم عن آخرهم فمن ذلك اليوم صارت العداوة بين القط والفار (قال ابن وصيف شاه) لم يكن فى ملوك مصر افنى من سورند ومما وقع له انه رأى فى منامه قبل وقوع الطوفان بثلاثمائة سنة كأن السماء قد انقلبت على الارض حتى صارت كالجوبة وكان الكواكب قد تساقطت والشمس والقمر قد قربا من العالم ورأى طيورا بيضا تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكان الدنيا سوداء مظلمة وكأن الناس قد اجتمعوا عليه من صعيد واحد وهم يستجيرون به فلما رأى ذلك استيقظ من منامه وهو مرعوب خائف فلما اصبح استدعى بالكهنة وهم مائة رجل وكانوا لا يقصون امرا الا بالنجوم والطوالع فاختلا بهم وقص عليهم الرؤيا فقالوا ان رؤياك سماوية يهلك بها جميع العالم وجميع من على وجه الارض فقال لهم الملك خذوا الارتفاع من الكواكب فلما نظروا فى ذلك قالوا وجدنا القمر فى برج السرطان وهو مقارب للسماك فيكون الهلال فى امر من طوفان وان هذه لآفة مائية سماوية فقال لهم انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا له نعم تأتى اليها وتقيم البلاد خرابا مدة طويلة فقال لهم الملك انظروا هل تعود بلادنا عامرة احسن مما كانت عليه قالوا نعم تعود عامرة أحسن مما كانت عليه فعند ذلك امر سورند ببناء هذه الاهرامات وقد جعل اساسها مقدار ارتفاعها عن الارض وقال نجعلها النا نواويس وقبور الاجسادنا ثم انه نقل اليها اشياء كثيرة من الاموال والجواهر وآلات السلاح والتماثيل العجيبة والاوانى الغريبة التى هى من سائر المعادن وكتب عليها الطلاسم والعلوم الفلكية التى تخبر بما سيحدث من الامور الى آخر الزمان ومن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين واخبرت الكهنة ان هذا الطوفان لا يقيم كثيرا على وجه الارض بل نحو اربعين يوما فبنى الاهرام وحبس فيه الهواء بتقدير وتدبير بالحكمة وادخر ما ذكرناه من الاموال وغير ذلك وقال ان كان نجومن هذا الطوفان نعود الى ما كنا نجد اموالنا كما هى باقية وان متنا فتكون هذه الاهرامات قبور الاجسادنا حوزا تصونها من البلاء فصنع كل واحد من وزرائه وحكمائه وارباب دولته هرما تتكون حوزا الاجسادهم من الطوفان قال المسعودى فى مروج الذهب ان فى كل هرم منها سبع مروت على عدد الكواكب السيارة وفى تلك البيوت عدة اصنام من الذهب مرصعة

بالجواهر

بالجواهر الفاخرة وفي آذانهم درر قدر بيضة الدجاج وفي كل هرم نواتم من الرخام الاخضر وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وترجمته ومدة ملكه وذكروا ان لهذه الاهرامات مكانا ينفذ الى صحراء الفيوم وهي على مسيرة يومين من الاهرامات ومما حكى عن الشهاب الحجازى قال خرجنا من الجامع الازهر احد عشر نفرا في طلب الاهرام وكان معنا عدة سلب طوال على حمار فلما وصلنا الى الاهرام دخلنا الى الهرم الكبير المفتوح ووقفنا على رأس البئر الذى به فتجرد منا شخص وكان يدعى الشجاعة فربطناه من وسطه بسلبة من تلك السلب التى معنا وادليناه في البئر فنفد السلب الذى معنا جميعا ولم ينته الى قعر البئر فربطنا في السلب شاشا عمائمنا فانقطع الشاش فهوى الشخص الى قعر البئر ولم نعلم له خبرا فرجعنا متأسفين عليه وخائفين على انفسنا بسببه فدخلنا في خفية الى القاهرة ولم نعلم احدا من الناس بحالنا فبينما نحن في الجامع بعد مضى اسبوع واذا نحن بصاحبنا الذى سقط في البئر قد دخل علينا وهو في غاية الضعف فلما دخل من باب الجامع وقرب منا سقط بيننا وغشى عليه فلما افاق استحكيناه عما كان من امره بعد سقوطه في البئر فقال لما انتهى بى السقوط نزلت على علو واعطتنى لبانة فواريت بالزناد الذى كان معى واوقدت شمعة ومشيت في ذلك فوجدت من زبل الوطاويط شيئا كثيرا ورايت اشخاصا واشباحا طوالا واقفين على عكاكيز فقربت من واحد منهم وهززته فانقض الى الارض هباء منثورا فاخذت عكازه من يده ومشيت فاذا انا بباب امامى ودهليز فاخذت امشى في ذلك الدهليز وقد زادني الخوف الفزع ووجدت هناك عظاما بالية ورؤسا وجماجم كبارا على قدر البطيخ الكبير وبينما انا امشى في ذلك الدهليز واذا بشئ يمشى قدامى فتأملته فاذا هو ثعلب فتبعته حتى خرج من ثقب فرأيت منه ضوء الدنيا فاردت ان اخرج منه فلم استطع فحفرت بذلك العكاز الذى معى فاتسع ذلك الثقب قليلا فخرجت فلما رأيت نفسى على وجه الارض وقعت مغشيا على فلم ادر اين انا من البلاد واذا انا بانسان يقول قم ايها الرجل فان القفل راح وخلاك فقلت واى مكان انا فيه قال في صحراء الفيوم فقمت وركبت مع القفل وكنت لما خرجت من الثقب وجدت العكاز الذى معى ذهبا جيدا فلما اغمى على فقدته واختفى عنى ذلك المكان الذى خرجت منه فتحيرت من ذلك واذا بقائل يقول لى لا تطمع في عود العكاز اليك فتوجهت صحبة القفل ودخلت القاهرة اه *(قال ابو الريحان البيروني)* في كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية ان الهرم الكبير الشرقي موكل به صنم من جزع ابيض واسود وله عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى من ذهب وبيده حربة فاذا دنا منه

احد صوت عليه صوتا عاليا فيخر الذى يدنو منه على وجهه ولا يبرح عنه حتى يموت مكانه والهرم الغربى موكل به صنم من حجر الصوان وهو جالس على كرسى من ذهب وعلى راسه شبه حية وقد تطوق بها فمن دنا منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت على عنقه حتى تقتله ثم تعود الى مكانها والهرم الصغير الملون بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البهت فمن نظر اليه يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح من مكانه حتى يموت قال المسعودى لما فرغ سوريد من عمارة تلك الاهرامات وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبائح لتمنع من ارادها بسوء فوكل بالهرم الشرقى غلاما امرد مصفر اللون وهو عريان وله اسنان كبار ووكل بالهرم الغربى امراة عريانة بادية عن فرجها فتضحك فى وجه الانسان حتى يدنو منها فتستهويه فيذهب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شخصا فى يده مبخرة وعليه ثياب الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم وذكر جماعة من اهل الخبرة انهم يرونه مرارا عديدة وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فاذا دنوا منه يغيب عنهم واذا بعدوا عنه يظهر لهم من بعد واما ما نقله محمد بن عبد الكريم ان فى احد هذين الهرمين قبر اغاثيمون وفى الآخر قبر هرمس وكانا من حكماء اليونان وكان اغاثيمون اقدم من هرمس وكانت الصابئة يحجون اليها من اقطار الارض ويحملون اليها الاموال الجزيلة من طريق النذر وكان وراء هذه الاهرام من جهة الغرب اربعمائة مدينة عامرة غير القرى واما ما نقله ابو الحسن المسعودى فى مروج الذهب حيث قال ان سوريد لما فرغ من بناء هذه الاهرامات كساها الديباج الملون من اعلاها الى اسفلها وعمل لها عيدا حضره ارباب دولته ومدينته وكتب على جانبها هذا بناء سوريد بن شهلوق قد بناها فى ستين سنة فمن يدعى قوة فى ملكه فليهدمها فى ستمائة سنة وان الهدم ايسر من البناء فهو الصحيح وقيل ان الخليفة المأمون لما فتح الباب الذى فى الهرم الكبير وجد به قطعة من المرجان وهى كاللوح وفيها مكتوب هذا بناء سوريد الى آخر كتابته بالقلم القديم قال ولما دخل الاستاذ ابو الطيب مصر راى الاهرام فانشد يقول

اين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن اصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

واما ما قالت الشعراء فى وصف الاهرام فمن ذلك قول القائل

انظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سير الليالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرانا بالذى * فعل الزمان باول وبآخر

وقال آخر لله اى غريبة وعجيبة * فى صنعة الاهرام للالباب

انفت عن الاسماع قدة اهلها * كشفت عن الابداع كل نقاب
فكانما هي كالخيام مقامة * من غير اعمدة ولا اطناب
مثل العرائس جردوا اثوابها * ضنها ولم تنطق عن الاعجاب

وقال آخر

تحقق صدر الارض مصر * وشهداها من الهرمين شاهد
فواعجبا فكم افنت قرونا * على هرم وذلك الثدى ناهد

انتهى ومن هنا نرجع الى ما كنا به قال ثم اوحى الله الى نوح يا نوح اذا فار التنور من بيت ابنك سام فاركب في السفينة وكان سام اكبر اولاده وهو يومئذ ابن ثلثمائة سنة وكان متزوجا بامراة تسمى رحمة فجاء نوح الى بيت ابنه سام وقال يا رحمة ان مبدا الطوفان يكون من هذا التنور الذى تخبزين فيه فاذا رأيت التنور قد فار فاسرعى الى من وقتك واخبريني وكان هذا التنور من حجر اسود فلما كان يوم الجمعة لعشر مضين من رجب كانت رحمة تخبز في التنور فلما كان آخر رغيف واذا بالماء قد فار وهو قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور الآية فلما رأت رحمة ذلك صاحت الله اكبر قد جاء ما وعد الله به من العذاب وقد صدق نبى الله نوح فبادرت رحمة الى نوح واخبرته بفوران التنور فقال نوح لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان نوح قد جهز ما كان يحتاج اليه في السفينة من علف الدواب والطير فلما اعلمته رحمة بذلك اتى الى بيت ابنه سام فرأى الماء يفور من التنور وقد ملأ صحن الدار وهو يخرج من الباب كالنهر العظيم فلما رأى ذلك توجه الى السفينة وهو ينادى يا قوم النجاة النجاة فأتوا الى السفينة وكانت عدتهم اربعين امراة واربعين رجلا ثم ان نوحا قال لابنه كنعان اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سأوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقد اخبر الله عنه انه غير صالح قال وهب بن منبه ان كنعان ابن نوح غرق قبل ان يصل الى الجبل قال ابن عباس لما فار التنور فتحت ابواب السماء بالمطر من غير سحاب واظلمت الدنيا ظلمة شديدة وكانت ملائكة الغضب تضرب باجنحتها على وجه الشمس وكانت السماء تقول لولا الحد الذى حده الله تعالى لغاص الماء الى الارض السابعة وكان الرجل يمشى في الطرقات والماء ينبع من تحت رجليه وكانت المراة قاعدة في بيتها فينبع الماء من تحتها وهو يفور ويغلى كغليان القدور ووصلوا الماء ينبع من سائر اقطار الارض فلما فار الماء في مدينة امسوس وكانت يومئذ كرسى مملكة الملك سوريد وسمع صريخ العالم ركب في عظماء قومه ووقف على تل عال ليرى احوال الناس وهو متفكر في هذا الماء فلم يشعر الا والماء يفور من تحت حافر فرسه فرجع الى قصره فما صار في قصره الا والماء صار له موج عظيم كالجبال ولم

يبق يظهر شيء من الارض قال وهب بن منبه كان مبدأ الطوفان من الكوفة وبها فار التنور واما نوح فانه ركب في السفينة هو واهله وقد تقدم ذكر ذلك ويروى ان عوج ابن عنق لما رأى هذه الاهوال اتى الى السفينة ووضع يده عليها فقال له نوح ماتريد ياعدو الله فقال له عوج لا بأس عليك يانبي الله دعني امشي مع السفينة حيث مشت فاضع يدي عليها واستأنس بها من الفزع واسمع تسبيح الملائكة فأوحى الله الى نوح لاتخشى من عوج ودعه يمشي مع السفينة حيث سارت ثم ان نوحا أغلق أبواب السفينة وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها فصارت تمشي بهم بين أمواج كالجبال وقد قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ويروى ان الله تعالى لما أرسل الطوفان رفع البيت المعمور الذي كان انزله في زمن آدم وكان من ياقوتة حمراء فلما طغى الماء رفعه الله تعالى الى السماء وسماه البيت المعمور العتيق لانه صار عتيقا من الطوفان فلما سارت السفينة أتت الى مكان الكعبة وطافت به سبعا ثم أتت الى مكان بيت المقدس فزارته وكانت السفينة لاتمر بنوح على مكان حتى تنادى يانوح هذا مكان كذا وكذا فطافت به من المشرق الى المغرب وكان حول السفينة سبعون الف ملك يحفظونها من العذاب المنزل فكانت تجري في الماء كجري القمر في الفلك فلم تكن الا ساعة يسيرة حتى ارتفع الماء فوق رؤس الجبال مقدار اربعين ذراعا وعم الارض والجبال ولم يبق على وجه الارض ذو روح غير اهل السفينة وعوج بن عنق الاهلك ولم تبق مدينة ولا قرية الا خربت ولم يبق لهم اثر الا الاهرامات والبرابي فانها كانت محكمة البناء *(ومن النوادر)* الغريبة ما رواه الثعلبي في أخبار الطوفان ان امرأة حملت ولدا لها صغيرا مرضعا ولم يكن في القوم من الاطفال غيره فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها وهربت وصعدت الى جبل عال لتعتصم به من الماء فلما فشيها الماء حملت ابنها على عنقها فلما بلغ الماء الى فمها رفعته بيدها الى أعلى راسها فلما غمرها الماء جعلته تحت رجليها ووقفت عليه ساعة فطلبت النجاة قدر نفس ثم غرقا جميعا فأوحى الله الى نوح لو كنت ارحم احدا من قومك لرحمت تلك المرأة وولدها فصارت هذه الواقعة مثلا فيقال اذا وقع الطوفان يضع الانسان ولده تحت رجليه *(قال الكسائي)* اختلف جماعة من العلماء في مقدار مكث الماء على الارض فمنهم من قال مكث على وجه الارض ستة اشهر ومنهم من قال مائة وخمسين يوما وبعد ذلك اوحى الله الى الارض يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي ويروى ان الجودي جبل بالقرب من الموصل فاستقرت السفينة عليه *(قال الثعلبي)* كان استواء السفينة على جبل الجودي في يوم عاشوراء

وهو العاشر من المحرم فصامه نوح شكرا لله تعالى وامر من كان معه بالصيام في ذلك اليوم
شكرا على تلك النعمة ويروى ان الطيور والوحوش والدواب جميعهم صاموا ذلك اليوم
ان نوحا اخرج ما بقي معه من الزاد فجمع منها سبعة أصناف من الحبوب وهي البسلة
والعدس والفول والحمص والقمح والشعير والارز فخلط بعضها في بعض وطبخها في
ذلك اليوم فصارت الحبوبية من ذلك اليوم سنة نوح عليه السلام وهي مستحبة ثم
فتح ابواب السفينة فرأى الشمس والسحاب وقد تقطع وظهر في الارض قوس قدح وقيل
انه لم يظهر فيما قبل الا في ذلك اليوم وكان دليلا لنقص الماء فلما رأى نوح ذلك كبر وكبر
معه اهل السفينة قاطبة ثم ان اهل السفينة صاروا لا يقابلون الشمس بأعينهم فشكوا
ذلك الى نوح وقالوا لا طاقة لنا ان نقابل ضوء الشمس باعيننا فأمرهم ان يكتحلوا بحجر
الاثمد في ذلك اليوم لتقوى اعينهم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
اكتحل في يوم عاشوراء لم يرمد في سنته ثم ان نوحا فتح ابواب السفينة كلها فدخلته
الشمس ونفضت الطيور أجنحتها وتحركت الوحوش وتمايلت الاشجار ثم ان عوج بن
عنق لما رأى السفينة قد رست تركها ومضى يخوض في الماء حيث شاء قال الكسائي
اول ما ظهر من الجبال في الارض جبل ابي قبيس الذي بمكة وظهر مكان الكعبة وقد
صارت ربوة حمراء ولم يسلم من القرى سوى قرية نهاوند فوجدت من تحت الماء كما هي لم
تتغير وسلمت الاهرامات وسلمت البرابي التي كانت بجهات الصعيد وهي التي بناها هرمس
الاول الذي اودع فيها علم النجوم وعلم الهيئة فوجدت على حالها ثم ان نوحا اراد ان يعلم
هل انكشف الماء عن الارض ام لا فارسل الغراب يكشف له خبر الارض فلما ذهب
الغراب رأى جيفة فاشتغل بأكل الجيفة وابطأ بالخبر عن نوح سبعة ايام فدعا عليه فصار
يمشي وفي راسه الرعشة لا يستقر بمكان واحد ثم ان نوحا قال لبقية الطيور من فيكم يأتيني
بخبر الماء ولم يفعل كفعل الغراب فقالت الحمامة انا آتيك بخبر الماء يا نبي الله فطارت
وغابت ساعة ثم رجعت وفي فمها ورقة خضراء فلما رأى نوح تلك الورقة في فمها
قال هذه الورقة من ورق الزيتون فعلم ان الماء لم ينكشف عن الارض ثم اقام بعد ذلك
مدة يسيرة وارسل الحمامة فغابت ساعة ثم عادت ورجلاها مخضبة بحمرة وسبب ذلك انه
اول ما انكشف عن الارض مكان الكعبة فصارت ربوة حمراء فوقفت عليها الحمامة
فاختضبت رجلاها من ذلك الطين الاحمر وتطوقت فدعا لها نوح وقال اللهم اجعل
الحمام ابرك الطيور واكثر من نسله وحببها للناس فاقامت السفينة على الجبل اربعين
يوما حتى جفت الارض ونبتت فيها الاعشاب من كل جانب فأوحى الله الى نوح ان اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك ثم ان الله أمر نوحا أن يطلق ما كان معه من

الطيور والوحوش والدواب والهوام فاطلقهم أجمعين فتفرقوا فى الفضاء كما كانوا فى الاول ثم ان الله تعالى اظهر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كما كانوا اولا ثم بعد ذلك امطر مطر الرحمة ودحرج ماء الطوفان عن الارض وجعله ملحا اجاجا ففرح نوح بذلك واستبشر بالرضى من الله تعالى *(ويروى)* ان نوحا لما خرج من السفينة راى الارض بيضاء كلها فصار متعجبا من ذلك فاتاه جبرائيل وقال له هل تدرى يا نوح ماهذا البياض الذى تراه قال وما هو قال هذه عظام قومك ثم سمع صلصلة عظيمة فقال له جبرائيل أتدرى ماهذه الصلصلة قال وما هى قال هذه أصوات السلاسل التى يسحبون بها قومك الى النار وهو قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا قال لما خرج نوح من السفينة وكان معه من المؤمنين ثمانون انسانا عمر لهم قرية هناك وسماها قرية الثمانين وهى أول قرية بنيت على وجه الارض بعد الطوفان فلما استقروا بتلك القرية اوقع الله فيهم الفناء فماتوا جميعا ولم يبق منهم احد الا نوح واولاده وهم سام وحام ويافث ونساؤهم فكان عدتهم سبعة انفس وهو قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فجميع العالم من نسل نوح عليه السلام وهو ابو البشر الثانى *(قال وهب بن منبه)* كان مبتدا الطوفان فى رجب وكان انتهاؤه فى اواخر ذى الحجة قال ابو معشر كان بين طوفان نوح وتوبة آدم الفان ومائتان واربعون سنة وكان بين الطوفان والهجرة النبوية ثلاثة آلاف وسبعمائة واربعة وسبعون سنة (ومن النكت) اللطيفة مانقله الثعلبى قال لما استقر نوح اوحى الله اليه بان يغرس الاشجار التى كانت معه فغرسها فى اول الارض وكان اول ماغرس شجرة الآس واراد ان يغرس شجرة العنب فلم يجدها فقال لولده سام يابنى ما فعلت بشجرة العنب فقال لا اعلم بها فهبط جبرائيل وقال له يانوح ان ابليس قد سرقها قال نوح لابليس اعد شجرة العنب التى سرقتها فقال ابليس ما اعيدها لك حتى تشركنى بها فقال له قد جعلت لك فيها الثلث فأبى ابليس من ذلك فقال قد جعلت لك الثلثين فرضى بذلك قال الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتاب حياة الحيوان لما غرس ابليس شجرة العنب فى الارض ذبح عليها طاوسا فشربت من دمه فلما طلعت اوراقها ذبح عليها قردا فشربت من دمه فلما اثمرت ذبح عليها اسدا فشربت من دمه فلما تزببت اعنابها ذبح عليها خنزيرا فشربت من دمه فلهذا شارب الخمر يعتريه هذه الاوصاف الاربعة وذلك اول مايشربها وتدب فى اعضائه فيزهو كما يزهو الطاوس فاذا انتشى صفق ورقص كما يرقص القرد فاذا قوى عليه السكر عربد وزمجر كما يفعل الاسد فاذا خمد رمنه السكر ينعس و يطلب النوم كما يفعل الخنزير فهذه العناصر الاربعة لاتحول من شارب الخمر قط وقال فى المعنى

كرمها من عهد نوح مصرا * فيه سرامرور الانفس
ليس قولي بحديث مفترى * لم يزل شار بها في انفس

قال الكسائي اول من عصر الخمر ابليس واول من صنع الطار والمزمار وآلات الطرب
(ذكر ما كان من اخبار الارض بعد الطوفان) قال الكسائي لما استقر نوح في الارض قسم الجهات بين اولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث فاستقر سام بالجهة الغربية فكان من نسله الروم وفارس والعرب وكان يرى في وجه سام نور النبوة واضاف اليه جهات الحجاز واليمن والعراق والشام وغير ذلك من الجهات وكان اكبر اولاده واما حام فاستقر بالجهة القبلية مع الجنوب فكان من نسله الزنج والحبشة واما يافث فاستقر بالجهة الشرقية فكان من نسله الترك ويأجوج ومأجوج فهم بنو عم الترك ثم ان الله تعالى اوحى الى نوح بأن يدفن جسد آدم وحواء في المكان الذي اخذهما منه ففعل ذلك ثم امره بأن يرد الحجر الاسود الى مكانه ففعل ذلك واستمر نوح يسعى في عمارة الارض بعد الطوفان كما كانت عليه في الاول قال كعب الاحبار لما كبر سن نوح وقرب اجله اراد ان يدعو اولاده واولاد اولاده ويسأل الله ان يرزقه الاجابة في دعائه فصعد الى جبل عال ونادى ابنه ساما فجاء وجلس بين يديه فوضع نوح يده عليه وقال اللهم بارك في سام وفي ذريته واجعل فيهم النبوة والملك فكان من نسل سام ارفخشد فجاء من اولاده الانبياء والصلحاء ثم نادى ابنه حام فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل اولاده اذلاء وسود وجوههم واجعلهم عبيدا وخدما لاولاد سام وقيل كان لحام ولد يقال له مصرايم فسمع دعاء جده نوح فجاء اليه وقال له ياجدي قد اجبتك اذ لم يجبك ابي فوضع نوح يده على مصرايم وقال اللهم كما اجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته واسكنهم الارض المباركة التي هي ام البلاد وغوث العباد التي نيلها افضل الانهار فسكن مصرايم بمصر وبه سميت فكان من ذريته القبط ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل نسله شرار الخلائق فكان من نسله يأجوج ومأجوج والترك كما تقدم فلما دعا نوح على ابنه حام فواقع زوجته في تلك الليلة فحملت بولدين ذكر وانثى فرأى حام لونهما اسود فانكرهما وقال ماهما مني فقالت زوجته بلى بل هما منك ولكن لحقتنا دعوة ابيك فتركهما ابوهما وولى هاربا على وجهه خجلا من الناس فلما كبر اولاده خرجا في طلب ابيهما حام فبلغا الى قرية بساحل بحر النيل ثم ان الغلام الاسود وثب على اخته فحملت وولدت غلاما وجارية اسودين فتناكحا وتناسلا فكان من نسلهما جميع السودان الى الان قال الكسائي ان القرية التي نزلوا بها تسمى النوبة واما يافث فانه سار الى بلاد المشرق فتزوج هناك فولدت له خمسة من الاولاد وهم جوهر وبترس ومياسيخ وسناف وسقويل فمن نسل

جوهر الصقالبة والروم ومن نسل بترس الترك والخزرج ومن نسل مياشيخ الاعاجم ومن سناف يأجوج ومأجوج ومن نسل سقو بيل الارمن واما سام فانه ولد له من الاولاد خمسة (ارفخشد) جاءت منه الانبياء والصلحاء ومن نسله عرب ربيعة ومضر وقبائل اليمن (وحاشيم) جاء من نسله اقوام بارض اليمن يقال لهم النسانيس وكان في وجوههم عين واحدة واذن واحدة ورجل واحدة (وهويل) جاء من نسله العمالقة والعادية (وآدم) جاء من نسله قبائل ثمود وعاد (وشمليخا) كان منقطع النسل عقيما انتهى قال الشعبي ان ساما عاش من العمر ستمائة سنة وكان جزوعا من الموت فكان نوح يسأل الله ان لايموت سام حتى يسأل هو ربه الموت فلما كبر سنه عجز عن الحركة فسأل ربه الموت فلما مات سام دفن في مدينة نوى من اعمال حوران قال وهب بن منبه ان نوحا عاش بعد الطوفان مائتي سنة وحج بعد خروجه من السفينة قال وهب بن منبه بعث الى قومه وهو ابن مائتي وخمسين سنة ولبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما كما اخبر الله في القرآن العظيم فلما استوفى نوح العمر الذي كتبه الله له جاء اليه ملك الموت وقال له السلام عليك يانبي الله فقال وعليك السلام من انت فقد ارعدت قلبي بسلامك فقال انا ملك الموت جئتك لاقبض روحك فلما سمع نوح ذلك تغير وجهه وتلجلج لسانه فقال له ملك الموت ماهذا الجزع يانوح الم تشبع من الدنيا وانت اطول الناس عمرا فقال نوح انما وجدت الدنيا دارالها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر ثم ان ملك الموت ناوله كاسا من شراب الجنة وقال له اشرب من هذا الشراب حتى يسكن روعك فتناوله وشربه فلما شربه خر ميتا صلوات الله تعالى عليه فلما مات شرع اولاده في تجهيزه فغسلوا وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في قرية قريبة من الكرك ويقال ان عند قبره عين ماء تجري وقد قال القائل

نح على نفسك يا * مسكين ان تنوح
لتموتن ولو عمرت * ماعمر نوح

(ذكر قصة هود عليه السلام) قال الله تعالى والى عاد اخاهم هودا الآية قال كعب الاحبار الذي اتى بعد نوح من الانبياء هو نبي الله هود وهو هود بن عبد الله بن عوص من اولاد سام وكان من قبيلة يقال لها عاد وكانوا من عرب يسكنون الاحقاف وهي جبال من رمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بالقرب من البحر المالح وكان لهذه القبائل ملك يقال له الجلجان وكان طوله مائة ذراع ولهذا اذا قام يغطي الشمس عن الارض واذا وضع يده على الجبل هدمه من جوانبه قال وهب بن منبه وكان طول الرجل من قوم عاد مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وكانوا لايبلغوا الحلم الا بعد مائة سنة وكانت تمر عليهم الاربعمائة سنة ولم يمت فيهم ميت ولا يرى عندهم جنازة وكان رأس

كل واحد منهم قدر القبة العظيمة وكانوا اقواما جبارين يعبدون الاوثان من دون الله
قال بلغني ان ستين رجلا من قوم موسى استظلوا في قحف رجل من العمالقة قال زيد
ابن اسلم رأيت ضبعا واولاده اوكروا في عين رجل من العمالقة ولقد وزنت ضرسا من
اضراسه فجاء نحو عشرة ارطال قال وهب بن منبه فلما زاد طغيان هؤلاء القوم بعث الله
اليهم هودا وكان لهود من العمر اربعون سنة من بعثته فنزل اليه جبرائيل وقال ان الله
قد بعثك الى قوم عاد فانذرهم واعلمهم اني قد امهلتهم دهرا طويلا واعطيتهم من القوة
مالم اعطها لاحد من قبلهم وجعلتهم ملوكا على اسرة من الذهب وجعلتهم اطول الناس
اعمارا فامض اليهم وادعهم الى التوحيد وليرجعوا عن عبادة الاوثان فتوجه اليهم هود
وهم في يوم عيدهم وقد اجتمعت هناك الملوك وجلسوا على اسرة الذهب وجلس الملك
الجليجان على سرير من الذهب وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة فلم يشعروا الا
بصوت هود وهو يقول يا قوم اعبدوا الله ربي وربكم مالكم من اله غيره وان هذه
الاصنام التي تعبدونها من دون الله فانها هي التي اغرقت قوم نوح من قبلكم فلما رآه
الملك الجليجان قال له ويحك يا هود اتظن انك مع جوعنا وشدة بأسنا وقوتنا تغلبنا
بهذه الكلمات اما تعلم انه في كل يوم وليلة يولد لنا الف ولد فلما ضجر هود وهو يدعوهم
الى التوحيد وهم لا يسمعون منه فسأل الله ان يعقم نساءهم فلم تحمل منها امرأة في تلك
السنة فشكوا ذلك الى ملكهم الجليجان وقالوا ان هودا اعقم نساءنا ونخشى ان يكون
صادقا فيما يقول ثم ان الله تعالى اوحى الى هود ان اخبر قومك ان يؤمنوا بي والا ارسلت
عليهم ريحا عقيما فلما سمعوا منه ذلك ضربوه بالحجارة فاقام يدعوهم سبعين سنة وهم
يرجمونه بالحجارة فلما ايس منهم قال الهي انك تعلم اني بلغت رسالتك الى قوم عاد وهم على
كفرهم في ضلال مبين ثم ان الله تعالى امسك عنهم المطر سبع سنين فلما اجدبت ارضهم
ماتت مواشيهم وعزت عندهم الاقوات حتى هلك منهم نحو النصف وكان ذلك الزمان
اذا قحطوا توجه منهم جماعة الى مكة ويدعون الله عند البيت الحرام فيسقون في شهرهم
ثم ان قوم عاد اختاروا منهم سبعين رجلا من صلحائهم فتوجهوا الى مكة واخذوا معهم
كسوة للكعبة فلما كسوا البيت جاء ريح عاصف فزق تلك الكسوة ونفضها عن البيت
ثم طافوا بالكعبة ودعوا الى الله واستسقوا لقومهم فسمعوا قائلا يقول هذه الابيات

قبح الله وفد عاد اتونا * ان عادا اشر اهل الجحيم
سيروا وفدهم ليسقوا غيثا * فيسقون من شراب الحميم

فلما دعوا الله تعالى ارسل اليهم ثلاث سحابات واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة
سوداء ثم سمعوا قائلا يقول اختاروا من هؤلاء واحدة فاختار كبيرهم السوداء وظن

انها محشوة بالمطر فساقها الله الى ديارهم فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا قال وهب بن منبه ان الله اوحى الى ملك الريح بأن يفتح اطباق الريح العقيم من تحت الارض فلما عاين قوم عاد ذلك خرجوا الى الصحارى هاربين على وجوههم فلما ثارت الريح العقيم قلعت الاشجار بعروقها وانهدمت الدور على اهلها واستمر هذا الامر على القوم سبع ليالى وثمانية ايام حسوما اى متتابعة فلما رأى القوم ذلك بادروا الى البيوت ودخلوا فيها فدخل اليهم الريح فاخرجهم منها على وجوههم فلما تزايد بهم خرجوا الى الصحارى ولبسوا آلة السلاح ووقفوا وقالوا نحن ندفع الريح بقوتنا وسطوتنا فجاء الريح فاقتلع منهم تسعة انفس ممن هو اعظم خلقة واقوى سطوة فكان الريح يرفع الرجل فى الجو نحو عشرين ذراعا ثم يضرب به الارض فيصير كانه اعجاز نخل خاوية وكان الريح يدخل بين اثواب الرجل ويحمله ويضرب به الارض فيخر ميتا ثم امطر الله عليهم الرمال المحمومة بالنار فاستمروا على ذلك اربعين يوما وابقى الله ارواحهم فى اجسادهم حتى يطول عذابهم فكان المؤمن يمر عليهم فيسمع لهم انينا من تحت الرمال ويروى ان هودا لما خرج الريح العقيم الى الارض لم يخرج من بين قومه وكان غيره من الانبياء اذا نزل بقومه العذاب يخرج من بينهم الا هودا ومن آمن معه لا يصيبهم من الريح شئ فكان المؤمن يجلس والى جانبه الرجل الكافر فيخط بينهما خطا فكان الريح العقيم يهب على المؤمن نسيما رطبا ويهب على الكافر سموما صعبا واما لكهم الجليجان فانه عاش بعد فناء قومه اياما حتى نظر الى مصارعهم اجمعين ثم جاء الريح فدخل فى فمه وخرجت من دبره فسقط ميتا ولم ينج من ذلك العذاب سوى نبى الله هود ومن معه من المؤمنين ثم ارسل الله عليهم طيورا سودا فنقلت اجسادهم والقتهم فى البحر المحيط ويروى ان رجلا اتى الى الامام على بن ابى طالب رضي الله عنه فقال له من اى ارض انت ايها الرجل فقال له من حضرموت بأرض اليمن فقال له اعندك خبر من قبر نبى الله هود فقال الرجل نعم خرجت فى ايام شبابى ومعى جماعة من اصحابى فسرنا حتى اتينا الى جبل عال وفيه مغارة فيها ثقب ضيق فسرنا فيه بعسر الى ان افضى بنا ذلك الى مكان واذا بسرير من ذهب وعليه رجل ميت وعليه اكفان بالية فلمست بدنه فاذا هو لم يبل ولم تتغير هيئته فتأملته فاذا هو رجل واسع العينين مقرون الحاجبين اسيل الخدين لطيف الفم طويل اللحية وتحت رأسه لوح من الرخام الابيض وعليه مكتوب هذا هود نبى الله بعث الى قوم عاد فكذبوه فأخذهم الله بالريح العقيم فلم يبق منهم احدا انتهى (ذكر قصة شداد بن عاد) قال وهب ابن منبه هو شداد بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح (وكان) عاد بن شداد كثير الاولاد قيل كان له اربعة آلاف ولد وتزوج بألف امرأة وعاش من العمر الف سنة (قال)

الكسائي لما مات عاد استخلف بعده ثلاثة اولاد شداد وشديد وارم وكان شدادا كبر اولاده نخضعت له الرقاب لما ملك بعد ابيه فلما تزايدت عظمته قهر ملوك الارض بالطول والعرض وقتلهم وملك ارضهم وديارهم وصار ملك الدنيا من مشرقها الى مغربها في قبضة يده (قال) وهب بن منبه لم يملك الدنيا باسرها غير اربعة مؤمنين وكافرين فاما المؤمنان فهما سليمان بن داود والاسكندر ذو القرنين واما الكافران فهما شداد بن عاد والنمرود ابن كنعان وقيل بخت نصر والله اعلم وقيل في المعنى

كم من الملوك هلكوا * ملكوا الدنيا وما قد ملكوا

كدر الموت عليهم عيشهم * تركوا الدنيا وما قد تركوا

(قيل) للامام علي رضي الله عنه صف لنا الدنيا فقال واي شيء بها اصفه لكم دار اولها عناء وآخرها فناء * حلالها حساب * وحرامها عقاب من استغنى فيها افتتن * ومن افتقر فيها حزن (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقد قيل في المعنى

والله لو كانت الدنيا باجمعها * تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا

ما كان من حق حر ان يذل لها * فكيف وهي متاع يضمحل غدا

(قال) الكسائي ان شداد بن عاد كان مولعا بقراءة الكتب القديمة التي انزلت على الانبياء فكان كلما مر عليه سماع اوصاف الجنة ترتاح لها نفسه فخطر بباله ان يعمل له في الدنيا جنة مثلها وقد قيل في المعنى

احببتكم من قبل رؤياكم * لحسن وصف عنكم قد جرا

وهكذا الجنة معشوقتي * لحسنها من قبل ان تبصرا

(ثم) ان شدادا امر بعض وزرائه وكان له الف وزير بان يجمع له الحكماء والمهندسين وامرهم ان ينظروا له ارضا واسعة طيبة الهواء كثيرة الانهار والاشجار ليبني له جنة عظيمة فتوجه الوزير بمن معه من اهل الخبرة وساروا في الارض فلما وصلوا الى عدن من نواحي اليمن وجدوا هناك ارضا على هذه الصفة فاخبروه بها فوجه اليها البنائين والمهندسين فاجتمعوا عند الارض فوجهوها وخطوها اربعة الجوانب دورها اربعون فرسخا من كل جانب عشرة فراسخ فلما حفروا اساس تلك المدينة وبنوا فيها الرخام المجزع واظهروه من جوانبها مقدار النصف واخبروه بذلك (قال لوزرائه) الستم تعلمون اني قد ملكت الدنيا جميعها فقالوا نعم فقال اريد ان تجمعوا الي جميع ما فيها من الذهب والفضة ومعادن الجواهر واللآلي واليواقيت والمسك والكافور والزعفران وغير ذلك من الاصناف النفيسة فجمعوا له ما في بلادهم وما كان عندهم وما كان في ايدي الناس

وارسلوا الى سائر الاقطار واحضروا ما كان فيها من ذلك جميعه فصارت الناس يتعاملون
بالجلود فيقصونها على هيئة الدراهم ويختمونها باسم الملك ويتعاملون بها فى كل جهة
فلما احضروا الجميع اخذوا يجعلون من الذهب لبنا ومن الفضة لبنا ويبنونه فوق ذلك
الرخام حتى اتموا جوانبها فلما احاط ذلك السور بالمدينة اخذوا يعملون فى وسطها غرفا
وقصورا على صفة السور من الذهب والفضة ويجعلون لها قوائما من الزبرجد الاخضر
والياقوت الاحمر وجعل تلك القصور والغرف تشرف على اشجار من الجواهر
واليواقيت واللؤلؤ والانهار المتدفقة وحول القصور تلال من المسك والعنبر والكافور
والحكم وذلك كله بالصنائع العجيبة المتقنة التى لم يكن فى الدنيا مثلها بل ولا فى الدنيا
مثل بعضها قال الكسائى كان مدة عمارة هذه المدينة فى ثلثمائة سنة فلما تكامل بناؤها
اخبروا الملك بذلك فأمر الوزراء والامراء والحجاب بأن ينقلوا اليها الفرش الفاخرة
والآنية الفاخرة فأقاموا ينقلون ذلك مدة عشر سنين فلما انتهوا من ذلك ركب الملك
شداد واركب نساءه وخدمه ونساء وزرائه وامرائه وحجابه فى هوادج من الذهب
المتقنة بصنائع المهندسين فلما وصلوا الى باب تلك المدينة واراد الملك الدخول اولا واذا
بملك من الملائكة ارسله الله الى شداد فقال الملك يا شداد ان انت اقررت لله بالوحدانية
مكنتك من الدخول وان لم تقر لله بالوحدانية والا اخذت روحك فى هذه الساعة فلما
سمع شداد ذلك الخطاب طغى وكفر وفجر فصاح عليهم ذلك الملك صيحة فماتوا اجمعين عن
آخرهم ولم يدخل احد منهم الى تلك المدينة (قال) وهب بن منبه لم يكن مثل هذه المدينة
على وجه الارض وقد قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق
مثلها فى البلاد وقد اختلفوا فى ذلك اختلافا كثيرا (قال) السدى ان هذه المدينة التى
بناها شداد بن عاد باقية الى الآن وقد دخلها رجل اعرابى يقال له عبد الله بن قلابة
وذلك فى خلافة معاوية بن أبى سفيان سنة ثمانية واربعين من الهجرة النبوية انتهى
ما أوردناه من اخبار شداد بن عاد باختصار (ذكر قصة نبى الله صالح صلى الله عليه وسلم)
قال الله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا الآية وهو صالح بن كانوك قد بعثه الله الى قبيلة ثمود
(قال) السدى ثمود اسم بئر كانت بين ارض الحجاز والشام (قال) ابن اسحاق لما اهلك الله
قوم عاد بالريح عمرت ثمود من بعدهم بلادهم واتخذوا من الجبال بيوتا مجوفة بالنحت
وجعلوا على تلك البيوت ابوابا من الخشب مصفحة بالحديد وقد اوسع الله لقوم ثمود بكثرة
المال وقد قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد الآية فلما تمكنوا
فى الارض طغوا وخالفوا امر الله تعالى وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا (قال)
العزيزى قد كان كانوك ابو صالح فى خدمة الاصنام ففى بعض الايام سجد للصنم الكبير

فلما سجد نكس الصنم رأسه فتعجب كانوك من ذلك فأنطق الله الصنم وقال له يا كانوك ان في ظهرك نبيا يبعثه الله الى قبيلة ثمود قال فلما سمع كانوك ذلك خرج هاربا على وجهه فلما جن عليه الليل بعث الله اليه ملكا على صفة طير فاحتمل كانوك ومضى به الى واد كثير الاشجار والمياه فلما اصبح كانوك تمشى في ذلك الوادي فنظر الى جبل عال وفيه غار فدخل في ذلك الغار فألقى الله عليه النوم فنام في ذلك الغار نحو مائة سنة فكان الملك يطلبه في كل يوم فلم يجده فاتخذ للاصنام خادما غيره فكانت زوجة كانوك تبكي عليه ليلا ونهارا فبينما هي تبكي واذا بغراب ينعق على الباب فخرجت اليه فقالت له ايها الطائر ما احسن صوتك فأنطق الله لها ذلك الغراب فقال لها انا الذي بعثني الله الى قابيل بن آدم لما قتل اخاه هابيل لاريه كيف يواري سوءة اخيه فقال لها ايضا مالي اراك باكية حزينة فقالت له لقد فقدت زوجي من مدة مائة سنة فقال لها الغراب اتحبي ان امضي بك اليه فقالت ان ذلك يحب فقال الغراب اتبعيني من امر الله فعند ذلك قامت من وقتها وساعتها فصارت تمشي والغراب يطير قدامها فخفف الله عليها الطريق وهي سائرة في جوف الليل حتى وصلت الى ذلك الوادي الذي فيه زوجها كانوك ثم ان ذلك الغراب وقف على باب الغار فقال لها ادخلي فدخلت فرأت زوجها نائما فدنا منه الغراب وقال له قم يا كانوك بقدرة الله تعالى فاستوى جالسا فدخلت عليه زوجته فتعانقا فواقعها في تلك الساعة فحملت منه بصالح عليه السلام فلما واقعها وفرغ وقع في الحال ميتا فخرجت زوجته من عنده فصارت تمشي والغراب معها حتى دخلت الى بلد ثمود وكل ذلك جرى تحت الليل فلما كمل حملها وضعت صالحا وكان وضعه في ليلة الجمعة من شهر المحرم ففي ليلة وضعه اصبحت جميع الاصنام منكوسة فبلغ الملك ذلك فاغتم غما شديدا وقال من انكس اصنامنا فدخل ابليس جوف الاصنام وقال يا آل ثمود ولد فيكم مولود يقال له صالح يفسد عليكم دينكم فلما كبر صالح وانتشى فكان اجل اهل زمانه فصيح اللسان بالعربية فلما اتى عليه من العمر اربعون سنة اوحى الله اليه ان يدعو قوم ثمود الى توحيد الله المعبود وينهاهم عن عبادة الاصنام فعند ذلك ذهب الى القوم فرآهم مجتمعين في يوم عيدهم وقد نصبوا اصنامهم على اسرة من ذهب فتقدم صالح ووقف بين يدي الملك وقال له اعلم اني قد جئتكم رسولا من عند رب العالمين ادعوكم الى توحيده فقال له الملك يا صالح ان قبائل ثمود لا ترضى ان يكون مثلك رسولا اليهم فقال صالح ان الله يختص برسالته من يشاء ثم ان الملك اقبل على قومه وقال لهم ماذا ترون فقالوا انه لكذاب اشر ثم ان صالحا بنى له مسجدا بين قبائل ثمود فكان يتعبد في كل يوم ويخرج الى قبائل ثمود ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وهم على ما هم عليه من الضلال فاقام

صالح على ذلك مدة سبعين سنة ثم ان الله اعقم نساءهم وابقارهم واغنامهم وجفت
اشجارهم وصارت الخيول تنفر عنهم فهموا بقتل صالح ففر منهم الى جبل من الجبال
فى مغارة فرأى فى تلك المغارة سريرا من الذهب وعليه الفرش الفاخرة ورأى جوهرة
اضاءت منها المغارة فتعجب صالح من ذلك ونام على الفرش والسرير فكانت تلك
النومة نحو اربعين سنة ولا يعلم احد الى اين توجه فلما انتبه من منامه اوحى الله
اليه ان انطلق الى قوم ثمود وادعهم الى التوحيد فاقبل صالح على القوم وهم
مجتمعون فى يوم عيدهم والملك جالس وحوله قومه وارباب دولته فناداهم صالح ياقوم
ان اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فلما سمعوا صوته تساقطت الاصنام فقال له الملك
اوليس الذى كنت فينا بالامس وقد غبت عنا مقدار اربعين سنة فلا نؤمن بك حتى
تخرج لنا ناقة من هذه الصخرة فقال صالح ان ربى على كل شئ قدير وهذا هين على
ربى فقال القوم تكون الناقة ذات الوان احمر واصفر واسود وابيض ويكون
طولها مائة ذراع وعرضها مثل ذلك ويكون مشيها كالبرق الخاطف وصوتها كالرعد
القاصف ويكون لها فصيل خلفها على صفتها ويكون لبنها احلى من العسل ويسكر
مثل الخمر ويكون فى الصيف باردا وفى الشتاء حارا ماشربه مريض الاشفى من يومه
ولا فقير الا ويستغنى وتدخل علينا فى كل يوم عند العشاء وتسلم على القوم كل واحد
باسمه وتقف على بابه وتحلب له اللبن من غير احلاب وانها لاترعى من مراعينا ولا تجفل
عن مواشينا ويكون الماء لنا يوم ولها يوم وقال آخر من القوم انا اريد ان تخرج لنا من هذه
الصخرة ناقة يكون بدنها من الذهب ورجلاها من الفضة ويكون رأسها من الزبرجد
الاخضر واذناها من المرجان ويكون موضع سنمها قبة من الدر ولها اربعة اركان مرصعة
بأنواع اليواقيت فاذا اخرجتها لنا بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك فقال الملك بل تخرج
لنا من هذه الصخرة ناقة ذات لحم وعظم وجلد وشعر ويكون لها سنم قدر القبة ويكون
لها فصيل يتبعها وهو على هذه الصفة فان انت اخرجتها بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك
ثم ان صالحا قال ياقوم قد اشترطتم على شرائط كثيرة وانا اشترط عليكم ان لا يركبها احد
ولا يرميها بحجر ولا سهم ولا يمنعها من شرب الماء ولا يمنع فصيلها فقالت القوم كلهم نعم
فلما اخذ عليهم العهود قام وصلى ركعتين ورفع يده الى السماء ودعا الله تعالى ثم تقدم
الى الصخرة فضرب عليها بقضيب كان لآدم عليه السلام فاضطربت الصخرة وانت
مثل انين الحامل ثم خرجت من الصخرة ناقة على الصفة التى ارادوها وفصيلها يتبعها
وهى تنادى لا اله الا الله صالح رسول الله قال ابن عباس رضى الله عنه كان طول الناقة
سبعمائة ذراع وعرضها مائة ذراع وكان لها سبعة آلاف جملة تحمل من العشب فلما نظر

الملك

الملك اليه قام من ساعته وقبل رأس صالح وقال اشهد ان لا اله الا الله صالح رسول الله فآمن مع الملك جماعة كثيرة ثم سارت الناقة وفصيلها تمشي الى الجبال والاودية وترعى فاذا أمسى المساء دخلت الى المدينة وطافت على دور القوم تسلم وتعطي اللبن فكان القوم يخرجون بالاواني ويضعونها تحت ثديها فتمتلئ الاواني باللبن فاذا اكتفى جميعهم تأتي عند مسجد صالح وتقيم هي وفصيلها هناك واستمرت على ذلك مدة ثم ان مواشي القوم صارت تنفر من الناقة حين ترد الماء وكان في القوم امرأة ذات حسن وجمال يقال لها قطام وكانت معشوقة لشخص يقال له مصدع وكان من الجبابرة وكان مصدع يجتمع مع شخص من اصحابه يقال له قيدار فاجتمع مصدع وقيدار في بيت قطام على سكر فأحضرت لهما خمرا صافيا وطلبا منها الماء ليمزجانه ولم تجد ماء فطلبته من جيرانها فلم تجده فسألا عن السبب فقيل ان الناقة تشربه فعزم مصدع وقيدار على عقرها ثم ان مصدعا اقبل على رهط وقال لهم اني عازم على عقر الناقة فهل تعينوني فقالوا نعم وذلك قوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قال فكمن قيدار للناقة في مكان الجبل فلما اقبلت الناقة وهي ترعى وقربت من قيدار ضربها بسيف فقتلها ثم طلب فصيلها فهرب الى المكان الذي خرج منه فلما عقر الناقة وشاع ذلك اتوا وصاروا يقطعون من لحمها لم يبق بيت الا ودخله من ذلك اللحم وصاروا يأكلون ويضحكون فلما اتى صالح وكان غائبا اخبروه بعقر الناقة وقال له جماعة من القوم لا ذنب لنا في عقر الناقة وانما عقرها قيدار فقال لهم صالح انطلقوا فان ادركتم فصيلها فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فرأوه قد اختفى في الصخرة التي خرج منها فقال صالح لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال السدي وكان عقر الناقة يوم الاربعاء ثامن عشر صفر فقال صالح للقوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ثم يأتيكم العذاب وعلامته في اليوم الاول تحمر وجوهكم اياما وفي الثاني تصفر وفي الثالث تسود فلما رأوا العلامات قد ظهرت في وجوههم هموا بقتل صالح فهرب منهم واختفى في بيت كبير القوم فجاء اليه القوم وقالوا قد دخل عندك صالح فقال نعم غير اني لا اسلمه لكم لانه في اماني ثم اوحى الله الى صالح بأن يخرج من بين القوم ومعه جماعة من المؤمنين فخرج صالح هو ومن معه من المؤمنين الى نحو الشام فنزلوا بفلسطين فلما اصبح قوم ثمود في اليوم الرابع تحنطوا بحنوط الموت فلبسوا اكفانهم وانتظروا نزول العذاب فلما كان يوم الاحد ثاني عشر صفر اتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم من صدورهم وماتوا اجمعين كبيرا وصغيرا وهو قوله تعالى فأصبحوا في ديارهم جاثمين ثم توجه صالح من فلسطين الى مكة وصار يبكي

على الناقة ليلا ونهارا فأتى اليه جبرائيل وبشره ان الله تعالى يبعثها يوم القيامة وتكون راكا عليها فطابت نفسه واستمر مقيما بمكة الى ان مات وله من العمر نحو مائة وثمانين سنة قال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام دفن سبعون نبيا منهم هود وصالح واسماعيل عليهم السلام انتهى *(ذكر قصة اصحاب الرس)* قال الله تعالى وعادا وثمود واصحاب الرس الآية قال السدى اصحاب الرس كانوا بقية قوم ثمود وهم اصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد الذين ذكرهما الله فى القرآن العظيم قال السدى ان البئر المعطلة بأرض عدن وكان اهل تلك المدينة يستقون منها ليلا ونهارا وكان عليها نحو سبعين قرية بسبعين دلوا عليها رجال موكلون بها وعندها حياض للورد فلما عبدوا الاصنام البقية من قوم ثمود بعث الله لهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فدعاهم الى توحيد الله فلم يجيبوه فلما اشتد عليهم قتلوه وطرحوه فى تلك البئر فلما طرحوه غار ماؤها فهلك اهلها من العطش وهلكت البهائم اذ لم يكن غيرها فسماها الله تعالى البئر المعطلة واما القصر المشيد فهو قصر بناه شداد بن عاد بأرض عدن وكان محكم البناء فلما مرت عليه الدهور واستملكه الجان فلم يقدر احد من الناس ان يدنو منه على مقدار ميل لما يسمع منه من اصوات الجن وضجيجهم ليلا ونهارا قال الكسائى اصحاب الرس كانوا بأرض حضرموت ومدينتهم تسمى الرس وكانت ذات اشجار واثمار وقرى عامرة يسكن بها طائفة من اصحاب الرس يعبدون الاصنام وطائفة يعبدون النار (قال) السدى انما اهلك الله اصحاب الرس لانهم كانوا يأتون النساء فى ادبارهن ولم يؤمنوا بنبيهم حنظلة بن صفوان فتزايد كفرهم وطغيانهم فصاح عليهم جبرائيل صيحة فصاروا حجارة سودا حتى بضائعهم ومواشيهم (قال) السدى ان ذا القرنين لما طاف البلاد ودخل الى مدينة الرس رأى ملكها واهلها ونساءها واطفالها ودوابها وبضاعتها واشجارها وفاكهتها كلهم حجارة سودا (قال الكسائى) وكان بهذه المدينة جبل عال يقال له جبل الفلج وكانت تأوى اليه العنقاء بنت الريح وكانت عظيمة الخلقة اذا طارت تغطى عين الشمس مثل الغمام وكان عنقها مثل عنق البعير وكان لها اربعة اجنحة اثنان طويلان واثنان قصيران وكان ريشها ذا الوان وكانت ترفع الفرس الميت والبعير والفيل وما اشبه ذلك بمنقارها وتطير به الى الجبل الذى تأوى اليه فلما تزايد منها الاذى صارت تخطف الاطفال الصغار من بنى آدم وتصعد بهم الى الجبل فتزق بهم افراخها فشكا اهل المدينة الى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا على العنقاء وقال اللهم اقطعها واقطع نسلها فنزلت عليها من السماء صاعقة فاحترقت هى وافراخها ولم يبق لها وجود وقد انكر بعض العرب وجود العنقاء وقال انما هذه حكاية وضعتها العرب حتى قيل فى المعنى

انى اختبرت بنى الزمان فلم اجد * خلا وفى للنوائب اصطفى
فعلمت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

انتهى على سبيل الاختصار *(ذكر قصة ابراهيم الخليل عليه السلام)* روى وهب ابن منبه ان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ابن تارخ بن ناحور (قال الحافظ السهيلى) وكان آزر عم ابراهيم ولم يكن اباه واسم امه ليوثا وكانت مؤمنة تكتم ايمانها وكان مولودا ببلاد حوران *(وقيل)* بقرية تسمى برزة من قرى دمشق فى مغارة هناك معروفة وفيها الدعاء مستجاب (قال السدى) كانت الكهنة تخبر النمرود انه سيولد فى هذه السنة مولود يكون هلاك النمرود على يديه فامر بذبح كل مولود يولد فى تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل بيت حارسا بسبب ذلك (قالت الرواة) ان ساما وحاما ويافثا اولاد نوح عليه السلام كانوا ثلاثة اقسام فكانت النبوة فى اولاد سام ومساكنهم الحجاز وما يليها والقوة فى اولاد حام ومساكنهم المغرب والتجبر فى اولاد يافث ومساكنهم المشرق فولد لحام ولد يقال له كوش وولد لكوش ولد يقال له كنعان وولد لكنعان النمرود المذكور (قال) وكان كنعان المذكور قوى البطش مولعا بالصيد واذا صاح بالسباع والوحوش تنشق مرائرها من شدة صيحته فتزوج امرأة فحملت بالنمرود فلما استوفت ايام حملها ولدته فقال لها ابوه كنعان انه ولد ميشوم فاقتليه او اطرحيه فى الفلاة ليموت *(قال)* فاخذته وطرحته فى الفلاة بين بقر ترعى فنفرت البقر عنه وكلما ابصره وحش فر منه فجاءت اليه امه بعد ذلك فحملته ورمته فى نهر وظنت انه قد غرق فاخرجه الماء الى البر سالما وسخر الله له نمرة ترضعه فرآه اهل قرية فحملوه وربوه وسموه النمرود فلما شب جعل يقطع الطريق فاجتمع اليه خلق كثير فبلغ خبره الى ابيه كنعان فجمع عليه الجيوش وسار كنعان بمن معه حتى ادرك ولده النمرود فلما ابصر النمرود تلك الجيوش القادمة صف جيوشه وتقدم امامهم ليكشف الخبر الذى قد ظهر له فلما اقبل كنعان بجيوشه حمل النمرود عليه فيمن معه ووقع القتال فكسر النمرود جيوش كنعان فعند ذلك برز كنعان وطلب النمرود فقتل النمرود اباه كنعان وهو لا يعلم انه ابنه وصارت المملكة بيد النمرود وصار يغزو ملوك الارض ويظفر بهم حتى ملك شرق الارض وغربها وكان يعبد الاصنام فاخبرته الكهان بامر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وقالت له ان المولود الذى اعلمناك به قد حملت به امه فى هذه الليلة وكانت ام ابراهيم عليه السلام اذا مرت بين الناس لم يعلموا بحملها ولم يظهر عليها ذلك فلما دنت ولادتها خرجت هاربة خوفا على ما فى بطنها من الذبح فلما اخذها المخاض دخلت الى المغارة ووضعته فوجدته احسن الناس وجها والنور يلمع من

بجبينه وفي ليلة ولادته وقعت الاصنام وطارت التيجان عن رؤسها ووقعت شرافات قصر النمرود الى الارض* (ثم ان ام ابراهيم) عليه السلام سدت عليه باب المغارة ومضت الى بيتها ثم اتت اليه بعد سبعة ايام فوجدته يشرب من ابهامه لبنا ومن اصابعه عسلا وزبدا فتركته ومضت وصارت تتردد اليه سنة كاملة وهو في المغارة ويشب في كل شهر كما يشب الطفل في سنة ولما خرج من المغارة كان يقاس بابن اثنى عشر سنة فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين ورجع عن اعتقاده فلما افل علم انه مخلوق ايضا فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر بعني اكبر من الكوكب والقمر فلما مالت الى الغروب قال ان هذه الاشياء كلها لا تصلح ان تكون المنافعند ذلك قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين (ثم جعل) يصيح ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ياقوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين فسمعت الخلائق كلهم صوته بذلك فذعر النمرود من ذلك (قال) فخرج ابراهيم يريد اباه وامه فجاءه جبرائيل وادخله على ابيه وامه فوثب اليه ابوه واعتنقه لما رأى النور والحسن والجمال فقال لامه من ربك فقالت ابوك قال ومن رب ابي قالت النمرود قال ومن رب النمرود فنهره عن ذلك فلم ينته وهو يقول لا اله الا الله هو ربي ورب كل شيء (فعند ذلك) بكت امه وابوه عليه خوفا من النمرود فقال لهما لا تخافا علي منه انا في حفظ من حفظني صغيرا ويحفظني كبيرا فخاف ابوه من النمرود ان يغمز عليه احد فجاء الى النمرود وقال له أيها الملك ان المولود الذي كنت تحذره هو ولدي قد ولد في غير داري ولا اعلم به حتى الآن الى ان جاءني وقد اخبرتك به فافعل به ما تريد ولا تلومني بعد ذلك فقال النمرود ائتوني به فأخذوه من عند امه وجاؤا الى النمرود فرآه النمرود وتميزه ثم قال احبسوه الى غد فلما جاء الصباح زين النمرود مجلسه وصف جنوده وقال ائتوني بابراهيم فأتوا به فنظر ابراهيم يمينا وشمالا وقال ياقوم ما تعبدون فذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون فقال له النمرود يا ابراهيم ادخل في ديني وما انا عليه فانا الذي خلقتك ورزقتك فقال ابراهيم كذبت يا نمرود بل الذي خلقني فهو يهديني والذي هو يطعمني ويسقيني الآية (قال فبهت النمرود) وبهت الناس ووقع في قلوبهم محبته من حسنه وجماله ولطافة حديثه فعند ذلك التفت النمرود الى ابي ابراهيم وقال له يا آزر ولدك هذا صغير لا يدري ما يقول ولا يجوز لمثلي في قدري وعظم ملكي ان اعجل به فخذه اليك واحسن اليه وحذره بأسي عسى يرجع عما هو عليه فأخذه آزر بيده الى امه وصار يلاطفه ساعة ويحذره ساعة

ويقول له خذ هذه الاصنام وبعها الكبير بكذا والصغير بكذا فكان لا يصغي لقول
ابيه بل يقول كما قال الله عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
لا يغني عنك شيئا الآية وكان ابوه يقول له كما قال الله تعالى لئن لم تنته لارجمنك
واهجرني مليا (قال وكان ابراهيم) يأخذ الاصنام من ابيه ويذهب بها والحبل
وبأرجلها ويجرها خلفه ويقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه فكانت الناس تنظره
ولا تجسر عليه بالنهي عن ذلك لحرمة ابيه آزر عندهم (قال فلما) مضى على ابراهيم من
العمر سبعة عشر سنة وخالط الناس فقالوا له امض معنا الى عيد المتنا وكان للاصنام
بيت مبني بالرخام الابيض والاخضر وفيه ثلاث وسبعون صنما وهم جالسون على كراسي
من ذهب وكان كبير هذه الاصنام على رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة وله عينان من
الياقوت الاحمر والاصنام عن يمينه وشماله وكان القوم يصنعون طعاما ويضعونه بين
الاصنام في يوم عيدهم وكانت الشياطين تأخذ الطعام فيظنون ان الاصنام اكلته
فيفرحون لذلك ويقولون هي راضية علينا بأكلها (قال) فصنع القوم الطعام ووضعوه
عند الاصنام على المائدة وخرج القوم الى الصحراء للعيد الا ابراهيم فانه لم يخرج معهم
فقال لهم اني سقيم فقالوا اتركوه فان الطاعون قد اصابه فلما تخلف ابراهيم عنهم
اخذ فاسا فكسر تلك الاصنام كلها الا الصنم الكبير فانه لم يكسره بل علق الفاس
برقبته ومضى ابراهيم فلما رجع القوم الى الاصنام وجدوها مكسرة والفاس معلق
برقبة الصنم الكبير فقالوا من فعل هذا بآلهتنا قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
فقال النمرود ائتوني به على اعين الناس لعلهم يشهدون فلما حضر ابراهيم قال له النمرود
أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون
فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون فقال ابراهيم اف لكم ولما تعبدون من دون
الله فكابر عند ذلك هو ووزراؤه وقالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال السدي
فلما اجمع هو ووزراؤه على حرق ابراهيم عليه الصلاة والسلام امر بجمع الاحطاب على
البغال من الجبال فلذلك قطع الله نسل البغال فلا زالوا يجمعونها الى مدة ثلاثة شهور
ثم اطلقوا فيها النار فارتفع دخانها حتى كاد ان يهلك اهل المدينة من شدة حر النار
والدخان فكان بعض الناس ينزل ويختفي في الاسربة من شدتها قال وكانت النار
في قرية يقال لها الغوطة وحر النار وصل الى دمشق الشام فتحيروا كيف يلقوا
ابراهيم فيها من حرها ولم يجسر احد ان يتقدم ليلقي ابراهيم فيها فجاء ابليس اللعين
على صورة رجل وقال لهم انا اصنع لكم منجنيقا ترموا به ابراهيم وكان ابليس قد رأى
منجنيقات جهنم المعدة للكفار في اودية النار فلما صنع ابليس المنجنيق فرح النمرود

بذلك ووضعوا ابراهيم فى تابوت ووضعوه فى المنجنيق وهموا ان يلقوه فى النار فضجت
ملائكة السموات والارض وقالوا الهنا وسيدنا عبدك ابراهيم لا يعبدك غيره فى الارض
فكيف يرمى فى النار فأوحى الله اليهم يا ملائكتى ان طلب الاعانة منكم فاعينوه
فجاء اليه ميكائيل عليه السلام وقال يا ابراهيم ان اردت ان اسق لك الامطار واطفئ
لك النار فقال ابراهيم لا حاجة لى بك ثم جاء اليه جبرائيل عليه السلام فقال يا ابراهيم
الك حاجة فقال ابراهيم عليه السلام اما اليك فلا حسبى من سؤالى علمه بحالى واذا النداء
من العلى الاعلى يا جبرائيل اضرب بجناحك النار فضربها بجناحه فانطفى لهبها وجعلها
الله عليه بردا وسلاما بدليل قوله تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم واجرى
الله بجانبه عينا من الماء البارد وبجانبها شجرة رمان واتاه جبرائيل بسرير من الجنة
وعليه فراش من السندس وتاج وحلة فلبسهما ابراهيم وجلس على السرير فى ارغد
عيش هذا ما كان من امر ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما التى فى النار واما النمرود
المبعود عن رحمة الله تعالى فانه قصد مكانا عاليا واراد النظر وما صار بابراهيم
واذا بشرارة طارت الى اثواب النمرود فاحرقتها جميعا الا بدنه فلم يحترق ليعلم ان النار
لا تضر احدا الا باذن الله تعالى كل ذلك ولم يعتبر النمرود (سؤال) لم ابتلى الله ابراهيم
عليه السلام بالنار ولم يبتل قبله احدبها *(الجواب)* ان ابراهيم عليه السلام كان
يخاف من النار فادخله الله اليها ليعلم ان النار لا تضر احدا الا باذن الله تعالى (قال
السدى) آمن فى ذلك اليوم ناس كثير لما رأوا هذه المعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم
ولما رأى النمرود ذلك قال لابراهيم اخرج من ارضنا لئلا تفسد علينا ديننا فخرج ابراهيم
وصحبته سارة وكانت ممن آمن به وصحبه ابن اخته لوط عليه السلام وتوجه ابراهيم بهما
نحو ارض حوران فأوحى الله اليه ان تزوج بسارة فتزوج بها واتجر فصار عنده مال عظيم
فاشترى هاشا واخذ زوجته سارة وتوجه بها الى مصر (قال وكانت سارة) ذات حسن
وجمال وقد واعتدال حتى لم يكن فى زمانها اجمل منها فلما دخل بها الى ارض مصر قيل له
يا ابراهيم ان بمصر ملكا جبارا يحب النساء وكان من عادته اذا سمع بامرأة جميلة يتزوج بها
قهرا وكان اسم الملك طوطيس وكانت من عادت الملوك السابقة ان يسكنوا بمدينة يقال
لها منوف وكان له حراس يقيمون على الطرقات ليأخذوا العادة من المسافرين وكان
ابراهيم قد وضع زوجته سارة فى صندوق ليخفيها عن الملك فلما سار ابراهيم بين يدى
الحراس ارادوا فتح الصندوق ليروا ما فيه ولم يقدر ابراهيم على منعهم من فتحه ففتحوه فاذا
بسارة فى الصندوق فحملوها الى الملك فقال من هذه المرأة يا ابراهيم فقال هى اختى
اعنى انها اخته فى الخالقة فقال الملك زوجنى اياها فقال انها متزوجة فاخذها الملك قهرا

(قال الراوي فرفع الله الحجاب) عن بصر ابراهيم حتى انها لم تغب عن معاينته ليطمئن قلبه اذا رجعت اليه (قال فلما دنا الملك منها) واراد ان يتناولها بيده فيبست ثم تاب فانطلقت يده ثم عاد فديده اليها ثانيا فيبست يده و رجله فتاب فانطلقت يده ورجله فعاد وقيل انه تاب فعاد وتاب سبع مرات الى ان تاب توبة صادقة كل ذلك وابراهيم ينظر وقد كشف الله الحجاب عن بصره فدعى الملك بابراهيم واحضروا كرمه واعطاه زوجته ووهبه جارية تسمى هاجر فتزوجها ابراهيم عليه السلام (قال ثم ان ابراهيم) خرج من مصر يريد الشام فاقام عند قوم بواد يقال له وادي السبع فاوسع الله عليه الرزق من المال والمواشي حتى قيل كان له اثنا عشر الف قطيع من الغنم وفي كل قطيع كلب وعليه جل من الديباج الملون وفي عنقه سلسلة من الذهب وكان ابراهيم اغنى الانبياء في المعيشة وكان لا يأكل الا مع الاضياف وكان اذا امسى المساء ولم يكن عنده ضيف مشى الميل والميلين ليجد من يأكل معه فكان كما يقال في المعنى

لا مرحبا بالليل ان لم يأتني * في طيه ضيف ملم نازل
والصبح ان وافا فلا اهلا به * ان كان عندي فيه ضيف واجل

(قيل ان ابراهيم) عليه السلام اول من اقرى الاضياف واول من شاب فلما راى الشيب في لحيته انكره وقال يارب ماهذا فاوحى الله اليه هذا الوقار فقال يارب زدني وقارا فاصبحت لحيته بيضاء وقيل لما كثرت مواشيه ضاقت عليهم الارض فاجتمع عليه اهل تلك الارض وقالوا له ياصالح وكان يسمى عندهم بالشيخ الصالح اخرج من بلادنا فانك ضيقت الارض علينا بمواشيك قال فعزم على الرحيل فلما رحل عنهم نشفت الآبار من الماء وكان فيها الماء من بركته فهلك القوم من العطش فلحقوه وسألوه الرجوع فأبى فشكوا اليه قلة الماء فأعطاهم سبع نعاج وقال اوقفوا على كل بئر نعجة يأتكم الماء فأخذوا النعاج واوقفوها على الآبار فرجع الماء ببركته مواشيه صلى الله عليه وسلم ولذلك سمي الوادي بوادي السبع (قال قتادة) لما تزوج ابراهم عليه السلام بهاجر جاءه منها اسماعيل عليه السلام صار عمره خمسة وثمانين سنة فلما كبر اسماعيل شمخت هاجر على سارة وصارت تعارضها فيما تقول فحلفت سارة يمينا مغلظا لتقطعن قطعة من لحم هاجر فلما سكن غضبها بقيت سارة متحيرة في امر اليمين فافتاها ابراهيم حين قصت عليه اليمين وقال اثقبي اذنيها ففعلت ذلك ثم ان سارة قالت لابراهيم لا اسكن انا وهاجر في مكان واحد فأوحى الله الى ابراهيم بان لا تخالف سارة وامره ان يمضي بهاجر واسماعيل الى محل الحرم وكان اسماعيل طفلا رضيعا فاركب اسماعيل وامه على بعير واخذ معه سقاية وجرابا فيه دقيق سار الى مكة فانزلهما في محل الحرم وكان موضع البيت

الشريف يومئذ ربوة حارة فصنع ابراهيم هنالك بيتا من عريش الشجر وترك عندهما السقاية والجراب المملوء دقيقا فلما اراد الانصراف عنهما قالت له هاجر الى اين تمضي قال الى نحو الشام قال وكيف تذهب وتتركنا في هذا المكان الذي لا نبات به ولا ماء ولا انيس فلا زالت تقول له مرارا وهو لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا فقال لها نعم فقالت اذن لا يضيعنا ثم انطلق ابراهيم وهو يقول ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ثم ان هاجر قامت هنالك ثلاثة ايام وفرغ ما كان معها من الماء والدقيق فعطشت هي وابنها فجعلت هاجر تصعد الى الصفا وتنظر هل ترى ماء او احدا ثم تذهب الى المروة وتنظر هل ترى ماء فسعت بين الصفا والمروة سبع مرات وهي كالولهانة وتتضرع الى الله عز وجل في طلب الماء ولاجل ذلك صار السعي واجبا بين الصفا والمروة على سائر الحجاج (واما اسماعيل) فانه كان يبكي تارة ويسكت اخرى حتى اشرف على الهلاك من قلة الماء فبينما هي كذلك اذ سمعت هاتفا يقول ارجعي قد انبع الله لك ماء فرجعت فوجدت الماء قد نبع بين اقدام اسماعيل وهو يفور ويسيح فخافت هاجر منه فقالت زم زم يا مبارك حتى امسك عن جريانه فلذلك سميت زمزم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ام اسماعيل لو انها لم تقل زم زم يا مبارك لكان زمزم عينا جارية (ويروى) ان جبرائيل عليه السلام اتى الى هاجر وهي تسعى بين الصفا والمروة فقال لها من انت قالت انا سرية ابراهيم خليل الرحمن وقد تركني ههنا (فقال جبرائيل) الى من ترككما قالت الى الله تعالى فقال لقد ترككما الى كاف وقال الله تعالى أليس الله بكاف عبده الا يعلم من خلق ثم ان جبرائيل اتى زمزم وركضها برجله ففار الماء ولذلك يقال لزمزم ركضة جبرائيل ثم ان اسماعيل وامه جعلا يشربان من ذلك الماء فكان يكفيهم غذاء وشربا بالبركة فقامت هنالك مدة (وقيل) ان جماعة من بني خزاعة من اولاد جرهم نزلوا بالقرب من مكة فرأوا طيورا قد كثرت هنالك فقالوا ان هذه الطيور لا تنزل الا على ماء فجاؤا فوجدوا الماء فقالوا لهاجر لمن هذا الماء فقالت لهم ان الله تعالى قد خصني به فقالوا لها لا ننزل عندك حتى نجعل لك نصيبا من مواشينا فقالت لهم نعم فنزلوا عندها وضربوا حولها المضارب واقاموا عندها فلما كبر اسماعيل عليه السلام وانتشا بين العرب وتعلم منهم اللغة العربية والفروسية تزوج من بناتهم ورزق الاولاد ولهذا يقال اسماعيل ابو العرب (وقيل) ان ابراهيم بعد ذلك قدم الى مكة فسأل عن بيت اسماعيل فدلوه فاتى الى باب داره وطرق الباب فخرجت اليه زوجة اسماعيل فسألها عنه فقالت له انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت نحن

فى اسوء حالى من ضيق المعيشة فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قالت له قد جاء اليك شيخ صفته كذا وكذا وذكرت له الوصية فقال لها هذا ابى وقد امرنى ان افارقك فالحقى باهلك ثم ان اسماعيل تزوج بامرأة غيرها من بنات العرب فقدم ابراهيم مرة ثانية فدق الباب فخرجت اليه زوجة اسماعيل فقال لها اين زوجك فقالت انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت بخير والحمد لله فقال وما طعامكم فقالت اللحم واللبن فقال وما شرابكم فقالت ماء زمزم فقال اللهم بارك لهم فى لحمهم ولبنهم وماءهم ثم اوصاها وقال اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له يثبت عتبة بابه *(قال السدى)* لما دعا ابراهيم بالبركة لم يكن غير اللحم واللبن والماء فلو كان غيره لدعى له بالبركة مثل الحبوب كالقمح والشعير والفول لكان كثيرا بدعوته ثم غاب ابراهيم عليه السلام مدة طويلة فاستأذن سارة فى المسير الى زيارة ولده اسماعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا يكلم هاجر ولا ينظر اليها فقال نعم ثم انه قدم الى مكة وجاء الى بيت اسماعيل فدق الباب فقالت زوجته ما تريد فقال اين اسماعيل فقالت انه خرج يتصيد فسألها عن هاجر فقالت انها قد ماتت ودفنت قريبا من الحجر *(وقيل)* لما توفت هاجر كان لها من العمر نحو ستون سنة ولاسماعيل من العمر عشرون سنة ثم ان ابراهيم جلس فى الحرم واغتسل من ماء زمزم وجعل ينتظر ابنه اسماعيل فلما جاء من الصيد وجد اباه عند بئر زمزم فاعتنقه ثم اخذ بيد ابيه واضافه فأخرج له لحما ولبنا فاكل ثم قال ابراهيم يا بنى ان الله قد امرنى بان ابنى له بيتا على هذا التل الاحمر فكن لى معينا على ذلك

(ذكر بناء البيت)

قال الثعلبى لما امر الله تعالى ابراهيم ببناء البيت ارسل اليه سحابة بيضاء على قدر البيت ونودى يا ابراهيم ابن البيت على قدر هذه السحابة وظلها *(وروى الواقدى)* ان ابراهيم لما حفر اساس البيت راى حجرا من رخام اخضر وعليه اربعة اسطر السطر الاول مكتوب لا اله الا انا رب البيت مغليها وهى قزاروم خيها وهى قفار والسطر الثانى مكتوب لا اله الا انا رب البيت مهلك الطغاة ومفقر الزناة ومخزى تارك الصلاة والسطر الثالث مكتوب انا الله لا اله الا انا رزاق من لا حيلة له حتى يعلم من له حيلة ان لا حيلة له قال واوحى الله الى ابراهيم بان يأتى بحجارة البيت من خمسة جبال جبل طور سيناء وجبل طور زيتا وجبل لبنان وجبل الجودى وجبل حراء بمكة فيكون يوم القيامة بثقل هذه الجبال فى موازين الحجاج فلما جمعت هذه الاحجار من الجبال المذكورة شرع ابراهيم فى بناء البيت فكان اسماعيل يأتيه بالحجارة ويعجن له الطين ومازالا على ذلك الى ان ارتفع البناء وهو قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل قال ان

الحجر الذي يعرف بمقام ابراهيم كان اذا بنى وقف عليه فتارة يرتفع به اذا ارتفع البناء وتارة يهبط به اذا اراد الارض قال انس بن مالك رضى الله عنه رايت اثر قدم ابراهيم في هذا الحجر وقد اثر فيه كعبه واخماس اصابع رجليه غير انه اختفى رسمه من كثرة لمس الناس له بأيديهم فمحى ذلك من كثرة الايام والليالى قال الكسائي بينما ابراهيم يبنى في البيت اذناداه جبل ابي قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فلما دنا منه انشق من الجبل قطعة وخرج منها الحجر الاسود وكان نوح عليه السلام حين خرج من السفينة بعد الطوفان اودع الحجر الاسود بهذا الجبل فأنطق الله الجبل بالوديعة فلما اتم ابراهيم بناء البيت اوحى الله اليه ان اصعد الى سطح البيت واذن في الناس بالحج قال فبلغ صوته مشارق الارض ومغاربها الان الله تعالى قال له يا ابراهيم منك النداء وعلى البلاغ وقيل ان ابراهيم طلع الى جبل عرفات ونادى بأعلى صوته يا ايها الناس ان الله تعالى قد بنى لكم بيتا فحجوا اليه فبلغ مدا صوته المشرق والمغرب فمن اجابه بالتلبية كتب له حج ومن لم يلب لم يحج فذلك قوله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا الآية *(قال الثعلبي)* ولم يزل هذا البيت على بناء ابراهيم الى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدمت قريش ما بناه ابراهيم وبنوه ثانيا وجعلوا داخله صورا اربعة من الملائكة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وجعلوا ايضا فيه صور الانبياء المرسلين فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عام الفتح طمس تلك الصور جميعها ثم بعد ذلك جدد بناءه عبد الله بن الزبير لوهن اركانه من النار التي احرقتها ثم ان الحجاج هدم ما بناه عبد الله بن الزبير وبناه على هذه الصفة التي هو عليها الان وذلك سنة اربع وسبعين من الهجرة النبوية في خلافة عبد الملك بن مروان الاموى *(ذكر قصة ذبح اسماعيل عليه السلام)* قال السدى قد اختلف جماعة من العلماء في الذبيح فمنهم من قال انه اسحاق واهل التوراة يرجحون ذلك والاشهر انه اسماعيل لقول بعض العرب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين وهما اسماعيل عليه السلام وعبد الله الذى فداه ابوه بمائة بعير (قال ابن عباس) رضى الله عنه ان ابراهيم كان قد نذر في سره ان ولد له ولد ذكر ليذبحنه قربانا الى الله تعالى فلما تمادت عليه الايام والليالى نسى ما نذره (قال السدى) ان ابراهيم رزق اسماعيل قبل اسحاق بثلاثين سنة فبينما ابراهيم نائم اذ راى في منامه قائلا يقول له يا ابراهيم ان الله يأمرك ان تفى بنذرك وهو ذبح ولدك بيدك فانتبه ابراهيم وهو مذعور فكان يرى تلك الرؤيه في سبع ليال متوالية فعزم على ذبح ولده *(قال السدى)* لما قوى عزم ابراهيم على ذبح ولده ناداه يا اسماعيل خذ معك حبلا ومدية قال وما تصنع بها يا ابتى قال اذبح كبشا قربانا الى الله تعالى فانطلق هو وابنه

اسماعيل وسار به الى شعب جبل عند وادي منى فبينما هما يمشيان اذ تعرض ابليس اللعين لاسماعيل بصورة شيخ فقال الى اين تمضي يا اسماعيل قال ليقرب ابي قربانا الى الله تعالى فقال ابليس اتدري ما القربان الذي يقربه ابوك قال لا قال انه يريد ان يذبحك وقد جئتك ناصحا فقال يا ابليس ايفعل هذا ابي من قبل نفسه ام بأمر ربه فقال ابليس بل بأمر ربه فقال اسماعيل اذا كان الذبح بأمر ربي فكيف اعصي ذلك فرجع ابليس خائبا فكان كلما يتبع اسماعيل يرميه بالحصى ففعل ذلك به سبع مرات فصار من يومئذ رمي الجمار سنة فلما وصل ابراهيم الى شعب الجبل جلس وقال لاسماعيل ان الله تعالى اوحى الي بذبحك وقد رايت ذلك في المنام سبع مرات في سبع ليال متوالية فقال اسماعيل يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما راى ابليس ذلك جلس على الجبل ليرى ما يكون من امرهما ثم ان ابراهيم اضجع ابنه على جنبه الايمن وشد يديه ورجليه بحبل فقال اسماعيل يا ابت لا تشد رجلي ويدي بالحبل لئلا تقول الملائكة قد جزع من امر ربه فحله واستمر اسماعيل مضطجعا على جنبه الايمن من غير وثاق ثم ان ابراهيم عليه السلام وضع المدية على نحر اسماعيل وصار يحزبها امرارا فلم تؤثر في نحره ولم تخدش شيئا فعند ذلك ضجت من هذه الواقعة ملائكة السماء والارض والطير والوحش والحيتان في البحر وانطلق الكل بالابتهال الى الله تعالى وصاروا يقولون الهنا وسيدنا ومولانا ارحم هذا الشيخ الكبير وافده هذا الطفل الصغير ثم قال اسماعيل لابيه يا ابتي كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي ترحمني فكبه على وجهه ووضع السكين وحزبها فلم تؤثر فرمى ابراهيم السكين من يده فأنطق الله تعالى السكين وقالت يا ابراهيم ابا بين امرين فالخليل يقول اقطعي والجليل يقول لا تقطعي واني من قبل الجليل لا من قبل الخليل وكيف اقطع في نحر اسماعيل ونور محمد صلى الله عليه وسلم في جبهته يلمع ثم ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين وفديناه بذبح عظيم قال فبينما هو كذلك واذا بجبرائيل اتاه ومعه كبش املح وقال هذا فداء ولدك فخذه واذبحه فداء لاسماعيل وأدركه بالفرج الجزيل وانشد في المعنى

اناسمعنا مقالا قاله فطن * في أضيق الوقت يأتي الله بالفرج

(قال الثعلبي) ان الاضحية صارت من وقتها سنة ابراهيم عليه السلام *(سؤال)* لما افدى الله تعالى اسماعيل بكبش ولم يجعل فداءه جملا او بقرة أو غير ذلك فالجواب ان ابراهيم لما اخذ الحبل والمدية فقال اسماعيل وما تصنع بهما قال اذبح كبشا فصدق الله تعالى قول خليله جواب آخر ان الله تعالى اذخر الكبش الذي كان قربه هابيل بن آدم فأخره الله ليعلم عباده ان الخير من الاجداد ينفع الاولاد قال السدي

كان هذا الكبش قدر الفيل العظيم وليس به عظم بل كله لحم وشحم ولم يكن على بدنه صوف وكان يرتع فى رياض الجنة فصار عظيم الخلقة فذبحه ابراهيم وفرق لحمه على الفقراء والمساكين وكان ذبحه بمنى فصار قدوة للحجاج هنالك كل سنة * (قال السدى) وكان اسماعيل حين الذبح له من العمر عشرين سنة * (قال الكسائى) وعاش اسماعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ويروى انه لما مات دفن تحت الميزان انتهى ملخصا

(ذكر قصة هلاك النمرود بن كنعان) (قال الثعلبى)* ان النمرود هو اول من تجبر فى الارض وادعى الربوبية من دون الله تعالى قال السدى ان الغلاء وقع فى زمن النمرود واجدبت الارض فكان النمرود يخزن عنده جميع الغلال فيقصده الناس من سائر الاقطار وكان لا يبيع احدا شيئا حتى يسجد له ويقول أنت ربى ووقع القحط فى الارض التى بها ابراهيم فسار ابراهيم الى النمرود ليشترى منه غلالا فلما وصل الى النمرود ووقف بين يديه عرفه النمرود فقال يا ابراهيم من انا فقال ابراهيم انت عبد من عبيد الله تعالى فقال النمرود اسجد لى فقال ابراهيم لا ينبغى السجود الا للرب المعبود فقال النمرود ومن الرب المعبود قال ابراهيم الرب المعبود هو الذى يحيى ويميت فقال له النمرود انا احيى واميت فاستدعى برجلين وجب عليهما القتل فقتل واحدا واطلق الآخر فقال ها انا امت وأحييت فقال ابراهيم ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين فعند ذلك قال النمرود لا بد ان أقاتل اله ابراهيم فامر ببناء الصرح قال كعب الاحبار كان طول ذلك الصرح فرسخين فى عرض فرسخ وقال الآمدى كان بناؤه فى ارض بابل ثم عمد النمرود الى اربع نسور ورباهم على اللحم والخمر حتى استكملت قوتهما ثم صنع تابوتا من الخشب وجعل لذلك التابوت بابا من اعلاه وبابا من أسفله وربطه بأرجل النسور بعدان جوعهم وعلق لحما على عصى فوق التابوت ثم دخل النمرود فى التابوت وأخذ معه قوسا وثلاثة أسهم وأخذ معه احد وزرائه ممن كان يثق بعقله ثم كشف اللحم للنسور فأقلعوا طمعا فى اللحم فبعد ساعة قال لوزيره اكشف الباب الاعلى فنظر الى السماء فوجدها على هيئتها ثم كشف عن الباب الاسفل فنظر الى الارض فوجدها كاللجة ووجد الجبال كالدخان ثم طبق البابين ثم بعد زمان وكادت النسور ان تهلك من التعب فتح البابين فنظر الى السماء فوجد ظلمة ونظر الى الارض فراى ظلمة فبينما هو صاعد اذ ناداه ملك الى اين يا عدو الله فظن النمرود ان الذى ناداه اله السماء فأخذ القوس ووضع السهم وصوبه نحو السماء ورمى به فى الهواء فغاب السهم عنه ساعة ثم عاد اليه وهو ملطخ بالدم ففرح النمرود بذلك وقال قتلت اله السماء قال عكرمة ان السهم اخذته سمكة وقربت نفسها الى الله تعالى فأصابها فذلك الدم منها

وهى فى بحر بين السماء والارض قال العزيزى ان النمرود لم يزل يصعد فى الجو الى ان ناداه ملك الى اين يا عدو الله ان بينك وبين السماء خمسمائة عام ثم صعق الملك صعقة مات منها الوزير ثم ان جبرائيل عليه السلام ضرب التابوت بجناحه فسقط فى البحر فقذفته الامواج الى البر فخرج النمرود من التابوت وقد ابيضت لحيته من الخوف مما راى من الاهوال فلما راه قومه انكروه ولم يصدقوا انه النمرود وقال الثعلبى ان الله سلط على ذلك الصرح ريحا عاصفا فالقته على من كان من ارباب دولته وذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ثم ان النمرود احضر ابراهيم وقال له قل لربك بأن ينزل من السماء الى الارض حتى أتقاتل معه فان ذلك من عادة الملوك تقابل وتقاتل فأوحى الله الى ابراهيم ان قل للنمرود ينظر الى سائر المخلوقات ويختار اى جنس نرسله عليه فاختار البعوض لانه لا يأكل الا اكلة واحدة ويموت فقال ابراهيم اجمع عساكرك من جميع الجهات والبسهم الدروع والجواشن وتهيأ لهذا الجند الذى هو اضعف جنود الله القوى فجمعهم النمرود فكان مقدارهم مسيرة اربعة فراسخ *(قال العزيزى)* ان هذا الجمع كان بأرض الكوفة فلما كان الميعاد ظهر عسكر البعوض من البحر حتى سد ما بين الخافقين حتى حجب الشمس عن الابصار فأمرهم الله ان ينتشروا على عساكر النمرود ويأكلوهم فصارت تأكل الدروع والجواشن والسلاح حتى وصل الى لحومهم فأكلها ولم يبق منهم غير العظام فهلكوا جميعا ثم ارسل الله تعالى الى النمرود بعوضة ضعيفة بجناح واحد وهى أصغر البعوض كله فدخلت فى انفه وصعدت الى راسه فانهزم واخره الله تعالى ليعتبر قيل انها مكثت فى راسه اربعين سنة فكان يأمر غلمانه ان يضربوه بالنعال على راسه فيجد بذلك راحة فلما طال عليه الامر ضربه احد خدامه بطبر على راسه فانفلق فخرجت تلك البعوضة وهى مثل العصفور هى تقول هذا جزاء عدو الله وذهبت واهلك الله تعالى النمرود وجنوده بأضعف جنوده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار *(قال تعالى)* وما يعلم جنود ربك الا هو وقد قيل فى المعنى

فلسان الكون عنه ناطق * ان هذا الملك لله الصمد * جل خلقا عن مثال سابق
وتعالى عن نظير وانفرد * فاذا عاينته وآياته * نزهوه عن شريك وولد

(ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام) قال كعب الاحبار خرج ابراهيم عليه السلام فى طلب الاضياف فرده ملك الموت فى صورة شيخ كبير فسلم على ابراهيم فرد عليه السلام وقال له من أنت قال انا عابر سبيل فأخذ بيده واتى به الى منزله فلما راته زوجته عرفت انه ملك الموت فبكت فلما دخل اسحاق وجد امه تبكى فبكى الآخر فلما وجدهما ملك الموت يبكيان خرج من المنزل ومضى فلما جاء ابراهيم ووجد الضيف قد مضى غضب على سارة واسحاق وقال بكيتما فى وجه ضيفى حتى مضى وكان لابراهيم بيت يتعبد فيه

فدخله ابراهيم فوجد الضيف فيه فقال له ابراهيم من ادخلك بيتي من غير اذني فقال له الضيف لا تصدعني يا ابراهيم انا ملك الموت فقال له ان كنت صادقا فأرني آية تدل على انك ملك الموت فقال له حول وجهك عني فحول ثم التفت ابراهيم اليه فرآه على الصورة التي يقبض بها ارواح الانبياء والمؤمنين وهي صورة حسنة منورة ثم قال لابراهيم حول وجهك عني فحول ثم عاد فنظره على الصورة التي يقبض بها ارواح المنافقين والكفار فعند ذلك غشي على ابراهيم فتركه ملك الموت وانصرف عنه مدة ثم ان ابراهيم خرج يوما لينظر ضيفا فرأى شيخا كبيرا فأخذه بيده وادخله الى بيته واحضر له شيئا من العنب فجعل الشيخ يأخذ من العنب ويمج ويرمي بجلد العنب وماؤه يسيل على لحيته فتعجب منه ابراهيم وقال ايها الشيخ كم لك من العمر قال كذا وكذا سنة فاذا هو قدر عمر ابراهيم فعند ذلك قال ابراهيم اللهم اقبضني اليك حتى لا اصير الى الهرم فكان ابراهيم اول من طلب الموت فلما دنا منه ملك الموت قال له يا نبي الله على أي حالة تحب أن اقبض روحك فقال ابراهيم وانا ساجد لله تعالى فقبض روحه وهو ساجد وقد اختلف جماعة من العلماء في مدة حياة ابراهيم فمنهم من قال عاش مائة وخمسة وسبعين سنة ومنهم من قال عاش مائتي سنة والله اعلم قال السدي ان سارة توفت قبل ابراهيم بمدة طويلة وجاوزت من العمر مائة وسبعة وعشرين سنة فلما ماتت اشترى لها مغارة ودفنها فيها وهي في قرية حبرون من أرض كنعان ولما مات ابراهيم دفن في تلك المغارة *(ذكر قصة اسحاق عليه السلام)* قال وهب بن منبه لما رزق ابراهيم ابنه اسماعيل من هاجر انكسر قلب سارة لانها لم ترزق ولدا وكان لها من العمر خمسة وثمانون سنة فبشرها الله باسحاق بعد هذه المدة كما جاء في القرآن وان يكون من نسله الف نبي فعند ذلك طاب قلب سارة بهذه البشارة قال السدي كان بين اسماعيل واسحاق نحو ثلاثين سنة وكان اسحاق شديد الغيرة وكان نبيا مرسلا وقد بعثه الله الى قوم بالشام فلما كبر اسحاق تزوج بامرأة من ارض حوران وهي رتقاء بنت توبيل فلما دخل بها حملت منه بغلامين في بطن واحد وهما العيص ويعقوب قال السدي ان العيص تكلم في بطن امه فسمعته فاخبرت اباه بذلك فقال لها ان سمعت فاعلميني فلما سمعت اعلمته فجعل اسحاق اذنه عند سرة زوجته فسمع العيص يقول ليعقوب والله لئن خرجت قبلي لاخرقن بطن امي واقتلك فقال له اسحاق يا مبارك ارحم امك ولا تخرق بطنها ولا تقتل أخاك فلما كان الوضع كان العيص يسابق يعقوب فخرج العيص اولا وتأخر يعقوب بعده فلذلك سمي العيص عيصا لانه عصى اخاه عند الخروج لان يعقوب كان أكبر منه واسبق في الحمل وسمي يعقوب يعقوب لانه تعقب في خروجه من بطن امه فلما كبر كان العيص احب الى

ابيه وكان يعقوب احب الى امه فلما كبر اسحاق في العمر كف بصره فقال لولده العيص
يا عيص ائتني بكبش حتى أذبحه واجعله قربانا الى الله تعالى وأدعو لك دعوة فعسى
ان تنفعك دعوتي ان شاء الله تعالى واجعل يدك عند يدي وقت الدعاء فسمعت
زوجته ما قاله لابنها العيص فأخبرت ابنها يعقوب بذلك وقالت له اسبق أنت الى كبش
وائت به الى أبيك والبس فروة مقلوبة لان العيص كان على بدنه شعر مثل شعر المعز فاذا
لمسك ابوك يعلم انك العيص ابنه فيدعو لك وتفوز بدعوته فعند ذلك أسرع بكبش
والبس فروة مقلوبة وجاء الى ابيه وقدم له القربان مشويا فأكل منه اسحاق وقال قدم
يا بني وهو يظن انه العيص فتقدم يعقوب ولمسه ابوه فوجد الشعر فقال اسحاق ان
المس مس العيص والريح ريح يعقوب فقالت زوجته هو ابنك العيص فادع له فوضع
كفه على كف يعقوب وقال اللهم اجعل من ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من
عند ابيه فجاء في اثره العيص ومعه كبش مشوي فوضعه بين يدي ابيه فقال له من أنت
قال انا ابنك العيص فقال يا بني قد سبقك بالدعوة اخوك يعقوب وفاز بها فعند ذلك
غضب العيص وقال لاقتلن يعقوب فقال اسحاق يا بني لا تغضب قد بقي لك عندي
دعوة فرفع يده وقال اللهم اجعل ذريته عدد الرمل والحصى ولم يملكهم احد غيرهم فكان
من نسله بنو الاصفر وهم ملوك الفرنج وكان العيص به صفرة زائدة فكان يسمى الاصفر
فكان في قلب العيص من اخيه يعقوب شيء فقالت امه ليعقوب اذهب الى عند خالتك
بأرض حران واترك لاخيك ارض كنعان فاني اخشى عليك منه فسري يعقوب هو وهم
له تحت الليل فكان يسري بالليل ويكمن بالنهار حتى وصل الى عند خالته وكان اسمها
ليان وكان لها بنتان فتزوج بواحدة منهما ثم تزوج بالاخرى وهي الصغيرة فرزق منها
بيوسف وبنيامين وكان ذلك جائزا في شريعته ولم يزل ذلك جائزا الى ان بعث موسى
ابن عمران عليه السلام فأنزل الله عليه تحريم ذلك فرزق الله يعقوب من زوجتيه اثني
عشر ولدا فلما كبر أولاده قصد الرجوع الى ارض كنعان فأمر اولاده ان يسبقوه واذا
وصلوا يدخلون ويسلمون على عمهم العيص ويقولون له نحن اولاد اخيك يعقوب وقصده
منك الترفق والتودد لما جرى بينكما من الدعوة كما سبق فلما وصلوا ودخلوا وسلموا عليه
وقالوا له ذلك فعند ذلك طاب قلبه على اخيه وزال ما عنده وترحب بهم واحبهم حبا
شديدا ولما قدم يعقوب بعد ذلك تلاطف بأخيه العيص واقام عنده مدة ثم ان العيص
ترك أرض كنعان لاخيه يعقوب واولاده ورحل الى بعض بلاد الشام فتزوج هناك بابنة
عمه اسماعيل وكان اسمها نسمة فجاءه منها عدة اولاد ذكور واناث فجاء من نسله الروم ولم
يجيء من نسله نبي سوى ايوب عليه السلام وقيل ان القياصرة ملوك الروم من اولاد العيص

وكذلك ملوك بني الاصفر قال السدي ان اسحاق عاش من العمر مائة وستين سنة ولما مات دفن بأرض فلسطين ثم نقل بعد ذلك الى عند ابيه ابراهيم ولما مات العيص كان عمره مائة وعشرين سنة والله أعلم انتهى ما اوردناه على سبيل الاختصار *(ذكر قصة لوط عليه السلام)* (قال) وهب بن منبه هو لوط بن هارون بن تارخ بن اخي ابراهيم قال السدي ان لوطا بعث في زمن ابراهيم الى قوم سدوم بأرض غرورة رغر وكانوا اهل كفر يرتكبون الفاحشة فوقع بأرضهم الغلاء فكانوا يدخرون الغلال ويطلبون بذلك الغلاء وكان الناس يقصدونهم من سائر الاقطار فجاءاليهم ابليس اللعين في صفة شيخ كبير فقال لهم اني خبير بأحوال الزمان فان كان عندكم شيء من الغلال فامسكوا أيديكم في بيعها فسوف يأتي على الناس مدة لاينبت فيها حبة ولايمطر من السماء قطرة واذا جاءكم الناس ليشتروا فلاتبيعوا لهم حتى تلوطوا بهم وان كانوا شيوخا وصبيانا فكانوا يجلسون على الطريق ينتظرون من يمر بهم من المسافرين فيصدونهم ويلوطون بهم (قال) الثعلبي ان اهل تلك القرية كان يسكن بعضهم بالجبال وبعضهم بالسهل وكانت الفرقة التي تسكن بالجبال وحشيين لم يجتمعوا بالفرقة التي تسكن السهل فاحتال عليهم ابليس ليجمع بينهما فاتخذ المزمار وزمر فلما سمع الجبليون صوت المزمار نزلوا من الجبل النساء والرجال فلما اجتمعوا باهل السهل ورأى بعضهم بعضا افتتن الرجال بالرجال والنساء بالنساء فظهر من يومئذ اللواط والسحق فكان كما يقال في المعنى

شغل المرد بالبدال واضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد اكتفى * فرارا من معشر الفساق

(فلما) تزايد بهم هذا الامر بعث الله لهم لوطا عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله تعالى فلم يزدادوا الا عتوا وقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فعند ذلك قال رب انصرني على القوم الظالمين فاستجاب الله دعاءه وبعث الله اليهم اربعة من الملائكة على صورة مرد حسان *(قال)* قتادة ان الله تعالى قال للملائكة لاتهلكوا قوم لوط حتى تشهدوا عليهم اربع شهادات فلما دخلوا على لوط قالوا نحن ضيوفك في هذه الليلة فانطلق بهم الى منزله وقال لهم أما علمتم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال انها اشر قرية على وجه الارض واخبرهم بأمر قومه وما هم عليه من الفاحشة *(قال)* وكانت امرأة لوط اذا دخل الى منزلها ضيوف ترسل تعلم القوم بهم ولها امارة وهي اذا جاء ترسل رسولها وتطلب من جيرانها ملحا فيعلمون ان في منزل لوط اضيافا فيأتون اليهم فلما اخبرت امرأة لوط بالاضياف جاؤا اليهم فغلق لوط الباب في وجوههم وقال لهم اتقوا الله ولاتخزون في ضيفي وخذوا واحدة من بناتي عوضا عن الاضياف

فقالوا

فقالوا له لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلم يزل لوط يناشدهم من خلف
الباب حتى تسوروا عليه من الحائط وهجموا عليه وخاف على اضيافه فقالت الملائكة
انا رسل ربك لن يصلوا اليك الآية ثم ان الله تعالى اذن لجبرائيل عليه السلام فضرب
بجناحه على وجوه القوم فطمس الله اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى
بيوتهم قائلين ان لوطا اسحر من على وجه الارض فلما علم لوط ان الاضياف رسل ربه قال
لهم اريد ان تهلكوهم في هذه الساعة فقالوا ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (قال)
ابن عباس رضي الله عنهما ان الله مسخ امرأة لوط فصارت ملحا لما كانت تدل على
الاضياف بطلب الملح ثم امر الله تعالى لوطا ان يسري بعياله تحت الليل فلما خرج لوط
من القوم ادخل جبرائيل جناحه تحت القرى واقتلعها من اصولها وكانت سبع مدن في
كل مدينة ماشاء الله من انسان ورجال ونساء وصبيان فرفعها بين السماء والارض حتى
سمعت اهل السماء صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم قلبها وجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعهم
بحجارة من سجيل فهلكوا اجمعين (وسئل) مجاهد هل بقي من قوم لوط احد فقال
نعم خرج منهم واحد الى مكة فبقي حجره معلقا بين السماء والارض اربعين يوما حتى خرج
من مكة وصار في اثناء الطريق فسقط عليه حجره فهلك في الحال وقد عذب الله قوم لوط
بعذاب لم يعذب به احدا من الامم لاجل ارتكابهم الفاحشة العظيمة (قال) السدي
توفي لوط في زمن ابراهيم عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار (ذكر قصة يعقوب
وما وقع له مع اولاده من جهة يوسف) قال الله تعالى نحن نقص عليك الآية قال وهب
ابن منبه لما خرج يعقوب من ارض كنعان هاربا من اخيه العيص اتى عند خالته وتزوج
بابنتها فجاءت من راحيل وهي الصغيرة بولدان يوسف وبنيامين ولما وضعت راحيل
يوسف كان يعقوب غائبا نحو الشام فنزل عليه جبرائيل وقال يا يعقوب ان الله
تعالى وهبك ولدا لم يرزق مثله لاحد من الناس وقد اعطاه الله شطرا من الحسن
ففرح بذلك ولما وصل من السفر ونظر الى يوسف فكان لا يمل من النظر اليه فذبح
الف راس من الغنم قربانا لاجل يوسف شكرا لله تعالى وفرقها على الفقراء والمساكين
لما كبر يوسف وصار له من العمر ست سنين ماتت امه راحيل (قال) السدي
ان الله تعالى قسم الحسن عشرة اجزاء فأعطى الناس جزءا واحدا وخص يوسف بتسعة
الاجزاء الباقية وقيل ان يوسف نظر الى وجهه يوما في المرآة فأعجبه حسنه فقال في سره
لو كنت مملوكا ماقدر احد على ثمني فسلط الله عليه اخوته فباعوه بأبخس ثمن قيل
البخس الذي كان في حق يوسف كان سبعة عشر درهما دراهم معدودة وهذا من
انواع العجب (قال) السدي لما كبر يوسف وصار له من العمر اثنا عشرة سنة رأى

فى منامه احد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين فقص رؤياه على ابيه وقال كما قال الله خبرا عنه يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا الآية (قال) فلما بلغ اخوة يوسف ذلك حسدوه على هذه الرؤيا وقالوا لا شك ان يوسف يصير مولانا فان الشمس ابونا والقمر امنا والكواكب نحن (قال) السدى لما سمع اخوة يوسف هذه الرؤيا شابت لما رؤسهم مما حصل عندهم وكان يعقوب يميل الى يوسف من دون اخوته قال فأخذوا فى تدبير الحيلة فى هلاك يوسف فاجتمع رأيهم ان يدخلوا على ابيهم ويستأذنوه فى اخذ يوسف معهم الى الصيد وقالوا ان هو ابا عن ارساله معنا نقتله بين يديه ولا نوقره (قال) قد دخلوا على ابيهم فى غير الوقت المعهود لزيارته وجلسوا بجانبه من غير اكرام له فقال لهم مالى اراكم مذعورين فقالوا له ان قلوبنا مشغولة لان ذئبا عظيما هجم البارحة على اغنامنا وقتل منها مقتلة عظيمة ونحن الآن نريد ان نخرج اليه عصبة فارسل اخانا يوسف معنا نرتع ونلعب وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون وقالوا كيف يأكله الذئب وفينا اخوه شمعون الذى اذا صاح صيحة تضع لها الحوامل وفينا اخوه يهوذا الذى اذا غضب فغضبه يشق الاسد نصفين فلما سمع يعقوب كلامهم قال لابنه يوسف اذا كان غد امض مع اخوتك الى الصيد فقد اذنت لك بذلك (قال) ابن عباس رضى الله عنه انما قال يعقوب لاولاده واخاف ان يأكله الذئب لانه رأى فى منامه كان يوسف على رأس جبل وحوله ذئاب قد احدقوا به ليقتلوه واذا بذئب منهم قد جاء وخلصه منهم وكان الارض قد انشقت ودخل فيها يوسف ولم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام اه مارأى يعقوب فى المنام قال فلما دخل ميعاد يوسف الى الخروج للصيد لبس يوسف ثياب السفر وشد فى وسطه منطقة من الذهب وخرج مع اخوته واخذوا معهم كثيرا من الماء والزاد وركبوا خيولهم ويوسف صحبتهم ثم ان يعقوب خرج معهم الى الصحراء ومشى اربعين خطوة وودعهم وقبل يوسف بين عينيه وضمه الى صدره ثم رجع يعقوب الى منزله وندم على ارساله يوسف مع اخوته فلما ابعدوا عن ارض كنعان وثبوا اخوة يوسف على يوسف فسكوه من اطواقه ولطموه على وجهه وعروه من ثيابه فصار عريانا فقال دعوا القميص على ليكون لى كفنا وهموا بقتله فترامى يوسف على اخيه يهوذا وكان اكبر اخوته فقال لهم يهوذا لا تقتلوا يوسف وارعوا حق ابيكم فلم يلتفتوا الى كلامه وقالوا لا بد من قتله فقال يوسف اسقونى شربة من الماء قبل ان تقتلونى فامتنعوا من سقايته فتلاطف يهوذا ابيهم واشار عليهم بأن يرموه فى الجب فأجمعوا على ان يجعلوه

فى الجب فكتفوا يديه ورجليه ودلوه فى الجب فلما انزلوه الى الجب بكت ملائكة السماء رحمة ليوسف ثم عمد احد اخوته الى الحبل فقطعه بسكين قبل ان يصل يوسف الى قعر الجب فأدركه جبرائيل فتلقاه ووضعه على صخرة قد رفعها الله له من الجب قال وهب ابن منبه ان هذا الجب كان بأرض الاردن وقيل كان بين مداين مصر ومداين ارض كنعان وهو على قارعة الطريق قال السدى ان الذى حفر هذا الجب هو سام بن نوح وكان ماؤه مالحا فلما نزل يوسف عذب ماؤه وقصدته بعض الافاعى فصاح بها جبرائيل فرجعت وطرشت وكل حية طرشى فهى من نسل تلك الحية قال قتادة وجاء جبرائيل بقميص من الجنة فألبسه و بطعام وشراب فأطعمه وصار الجب روضة مغدقة واتسع حتى صار مد البصر وقال جبريل لا تخف قد أتاك الفرج ثم بعد ليلة جاء اليه اخوه يهوذا ونادى يا يوسف هل انت من جملة الاحياء ام من جملة الاموات فاجابه يوسف انا من جملة الاحياء من فضل ربى فلما علم اخوته انه حى عمدوا الى صخرة عظيمة وارادوا ان يلقوها عليه فقال لهم يهوذا ان انتم فعلتم ذلك اخبرت ابيكم بفعلكم فتركوه وانصرفوا (قال) السدى كان عمر يوسف لما القى فى الجب اربعة عشر سنة ولما رجعوا الى ابيهم عمدوا الى شاة وذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وذلك قوله عز وجل وجاؤا على قميصه بدم كذب ثم انهم اصطادوا ذئبا ولطخوا فمه بالدم واوثقوه بحبل واتوا به الى ابيهم فوجدوه جالسا على قارعة الطريق فى انتظارهم لاجل يوسف فلما وصلوا اليه صرخوا وبكوا وقالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فلما سمع يعقوب ذلك غشى عليه فلما افاق قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم احضر بين يديه ذلك الذئب الموثوق والقميص فقال تالله ما اشفق هذا الذئب الذى اكل ولدى ولم يمزق قميصه فامر باطلاق الذئب فاطلقوه فقال له ادن منى فدنا منه فقال ايها الذئب لم فجعتنى بابنى واورثتنى حزنا طويلا قال يعقوب الهى انطق لى هذا الذئب فانطقه الله فقال يا نبى الله والذى اصطفاك نبيا ما اكلت له لحما ولا مزقت له جلدا ومالى به علم وانما انا ذئب غريب اتيت من ارض مصر فى طلب اخ لى فقدته منذ ايام فلما رآونى اولادك اصطادونى ولطخوا فمى بالدم واوثقونى وجاؤا بى اليك وقد حرم الله علينا لحوم الانبياء فقال له يعقوب وهل يوسف فى قيد الحياة فقال له ما انا بنمام ولا على الغيب بمطلع فعند ذلك اطلقه ودخل يعقوب الى خلوته وجعل يبكى وينتحب حتى ابيضت عيناه من كثرة البكاء فصار مثلا كما قيل

احزانى قلبى وبكائى حكيا * احزان يعقوب على يوسف

(قال) وكان يعقوب يجلس على قارعة الطريق ويبكي ويشكو الى من يمر به من المسافرين فاوحى الله اليه لئن عدت تشكو الى احد من المخلوقين لامحونك من ديوان الانبياء فعند ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ودخل الى بيت الاحزان ولزم الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه كان سبب بلاء يعقوب بهذه الفرقة من ولده انه ذبح يوما شاة وشوى من لحمها ففاحت منها رائحة بفناء اليوم سائل وكان جائعا فطلب منهم شيئا من ذلك اللحم الذي شروه فلم يطعموه منه شيئا وتغافلوا عنه فرجع من عندهم مكسور الخاطر فلم تمض الاسبعة ايام حتى ابتلاه الله بفرقة ولده يوسف الذي كان اعز اولاده كما قيل في المعنى

احرص على كسر القلوب فانها * مثل الزجاجة كسرها لا ينجبر

(قال) السدى لما اقام يوسف في الجب ثلاثة ايام ففي اليوم الرابع جاءت من ارض مدين سيارة تريدون مصر حادوا عن الطريق ونزلوا بالقرب من الجب الذي فيه يوسف فذهب بعض السيارة ليملا من ذلك الجب فلما ادلى دلوه تعلق يوسف بالحبل فنظر بالجب صاحب الحبل فرأى يوسف فقال يا بشرى هذا غلام وفرح به واسره ليبيعه (فذلك) قوله تعالى واسروه بضاعة (ثم ان) يهوذا اخو يوسف جاء الى الجب ومعه طعام الى يوسف فنادى من اعلى الجب يا يوسف فلم يجده فعلم ان السيارة اخذته فتبعهم فوجدهم في اثناء الطريق ومعهم يوسف (قال) وكان مالك بن دعر قد ارسل جماعة ليأتوه بالماء فالتقطوه من الجب فوصل معهم يهوذا واخوته الى عند مالك وقال له هذا عبد لنا ابق منا فلما سمع ذلك يوسف سكت خوفا فقال مالك انا اشتريه منكم فاشتراه منهم بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين (قيل) ان الدراهم كانت سبعة عشر درهما وقيل كانت اثنين وعشرين درهما ثم ان يهوذا اشترط على الذي اشتراه انه لا يبيت به في تلك الارض وقال له استوثق منه فانه هارب سارق ثم سارت القافلة نحو مصر فاركب يوسف على ناقة فلما مر يوسف بقبر امه راحيل نزل من اعلى الناقة ومضى ليزور قبر امه فزاره قال فاستفقدوا يوسف فلم يجدوه على ظهر الناقة فصاح في القافلة يا يوسف فلم يجده فذهب في طلبه فوجده عند قبر امه فلطمه مالك لطمة اشد لطمة وقال لقد حذرنا منك مولاك الذي باعك فلم نصدق ولكن ان عدت فعلت مثل ذلك تكون هالكا (قال) فلما دخل مالك بن دعر الى مصر البس يوسف اثوابا فاخرة فاجتمعت الناس وازدحموا عليه لما رأوا من حسنه وجماله فعرضه للبيع فاشتراه قطفير عزيز مصر يعني مدبر ملك مصر وكان الملك يومئذ بمصر الريان بن الوليد (قيل) لما اشتهر يوسف للبيع تزايد الناس في ثمنه فدفعوا له اولا زنته فضة وزنته حريرا (قال) قتادة وكان وزن يوسف ذلك الوقت اربعمائة رطل فلما اشتراه قطفير اخذه ومضى به الى منزله فقال كما

اخبر الله عز وجل (قال) لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكساه عشرين حلة من الملون والبسه تاجا مرصعا بأنواع الجواهر وكان قطفير لا يصبر عن رؤيته ساعة واحدة (قال) وهب بن منبه لقام يوسف في دار قطفير عزيز مصر سبع سنين حتى بلغ مبلغ الرجال فشغفت به زليخا امرأة العزيز قطفير وراودته عن نفسه قال السدي ان قطفير كان عنينا لا يأتي النساء وكانت زليخا ذات حسن وجمال فلما تزايد بها الشغف بيوسف صبرت حتى ان يوسف دخل عليها وهي في قصرها فقامت واغلقت ابواب القصر وقالت هيت لك اي هلم لما ادعوك اليه فقال يوسف معاذ الله اي اعوذ مما تدعينني اليه ان زوجك سيدي وقد احسن مثواي فلا اخونه في اهله قال الله عز وجل ولقد همت به اي هم فعل وهم بها اي هم ترك لولا ان رأى برهان ربه (قال) بعض المفسرين ان يوسف لما هم بزليخا تمثل له ابوه يعقوب وهو عاض على اصبعه وفي رواية انه رأى جبرائيل فنهاه عن ذلك وقال له ان فعلت ذلك محيت من ديوان الانبياء فعند ذلك خرج هاربا فوجد الابواب مغلقة فلما رجع همت به زليخا ثانيا وهم بها فأوحى الله الى جبرائيل ان ادرك عبدي يوسف قبل ان يقع في المعصية فهبط اليه جبرائيل وقال يا يوسف تعمل بعمل الخائنين وانت مكتوب في ديوان المتقين فقام وبادر الى الباب هاربا ووقع له مثل ذلك ثالثا فولى هاربا ونجاه الله كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فلما ولى هاربا في ثالث مرة ادركته زليخا عند الباب وتعلقت بقميصه فقدته من دبر ومنعته من الخروج فبينما هما كذلك واذا بقطفير قد دخل عليهما فرآهما واقفة ويوسف بجانبها فبادرت هي بالكلام فقالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءا يعني زنا ثم انها خافت على يوسف من قطفير ان يقتله فقالت الا ان يسجن او عذاب اليم اي يضرب بالسياط فلما سمع يوسف كلامها (قال) هي راودتني عن نفسي ففررت منها فادركتني فقدت قميصي فلما رأى قطفير هذه الواقعة تفكر فيما ذا يصنع وصار ينظر الى زليخا مرة والى يوسف مرة وكان في القصر طفل صغير في المهد وعمره سبعة ايام وهو ابن داية زليخا فنادى بأعلى صوته ايها العزيز ان لك عندي فرجا فانظر ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف ان هذا من خيانة زوجته (قال) انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم التفت الى يوسف وقال له يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين (قال) الزمخشري كان قطفير رجلا حليما وكان قليل الغيرة على عياله وكان عنينا لا يقرب النساء فلاجل ذلك لم يشدد عليها في هذه الواقعة وايضا كان شيخا شنيع المنظر

وعمره نحو من مائة سنة فرأى زليخا معذورة بجمال يوسف وحسنه فكان لها عذر عنده
وقد قيل في المعنى

تقول لي وهي غضبي من تدللها * وقد دعتني الى شئ فما كانا
كأن ايرك من شمع رخاوته * فكلما حركته نحوها لانا

(قال) بعض الحكماء من أقام بأرض بغداد سنة كاملة وجد زيادة في علمه ومن اقام بأرض الموصل سنة كاملة وجد زيادة في عقله ومن اقام بأرض حلب سنة كاملة وجد شحا في نفسه ومن اقام بأرض دمشق سنة كاملة وجد من نفسه فظاظة وشجاعة ومن اقام بمصر سنة كاملة وجد في طبعه قلة الغيرة وقيل في المعنى.

ما مصر الا منزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا ومغربا
هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا ارضا صعيدا طيبا

(قال) السدي لما اشتهرت زليخا امرأة العزيز بحب يوسف وشاع امرها قالت نسوة المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن فحضر منهن جماعة كثيرة من نساء الوزراء والحجاب فأقعدتهن على المراتب الحسان واعطت كل واحدة منهن سكينا واترجة وصحفة فيها عسل وقالت لهن بحقي عليكن اذا امر عليكن الفتى العبراني يعني يوسف فلتطعمه كل واحدة منكن لقمة من الاترج والعسل فقلن لها سمعا وطاعة ثم ان زليخا (قالت) ليوسف اعلم انك قد خالفتني في جميع ما قلته لك فما هذا شأن العبودية والآن اريد ان ازينك بأحسن الزينة واخرجك على هذه النسوة التي عندي ولا تخالفني فقال افعلي ما بدا لك فالبسته الحرير واللؤلؤ وتوجته بتاج من الذهب مرصعا بالجواهر وقالت له اخرج عليهن فخرج وهو مشرق بالنور احسن من الولدان والحور فلما رأته النساء اكبرنه وقطعن ايديهن من الدهشة والنظر وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت لهن زليخا فذلكن الذي لمتنني فيه وقد قيل في المعنى

لما تبدا للعشاق مبتسما * وحارت الناس طرا في معانيه
فقلت قول زليخا في عواذلها * فذلكن الذي لمتنني فيه

فلما اندهشت النسوة قطعن ايديهن بالسكاكين وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وهن لا يشعرن بالمهن فلما رجعت النسوة الى بيوتهن صرن لا يصبرن عن رؤية يوسف ولا ساعة واحدة وهن متفكرات بيوسف وهن يقلن يوسف يوسف وازواجهن يضربونهن بالسياط فلا يبالين به (قال وهب بن منبه كانت النسوة اللاتي افتتن بيوسف اربعين امرأة فماتت منهن تسعة نسوة وجدا بيوسف قال لما خرج يوسف على النسوة قلن له اطع

مو لانك فيما تقول لك فقالت زليخا وائن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فلما رأى يوسف ان زليخا لاترجع عنه قال رب السجن احب الى مما يدعونني اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن الآية فلما شاع امر زليخا فى المدينة خشى العزيز على نفسه من كلام الناس فامر بسجن يوسف فسجن (قال) السدى لما توجهوا بيوسف الى السجن قيدوه واركبوه حمارا ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء من يخون سيده ويوسف يقول السجن احب الى مما يدعونني اليه فلما حبس يوسف كانت زليخا لاتهجع ولا تصبر ولا تنام ليلا ولانهارا ولا تأكل ولا تشرب حتى نحل جسمها وصارت مثل العود البالى فلما طال الامر على زليخا اخذت فى اسباب التسلى فكانت تقول لنفسها اذا كان هذا شابا صغيرا افزع من المعصية وخاف من ربه ان يعصيه واختار السجن فكيف وانا امرأة كبيرة لا اخشى من المعصية فكانت تتسلى بعض التسلى بمثل ذلك واما يوسف فانه لما سجن صار يتأنس بالمسجونين ويتحدث معهم وكان جبرائيل يأتيه فى كل شهر يزوره ويبشره بأنه سيصير ملكا ثم جاء مرة ومعه ياقوتة من يواقيت الجنة وقال له يا يوسف ابتلع هذه الياقوتة فابتلعها فكانت علامة لتعبير الرؤيا (قال) السدى لما كان يوسف فى الجب كان جبرائيل يأتى اليه فى كل يوم مرة ويؤانسه فى الكلام ولما كان فى السجن كان جبرائيل يأتى اليه فى كل شهر مرة فقال يوسف الهى لقد كنت فى الجب فى راحة وانا فى السجن فى تعب وبكاء فاوحى الله اليه يا يوسف الجب كان باختيارى والسجن باختيارك حيث تقول رب السجن احب الى مما يدعونني اليه (قال) السدى ان الملك الريان كان من العمالقة وقد انفرد بملك مصر دون غيره وكان له عدو بأرض اليمن فبعث ذلك العدو الى ساقى الملك الريان والى طباخه سما قاتلا وبعث صحبة السم مالا جزيلا وقال لهما ان انتما دسيتما السم على الملك الريان ومات فلكما عندى مالا كثيرا اضعاف ما ارسلت اليكما فأخذ الساقى والطباخ فى ان يسم الملك رغبة فيما وعدهما به عدو الملك واراد كل منهما ان يتلف صاحبه ليفوز بقتل الملك لاجل المال فجاء الساقى الى الملك الريان وقال له اياك من الطباخ فانه وضع لك السم فى طعامك ثم انه جاء الطباخ بعده وقال له اياك من الساقى فانه وضع لك السم فى الماء فعلم الملك انهما خائنان فقبض عليهما وعاقبهما فاقرله بصدق الحال وما امرا فأمر بسجنهما فلما دخلا السجن كانا يجلسان بجانب يوسف ويتحدثان معه فقال له الساقى انى رأيت فى المنام فى هذه الليلة ثلاث طاسات من الذهب وفى كل طاسة عنقود من العنب وكانى اعصر من العنب خمرا واسقيه الملك مرة بعد مرة ثم قال له الطباخ من بعد ذلك وانا رأيت فى منامى الليلة كان لى ثلاث تنانير مملوءة بالنار وانى خبزت خبزا

ووضعته في طبق وحملته على رأسي والطير تأكل منه وكان الساقي صادقا في منامه وكان
مؤمنا وكان الطباخ كاذبا في منامه وكان كافرا مستهزأ بيوسف فقال لهما يوسف يا صاحبي
السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا ومعنى ربه أي سيده واما الآخر فيصلب فتأكل الطير
من رأسه فلما سمع الطباخ ذلك قال اني لم ار شيأ فقال يوسف قضي الامر الذي فيه
تستفتيان ثم بعد ثلاثة ايام امر الملك باخراج الطباخ وصلبه فتناهشت الطيور من رأسه
كما اخبر يوسف ثم بعد ذلك امر باخراج الساقي فلما اخرج خلع عليه واعاده لما كان
عليه (قال) لما خرج الساقي قال له يوسف اذكرني عند ربك وقل له ان في السجن
غلاما محبوسا ظلما من غير ذنب فلما اخرج الساقي نسي قول يوسف (قال) وهب بن
منبه ان يوسف لبث في السجن ست سنين بعدد حروف اذكرني (قال) رسول
الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لولا الكلمة التي قالها مالبث في السجن بضع
سنين قال لما لبث بضع سنين جاء اليه جبرائيل وقال له يا يوسف قد قرب الفرج من الله
تعالى وذلك ان الملك الريان يرى مناما ولم يقدر احد من الناس على تفسيره ويكون ذلك
سببا لخروجك من السجن ثم بعد ايام رأى الملك الريان في منامه كان بحر النيل قد غار في
الارض وطلع منه سبع بقرات سمان ثم طلع بعد ذلك سبع بقرات عجاف أي ناحلات
ضعيفات اكلن تلك البقرات السمان ثم طلع من بعد ذلك سبع سنبلات خضر وسبع
سنبلات صفر ثم ان السنبلات الصفر التفت بالسنبلات الخضر فيبستها في الحال فانتبه
من منامه مرعوبا وامر باحضار المفسرين وقص عليهم رؤياه فلما سمعوا ذلك قالوا
اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فلما نام ثاني ليلة واصبح نسي ما كان قد
رآه فضاق صدره واحضر المفسرين وقال لهم هل تذكرتم شيئا مما كنت قصصته عليكم
بالامس تلك الرؤيا فقالوا كلهم قد نسيناها وهذه الرؤيا اضغاث احلام فغضب الملك على
المعبرين وامر باسقاط ما كان لهم من الرواتب في ديوانه ثم ان الساقي تذكر ما قال له يوسف
فجاء الى الملك وسجد بين يديه وقال هل يأذن لي الملك في تعبير هذه الرؤيا فقال الملك
يا هذا قد عجز عن تعبير هذه الرؤيا المعبرون فكيف انت تقدر على تعبيرها (فقال)
الساقي ان في السجن غلاما من اولاد يعقوب فهو اعلم بتعبير هذه الرؤيا فأمره الملك
بالتوجه الى يوسف فمضى الساقي الى السجن ودخل على يوسف وقبل رأسه واعتذر اليه
(وقال) له والله يا سيدي قد نسيت هذه المدة ولم اذكرك الا في هذا اليوم وهو ان
الملك رأى في منامه رؤيا قد عجز عن تفسيرها المعبرون ثم ان الملك نسي ما رآه من
تلك الرؤيا *(فقال)* له يوسف ان الملك رأى ما هو كذا وكذا فذهب الساقي واخبر
الملك بما قاله يوسف فتعجب الملك من ذلك وامر باحضاره وهو قوله تعالى آتوني به

استخلصه لنفسي الآية ثم ان الملك ارسل فرسا وخلعة وتاجا وامر الوزراء والحجاب بأن يمضوا الى السجن ويمشوا بين يدي يوسف وارادوا ان يخرجوه فأبى يوسف ان يخرج وقال لا اخرج حتى تظهر براءتي بين الناس ثم قال للوزراء والامراء ارجعوا الى الملك واسألوه ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن بالسكاكين فلما رجع الرسول واخبر الملك بما قاله يوسف امر بالسؤال من امرأة العزيز وطلبهن والنسوة اللاتي قطعن ايديهن فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما عرف الملك براءة يوسف زاد تعظيمه ثم ان يوسف لما اراد ان يخرج من السجن بكت اهل السجن قاطبة لفراقه فدعا لهم عند ما خرج ثلاث دعوات مستجابات فقال اللهم عطف على المسجونين قلوب العباد اللهم ادفع عنهم شدة الحر والبرد وآتهم بالاخبار في كل يوم من سائر البلاد ثم كتب على باب السجن هذا قبر الاحياء ثم ان يوسف اغتسل ولبس الثياب التي اهدبت له من الملك الريان وركب ومشت بين يديه الوزراء والامراء والحجاب وسار في موكب عظيم حتى وصل الى قصر الملك فدخل عليه وسلم بالعربية عليه فقال الملك ماهذا اللسان فقال هذا لسان عمنا اسماعيل بن ابراهيم خليل الله (قال) وهب بن منبه كان الملك الريان يتكلم بسبعة السن فكان كلما تكلم بلسان اجابه يوسف به ثم ان الملك اجلس يوسف بجانبه وقال له من انت قال انا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الله ونحن من ارض كنعان *(فقال)* من اخذك من السجن قال زليخا امرأة العزيز لاجل اني لم اطاوعها على الزنا فاعجب الملك كلامه وحسن وجهه وكان ليوسف لما خرج من السجن نحو ثلاثين سنة ثم ان الملك *(قال)* ايوسف قد رأيت في المنام رؤيا ونسيتها فقال له يوسف ايها الملك لقد رأيت سبع بقرات سمان طلعت من البحر ثم طلع بعدها سبع بقرات عجاف دفترس تلك البقرات السمان ومزقن جلودهن ورأيت سبع سنبلات خضر مثمرات وسبع سنبلات صفر يابسات غير مثمرات التففن على تلك السنبلات الخضر وصارت اصولهن في الماء فهذا ما رأيته ثم انتبهت من منامك (فقال) الملك انها لهي الرؤيا التي رأيتها بعينها فمن اخبرك بذلك فقال اخبرني بها جبرائيل رسول رب العالمين فقال له الملك وما ترى في هذه الرؤيا ايها الصديق فقال له يوسف يأتيكم سبع سنين مخصبة ثم يأتيكم من بعدها سبع سنين مجدبة فقال له الملك وما التدبير في ذلك فقال يوسف ازرعوا زرعا كثيرا في السنين المخصبة ثم احصدوه وذروه في سنبله وقصبه وكذلك جميع الحبوب وابنوا لها مخازن كبارا فيكون القصب علفا للدواب والحب قوتا للناس (قال) *الملك ومن يتولى هذا التدبير كله قال يوسف للملك اجعلني

على خزائن الارض اى مصرانى حفيظ عليم ثم ان الملك عزل قطفير وكان شيخا كبيرا وولى يوسف عوضا عنه وعاش قطفير بعد عزله شهرا ومات فلما تولى يوسف على مصر عدل فى الاحكام وخضع له الجميع من الخاص والعام فكان يركب فى كل سبعة ايام مرة وفى خدمته الامراء والوزراء والحجاب وكان يركب معه من العسكر نحو الالف غير المشاة وقد قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض اى ارض مصر وقد قيل فى المعنى

وراء مضيق الخوف متسع الامن * واول مفروج من الحزن

فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخروج من السجن

(قال) السدى لما جلس يوسف على سرير الملك فوض اليه الملك الريان امر الديار المصرية شرقا وغربا فلما تم امر يوسف فى الحكم اوحى الله اليه بأن يجعل ذلك الطفل الذى شهد له وهو فى المهد بالبراءة وزيرا ولا يضيع شهادته له فاتخذه وزيرا والبسه خلعة واركبه فرسا ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء من شهد بالحق ثم ان يوسف الصديق جد واجتهد فى امر الزرع بزيادة العادة وبنا يوسف المخازن وسماها الاهرامات وخزن بها الغلات وآثار تلك المخازن باقية الى الان فى جهات الفيوم وغيرها من البلاد واستمر على خزن الغلال فى قصبه وسنبله سبع سنين وهى السنين المخصبة فلما مضت ودخلت السنين المجدبة والعياذ بالله وقع الغلاء والقحط واشتد البلاء بالناس قال فلما دخلت السنين المجدبة اول من جاع الملك الريان فانتبه من منامه نصف الليل وهو يصيح الجوع فأتاه الطباخ بالمائدة فقال له الملك الريان من اعلمك أنى جائع حتى جئتنى بطعام من غير ان اعلمك احد بى فقال اعلمنى بذلك يوسف فلما اكل وفرغ جاع فى الحال وذلك حكمة من الله تعالى اذا وقع القحط والغلاء النفس دائما تأكل ولم تشبع قال فمس يوسف الصديق بيده بطن الملك الريان فأذهب الله تعالى عنه الجوع (قال) واما اهل مصر فكانوا يأكلون ولا يشبعون فباعهم يوسف الصديق القمح فى اول سنة بالذهب والفضة والنحاس حتى لم يبق شئ من ذلك ثم فى السنة الثانية باعهم القمح بالجواهر والحلى ثم باعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق شئ وفى السنة الخامسة بالضياع والاملاك حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم فى السنة السادسة بالاولاد والنساء حتى لم يبق شئ ثم باعهم فى السنة السابعة بالنفوس جميعا حتى لم يبق فى مصر من كبير وصغير من رجل وامرأة الا وصاروا فى رق يوسف فعند ذلك اجتمع يوسف بالملك الريان وقال له انى اشهدك أنى اعتقت جميع ما صار الى بالرق من اهل مصر ورددت عليهم اموالهم وضياعهم واملاكهم جميعا *(قال)* السدى ان يوسف الصديق كان لا يشبع بطنه فى تلك الايام وكان يقول اخاف ان

شبعت انفس الجائع وكان يأمر طباخه ان يؤخر غداه الى نصف النهار (قال) الكسائي لما كان اواخر السنة السابعة من سنين القحط فرغ القمح من عند يوسف الصديق والغلال فكان الناس اذا نظروا الى وجهه يشبعون برؤيته وجهه فكانوا يقصدونه بكرة وعشية لرؤيته فتغنيهم عن الزاد الى بقية العام السابع حتى ادرك الزرع فاكتفوا عنه (قال) السدي لما وقع القحط بمصر جاءت زليخا الى يوسف ومعها خادم يقودها فانها عميت وطرشت وافتقرت وذهب جمالها فلما اقبلت على يوسف عرفها فقال لها انت زليخا قالت نعم قال لها فاين حسنك وجمالك قالت قد ذهب ذلك كله ولم يبق منه شيء فقال لها يوسف كيف حال محبتك لي فقالت باقية لم تتغير ولم اجد طعم الماء والفقر الما من كثرة الشغف بك *(وقيل)* ان زليخا وقفت ليوسف وهو سائر في موكبه فنادته سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعتهم وجعل الملوك عبيدا بمعصيتهم فقال يوسف لغلمانه انطلقوا بهذه العجوز الى الدار فانطلقوا بها فقال لها ماتريدين مني واذا بجبرائيل عليه السلام يقول يا يوسف ان الله تعالى يأمرك ان تتزوج بزليخا فقال له يوسف كيف اتزوج بها وهي عجوز عمياء فقال له جبرائيل ان الله تعالى يرد عليها بصرها وجمالها فعند ذلك تزوج بها يوسف واسلمت على يده ورد الله لها حسنها وجمالها وبصرها فكانت احسن ما كانت عليه فوجدها بكرا ثم ان زليخا قعدت مع يوسف الصديق اربعين سنة ورزق منها بولدين وهما افرائم ومنشا (قال) ولما وصل الغلاء والقحط الى ارض كنعان قال يعقوب لاولاده اذهبوا الى مصر واشتروا الغلال من صاحب مصر فتجهزوا للسير واخذوا معهم بضائع يتجرون بها مثل عسل وزيت وصابون وغير ذلك فلما دخلوا الى مصر ودخلوا الى دار العز يطلعوا الى القصر الذي فيه يوسف فرأوه وعلى رأسه الف غلام وبأيديهم اعمدة الذهب وكان يوسف اذا جلس في موكبه يضع على وجهه برقعا مكللا بأنواع الجواهر فلما وقفوا بين يديه عرفهم وهم له منكرون قال يوسف للترجمان سلهم من اين هؤلاء فقالوا اننا من ارض كنعان اولاد يعقوب فقال يوسف قل لهم كم انتم فقالوا اثنا عشر ولدا وقد ذهب واحد منا ولم نعلم له اثرا فقال يوسف لحاجبه ارفعهم الى دار الضيافة فأقاموا بها ثلاثة ايام لم يأذن لهم بالانصراف ولم يبعهم شيأ فقال لهم يهوذا قد اعاقنا الملك ومن خلفنا اكباد جائعة وعيال ضائعة فدخل الحاجب على يوسف واخبره بما قال يهوذا فقال يوسف قل لهم يأتوني بأخيهم من ابيهم وكتاب من ابيهم يشهد لهم بأنهم اولاده والا فلا كيل لهم عندي ولا يقربون *(قال)* السدي ان يوسف اوفى لهم الكيل واعطاهم الثمن الذي اخذه منهم ثمن الغلال ووضعه في رحالهم ثم قال لهم دعوا بعضكم يكون عندي رهينة حتى تأتوني بأخ لكم من ابيكم فلما سمعوا ذلك قالوا من

يقعد منا رهينة فقرعوا بينهم فأصابت القرعة اخاهم شمعون فتركوه عند العزيز ورجعوا الى بلادهم فلما وصلوا الى ابيهم قالوا يا ابانا انا قدمنا على ملك مصر فاكرمنا ووفى لنا الكيل واخبروه برهن اخيهم شمعون عند الملك حتى نأتيه بأخ لنا من ابينا فارسله معنا فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل *(قال)* ولما فتحوا متاعهم وجدوا ثمن الغلال التى اعطوها ليوسف رجعت اليهم فقالوا يا ابانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا فارسل معنا اخانا بنيامين فقال لهم ابوهم لم ارسله معكم حتى تؤتونى موثقا من الله لتأتننى به فاتوه موثقهم فعند ذلك قال يعقوب والله على ما نقول وكيل والموثق اليمين قال السدى لما ارادوا ان يتوجهوا الى مصر قال لهم يعقوب يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال قتادة ان يعقوب خشى على اولاده من العين لانهم كانوا من ذوى الحسن والجمال ملاح الهيآت فأمرهم ان يدخلوا متفرقين قال فلما دخلوا مصر من حيث امرهم ابوهم ثم اجتمعوا ودخلوا على يوسف وهو جالس على سريره فى قصره وقالوا ايها العزيز هذا الطفل الذى امرتنا ان نأتيك به فقال لقد احسنتم واصبتم ثم انه امر بالموائد فحضرت فأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى فقال له الملك لاى شئ تبكى فقال لو كان اخى يوسف حيا لجلست معه فقال له الملك عند ذلك اذ كنت وحيدا فأنا احق بك وانزلك عندى فى هذا القصر وآكل معك فلما انصرفوا وبقى بنيامين عند الملك قال له لا تخف وكشف يوسف البرقع عن وجهه وقال له انا اخوك فلا تبتئس اى لا تخاف فعند ذلك تعانقا وتباكيا ثم قال له سأحتال على اخذك من اخوتك ثم ان يوسف وفى لاخوته الكيل وجعل سقايته فى رحل اخيه بنيامين كما اخبر الله تعالى فى القرآن العظيم *(قال)* كعب الاحبار ان السقاية كانت مشربة من ذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت وقيل انها من الزمرد الاخضر فلما قصدوا ان يرحلوا بلادهم اشاع الملك ذهاب السقاية واتهمهم بها فقال لهم الحاجب الم يحسن الملك اليكم الم يكرمكم قالوا بلى قال وكيف تأخذون سقايته وقد فقدت من حين دخلتم عليه ولا يمكن ان يسرقها احد غيركم قالوا تالله ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فقال لهم الحاجب فما جزاء من أخذها منكم ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله ان يقيم عند المسروق منه سنة كاملة فى الاسر وكان ذلك جائزا فى شريعة يعقوب فقال الحاجب لابد ان نفتش الرحال فأتوا بها الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه ففتشها فلم يجد بها شيأ فلم يبق الا وعاء بنيامين الصغير فقال يوسف هذا غلام صغير وما اظنه يسرق ولا يأخذ شيأ فقالت اخوته الله لا نترك رحله بلا تفتيش حتى يطيب خاطرك علينا فلما فتشوه وجدوا فى رحله

السقاية فنكس يوسف رأسه واظهر الحياء فاقبل اولاد يعقوب على اخيهم بنيامين
ووبخوه بالكلام وقالوا يا ابن راحيل لا يزال لنا منك البلاء والعناء ثم قالوا أيوسف ان
يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم *(قال)* السدي
اختلف جماعة من العلماء في سرقة يوسف التي عيره بها اخوته فقالوا انه اخذ يوما بيضة
من بيت عمته واعطاها السائل كان واقفا على بابها *(قال)* قتادة ان يوسف كان قد
اخذ صنما من الذهب كان لجده ابي امه والقاه في بئر انتهى (قال) فلما ظهرت
السقاية احضرها يوسف بين يديه وضربها بقضيب كان معه ثم ادنى اذنه منها فقال انها
تخبرني بخبر عجيب بانكم كنتم اثنى عشر ولد ليعقوب وانكم انطلقتم باخ لكم فبعتموه بثمن
بخس فلما سمع بنيامين قام ودعا للملك وقال ايها الملك استخبر الصواع هل يوسف حي ام لا
فضربه واصغى باذنه وقال انه حي يرزق وسوف يظهر ثم قال الملك امضوا الى ابيكم
واتركوا اخاكم عندي سنة كاملة وشرعكم فقالوا ايها الملك ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا
مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده *(قال)*
كبيرهم يعني شمعون الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله لتأتنني به فكيف
نأتي وجه ابينا بغير اخينا وقد اخترت ان اقيم بمصر حتى يحكم الله بردا اخي وهو خير
الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا
للغيب حافظين فلما رجعوا الى ابيهم يعقوب واخبروه بما جرى لابنه بنيامين بكى وقال بل
سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم ان يعقوب دخل الى
بيت الاحزان وجدد حزنه على يوسف واخيه *(قال)* السدي قد ألهم الله يعقوب بتسمية
ابنه يوسف واسم يوسف مشتق من الاسف لما سبق في علمه من الازل بما جرى ليعقوب
فلم يزل يعقوب يبكي حتى نشفت دموعه وجرى الدم من عينيه وابيضت عيناه من كثرة
البكاء وقيل في المعنى

لا بد للاحباب من فرقة * وكل محبوب واصحابه
فمن يمت يفقد من نفسه * ومن يعش يرزأ باحبابه

(قال) السدي كان زمن الفرقة بينه وبين ابنه يوسف سبعين سنة وفي هذه المدة
لم يسله ساعة فقال له اولاده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من
الهالكين *(قال)* قتادة بينما يعقوب جالس ببيت الاحزان اذ هبط عليه جبرائيل
وقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك ان ابنك حي يرزق وقد صار عزيز مصر فان
شئت ناديه بصوتك في مكان محرابك فان الريح تحمل صوتك اليه (ويروى ان ملك
الموت استأذن ربه في زيارة يعقوب فاذن له فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت بالله

عليك هل قبضت روح يوسف فقال لا والذي اصطفاك بالحق نبيا ما قبضت روحه وهو
حي يرزق وقد قرب الفرج فعند ذلك طابت نفس يعقوب وسكن ما به (قال) وكان سبب
بلاء يعقوب انه ذبح بقرة ولها عجل مرضع بين يديها فلم يرحمها ولم يرحمه فجعل يصيح في كل
يوم على امه ثم ان يعقوب كتب كتابا مضمونه من يعقوب نبي الله ابن اسحاق الذبيح ابن
ابراهيم خليل الله اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما ابي اسحاق فوضعت السكين
على حلقه واما جدي ابراهيم فوضع في المنجنيق والقي في النار واما انا فكان لي ولد يسمى
يوسف وكان احب اولادي الي فذهب مع اخوته فأتوا بقميصه ملطخا بالدم وقالوا ان
الذئب اكله فبكيت عليه من منذ ثلاث وخمسين سنة حتى ابيضت عيناي واما ابني
بنيامين فقلت انك وجدت سقايتك في رحله وحزته عندك فنحن من اهل بيت لا نسرق
ولا نلوذ بمن يسرق فارحم ترحم واردد علي ولدي فان فعلت ذلك فالله يجزيك خيرا وان
لم تفعل ذلك دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك وقال يعقوب خذوا الكتاب
واذهبوا الى عزيز مصر عسى الله ان يأتيني بهم جميعا فلما ذهبوا بالكتاب واتوا به الى يوسف
اخذه يوسف ودخل بيته وقبله وقرأه وبكى وقال لاولاده هذا كتاب جدكم ثم ان يوسف
خرج وجلس على سرير ملكه واحضر اولاد يعقوب بين يديه وقال لهم قد عفوت عن
اخيكم بنيامين فاقصدكم غير ذلك قالوا اوف لنا الكيل وتصدق علينا فقد مسنا واهلنا
الضر انا نراك من المحسنين فعند ذلك رفع البرقع عن وجهه وقال لهم هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون فقالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من
الله علينا وجمع بيننا ثم انه قصد ان يؤكد المعرفة بذكر المنام الساقي وما فعلوه فذكرها
(قال السدي كان على خد يوسف خال اسود وفي وجهه شامة بيضاء تتلألأ بالنور فعند
ذلك تحققوا انه يوسف ثم انه سألهم عن ابيه فقالوا له قد ابيضت عيناه ونحل جسده ثم ان
يوسف اعطاهم قميصه الذي كان اتاه به جبرائيل وهو في الجب وكان من الجنة
فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين فقال
يهوذا انا اذهب بالقميص وافرحه بيوسف كما اني اعطيته القميص الملطخ بالدم وقد
احزنته عليه ثم ان يهوذا توجه من ارض مصر الى كنعان في سبعة ايام وارسل معه مائتي
جمل محملة من الزاد والقماش وكان وصول يهوذا يوم الجمعة وكان يهوذا يحث السير قال
كعب الاحبار ان ريح الصبا استأذنت ربها بأن تأتي الى يعقوب بريح يوسف قبل ان
يأتيه البشير بالقميص فقال يعقوب لمن حوله اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون
اي تستهزؤن قال مجاهد في تفسير هذه الآية فمن يومئذ ريح الصبا اذا هبت على عليل
يجد له راحة واذا هبت على محزون تنفس عنه الكرب (قال) السدي فلما جاء يهوذا

بالقميص الى يعقوب والقاه على وجهه فارتد بصيرا وعادت اليه الشبوبية وذهب عنه الحزن والبكاء وعادت اليه القوة والنشاط بعد ما قاسى الشدائد وانشد في المعنى

جاء البشير مبشرا بقدومه * فاشت من قول البشير سرورا
والله لو قنع البشير بمهجتي * لوهبتها ورأيت ذاك يسيرا
فكانني يعقوب من فرح به * اذ عاد من شم القميص بصيرا

فعند ذلك قال يعقوب الم اقل لكم اني اعلم من الله مالا تعلمون فقال له اولاده يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين فقال لهم يعقوب سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم *(قال)* قتادة ان يعقوب اخر الدعاء لاولاده الى ليلة الجمعة الى وقت السحر لان الدعاء فيه لا يرد *(ثم ان يعقوب)* عليه السلام اخذ اولاده وعياله وتوجه الى مصر فلما وصل نزل بمدينة بلبيس وكانت مدينة كبيرة عامرة وقد ذكرها الله في التوراة وسماها ارض جاشان فلما بلغ يوسف قدوم ابيه خرج اليه هو والملك الريان وخرجت امامهما العساكر والوزراء والامراء وكان عسكره نحو اربعمائة الف انسان فلما بقي بين يوسف ويعقوب مقدار فرسخ كشف الله عن بصره فرأى يوسف في وسط العسكر كالاسد الضاري ثم تلاقى يوسف مع ابيه على التل المعروف بالعكرشا بعد ان نزلا عن المطية وكذلك الملك الريان نزل عن فرسه فترجلت العساكر كلهم اجمعون فتعانق يوسف مع ابيه وبكا حتى غشي عليهما فلما افاقا قال له يوسف يا ابتي كيف بكيت علي واذهبت نفسك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكنني كنت اخشى ان تسلب من دينك مما قاسيت فيحال بيني وبينك *(وقيل)* لما تلاقيا قال له يعقوب يا يوسف على اي دين انت قال يا ابت على دين ابراهيم عليه السلام ففرح يعقوب بذلك *(قال)* وهب بن منبه لما دخل يعقوب الى مصر كان معه من اولاده واولاد اولاده اثنان وسبعون انسانا من رجال ونساء فلا زالوا في مصر ينمون ويتناسلون الى ايام موسى عليه السلام فلما خرج موسى من مصر فارا من فرعون كان معه من طائفة بني اسرائيل ستمائة الف وخمسمائة وسبعة وسبعين رجلا غير النساء والاطفال فكان جملتهم قاطبة الف الف ومائة الف انسان *(قال)* السدي لما دخل يعقوب الى مصر مشى العسكر بين يديه فرحا حتى وصل الى داره فلما وصل الى القصر ودخل رفع يوسف ابويه اي اباه وخالته وكانت اخت امه لها عليه تربية فسميت امه ولاجل ذلك رفعهما على سريره وامر العسكران يسجدوا لهما وكان ذلك عادة اهل مصر في التحية *(قال)* يوسف لابيه يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا *(قال)* فاوحى الله الى يعقوب لم قلت اخاف ان يأكله الذئب ولم تفوض الامر الي فلذلك فرقت بينكما

ولما اجتمع يوسف بأبيه أقاموا في مصر في ارغد عيش اربعة وعشرين سنة فبينما هم على ذلك اذ هبط جبرائيل على يعقوب وقال له يا يعقوب قد اشتاقت اليك ارواح آبائك وقد قرب الوقت بانقضاء اجلك فكره يعقوب ان يخبر يوسف بذلك بل قال يابني اريد ان ازور قبور آبائي ببيت المقدس فاذن له في ذلك فخرج من مصر وخرج معه ابنه يوسف لوداعه في العسكر ورجع هو والعسكر وارباب الدولة *(قال)* السدي لما اراد يعقوب أن يخرج من مصر جمع اولاده بين يديه وقال لهم يابني ما تعبدون قالوا لا نعبد الا الله (قال) العزيزي اقام يوسف بمصر بعد موت ابيه ثلاثة وعشرين سنة فلما دنا اجله اتاه ملك الموت وهو يريد ان يركب على فرسه فلما وضع رجله في الركاب قال له ملك الموت اخرج رجلك من الركاب فهذا وقت الانقلاب فلما ايقن يوسف الموت قال لاخوته لا تقيموا من بعدي في ارض مصر فانها دار الفراعنة ومسكن الجبابرة (قال) السدي لما توفي يوسف جعلوه في حوض مرخام ابيض ودفنوه في احدى جانبي النيل في الفيوم فاخصب ذلك الجانب دون الآخر فلما رأوا ذلك جعلوا ذلك الحوض في وسط النيل بين عمودين من الصوان وعلوا الحوض في سلسلة من حديد وسمروها بسكك من حديد في تلك الاعمدة فلما صنعوا ذلك اخصب الجانبان من النيل جميعا *(قال)* العزيزي توفي يوسف وله من العمر مائة سنة وقد مات قبل زليخا بمدة يسيرة ودفنت بمصر ولم يعلم مكان قبرها فكان كما يقال

محبتي لا تنقضي * بسلوة تبطلها * كأنها دائرة * اولها وآخرها

(قال) السدي ما كان فيهم نبي سوى يوسف عليه السلام ومنهم من قال كلهم انبياء وهم الاسباط الذين ذكرهم الله في القرآن العظيم (قال) السدي ان الملك الريان صاحب مصر توفي في زمن يوسف ويقال انه اسلم على يد يعقوب وكان اسمه الريان بن الوليد بن ارلادس وكان حسن السيرة عادلا في الرعية وكان خراج مصر في زمانه الف الف دينار ولما وقع الغلاء في ايامه اسقط عن المزارعين بأرض مصر خراج ثلاث سنين وكان من جملة فراعنة مصر انتهى *(قال)* الكسائي ان يوسف هو اول من اظهر علم الهندسة ولم يكن الناس يعرفون ذلك وهو اول من قاس النيل بمصر ووضع له مقياسا محكما وهو الذي حفر خليج المنتهي بالفيوم *(ومن)* العجائب ان الخليج لا ينقطع جريانه على الدوام ولو انقطع ماء النيل عنه وهو اول من خص بتعبير الرؤيا واول من خزن القمح في سنبله واول من اظهر القراطيس اي الورق البلدي *(قال)* ابن الهيعة في اخبار مصر ان يوسف عليه السلام هو الذي بنا مدينة الفيوم ودبرها بالوحي من جبرائيل وكانت ارضها مغايض الماء فدبرها حتى اخرج عنها الماء وجعل بها عشر قناطر وعمل عليها

ابوابا من الحديد وبنى بها من جهة الشمال الى جهة الجنوب حائطا طوله مائتا ذراع بذراع العمل واحكمه ليرد الماء اذا زاد النيل اثنى عشر ذراعا وكان على خليج المنتهى عدة طواحين تدور بالماء قال العزيزى وكان انتهاء العمل منها فى سبعين يوما فتعجب الملك من ذلك وركب هو ووزراؤه ورأوا ما صنعه يوسف فتعجبوا من ذلك وقالوا هذه الطواحين كانت تعمل فى الف يوم فسميت من ذلك اليوم الفيوم وكانت محكمة على ثلاثمائة وستين قرية منها على مسيرة يوم من مصر وكان فى الفيوم الف منبر من ذهب برسم الوزراء والحجاب يجلسون عليها فى المواكب وقد سماها الله فى القرآن بالمقام الكريم قال اقام يوسف مدفونا ببحر النيل فى خليج المنتهى نحوا من خمسمائة سنة حتى ظهر موسى عليه السلام *(قال)* السدى لما خرج موسى من مصر ومعه بنو اسرائيل أوحى الله اليه بأن يحمل معه جثة يوسف قال موسى يارب ومن يدرى اين جثة يوسف فأوحى الله اليه ان عجوزا كبيرة قد ذهب بصرها تسمى سارح وهى بنت آشرين يعقوب فهى تعرف مكان جثة يوسف فمضى لها موسى وسألها عن جثة يوسف قالت لا ادلك على مكان جثة يوسف حتى تحملنى معك الى بيت المقدس وتدعولى بأن الله يرد على سمعى وبصرى فقال لها موسى افعل ذلك ان شاء الله تعالى فدعا لها فرد الله عليها ما سألت فدلته على المكان الذى فيه جثة يوسف فأخذها من خليج المنتهى وكانت فى وسط الماء فحملها معه فى تابوت من خشب وتوجه بها الى بيت المقدس ودفن يوسف عند ابراهيم الخليل عليه السلام ثم أن موسى حمل معه تلك العجوز وصارت كما شرطت (قال) السدى فمن حين نقلت جثة يوسف من الفيوم تناقصت البركة منها فى زرعها وغلالها ومواشيها (قال) الكسائى كان بين مولد موسى ووفاة يوسف زيادة عن خمسمائة سنة وكان مولد يوسف بأرض كنعان ومولد موسى بمصر تمت قصة يوسف عليه السلام

(ذكر قصة ايوب الصابر عليه السلام)* قال الله تعالى واذكر عبدنا ايوب الآية (قال) كعب الاحبار كان ايوب من الروم وهو من ولد العيص بن اسحاق ابن ابراهيم عليه السلام ولم يجئ من نسل العيص سوى ايوب وكانت زوجة ايوب تسمى رحمة وهى بنت افرثيم بن يوسف عليه السلام* (قال)* العزيزى كان ايوب نبيا فى زمن يعقوب وقد بعث الى اهل حوران من نواحى دمشق*(قال)* السدى كان ايوب فى سعة من المال وكان لا يفتر عن قراء الاضياف ويأوى الغرباء وكان يتعاطى المتجر والزرع وله عدة اولاد وعيال كثيرة *(قال)* وهب بن منبه كان لايوب عبادات يقصر عنها العابدون فحسده ابليس اللعين على تلك العبادات وكان ابليس فى تلك الايام لا يمتنع من الصعود الى السماء وكان يتحدث مع الملائكة وهم يثنون على ايوب من الكثرة

عبادته وجوده واقرانه الاضياف قال ابليس اللعين لوكان ايوب فقيرا ماعبدالله فلو
سلطني الله على ماله لترك العبادة فأوحى الله الى ابليس انى قد سلطتك على ماله فجمع
ابليس جنده ومضى الى زرعه ومواشيه فلم يشعر ايوب الا وقد ثارت نار عظيمة من تحت
الارض فأحرقت جميع زرعه وهبت على مواشيه فأحرقتها عن آخرها ثم ان ابليس اتى
الى ايوب وهو قائم يصلى فى محرابه فقال له ان الذى تصلى له قد احرق جميع زرعك
واهلك جميع مواشيك فقال ايوب الحمد لله الذى اعطانى واخذ منى ما كان وهبنى فرجع
ابليس خائبا ثم صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت صبر ايوب قال هو
على ثقة من ربه فلو سلطنى الله على اولاده لما كان يصبر فأوحى الله اليه قد سلطتك على
اولاده فمضى ابليس وحرك الدار على اولاده وعياله فسقطت الدار عليهم فهلكوا جميعا
فأتى ابليس الى ايوب وهو قائم يصلى فى المحراب على صورة دايتهم فناحت بين يديه
وبكت وضجت فقال ايوب ما الخبر فقالت قد سقطت الدار على اولادك
فهلكوا جميعا فقال ايوب الحمد لله الذى اعطى واخذ ثم جاء ابليس فى صورة خادمهم
فقال له لو رأيت اولادك وقد سالت دماؤهم وتشققت بطونهم وامعاؤهم فلا زال يقول
وينوح حتى رق قلب ايوب وبكى وقال ياليتنى لم اخلق فابتهج ابليس بهذه الكلمة ثم ان
ايوب استغفر الله من ذلك وصبر واحتسب ثم ان ابليس صعد الى السماء فقالت له
الملائكة كيف رأيت ايوب قال هو على ثقة من ربه ثم قال ابليس فلو سلطنى الله على
جسده لما صبر على ذلك فأوحى الله اليه انى قد سلطتك على جسده فرجع ابليس واتى
الى ايوب فوجده قائما يصلى فدنا منه ونفخ فى انفه نفخة فاشتعل منها دماغه وقدمه
وما بينهما وحصل له الم شديد بين اللحم والجلد وكان ايوب متزوجا بثلاث نسوة فلما
رأينه على تلك الحالة ذهبت اثنتان وبقيت رحمة عنده فأتى ابليس الى اهل تلك
القرية التى فيها ايوب فقال لهم اخرجوا ايوب عنكم والا يعدكم فى اجسامكم من دائه
فقال اهل القرية لرحمة اخرجى ايوب عنا والا قتلناه فحملته رحمة على اكتافها واتت به
الى خربة هناك ففرشت تحته التراب فنام عليه (قال) وهب بن منبه نام ايوب على
التراب مطروحا سبع سنين ولم يقرب اليه احد سوى زوجته رحمة فكانت تذهب الى
اهل القرية وتعمل لهم اشغالهم وتأتى الى ايوب بما يحصل لها من نوالهم من الخبز والطعام
فجاء ابليس الى اهل تلك القرية وقال لهم لا تدعوا رحمة تدخل عليكم فتعديكم من حال
زوجها فقال اهل القرية يارحمة ابعدى بزوجك عنا والا قتلناك بالحجارة فحملته على
اكتافها وذهبت به الى مكان بعيد عن القرية وفرشت تحته الرماد ووضعته عليه
وجعلت تحت رأسه حجرا وقالت له ياايوب اطلب تلك العافية من الله فقال يارحمة خولنا

الله

الله في نعمائه فنصبر على بلائه فكانت رحمة تذهب وتقف على الابواب فيطردونها ويقولون لها اذهبي عنا لا تعدينا من داء زوجك فلما بلغ بها الجهد واضرّ بايوب الجوع عمدت الى ضفيرة من شعرها فقطعتها وباعتها برغيف واتت به الى ايوب فقال لها ايوب من اين لك هذا الرغيف فاخبرته بما كان من شعرها فلما سمع ايوب بكى بكاء شديدا وصبر (ومما يحكى من موافاة النساء) قال ابو الفرج الاصفهاني ان رجلا من العرب يقال له هدبة بن حشرم امر بقتله معاوية بن أبي سفيان فلما تحقق الاعرابي ذلك ارسل خلف زوجته تحت الليل فاتت اليه وهي تختال في ثوب خز والمسك يفوح منها وقد زينت خلاخيلها وكانت ذات حسن وجمال فلما اجتمعا جلسا يتحدثان ثم انهما اتيا كما ثم نام معها وكان بينهما ما كان فلما اصبح الصباح اخرجوه من السجن ومضوا به الى القتل فالتفت الى زوجته وكانت ابنة عمه فتأمل اليها وانشأ يقول

اقلي من التعنيف وارعي لمن رعى * ولا تجزعي مما اصاب فأوجعا
ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * اغم القفا والرأس ليس بأنزعا

قال فلما سمعت زوجته ذلك مالت الى جدار الحائط واخذت سكينا وقطعت بها انفها ثم التفتت اليه وقالت له هل بقي بعد ذلك من الحسن شيء يوجب النكاح فمشى في قيوده وقال الآن طاب الموت فقتل (وقال الثعلبي) بينما امشي في شوارع البصرة واذا انا بامرأة من اجل النساء وجها واظرفهن شكلا وهي تقبل شيخا اعور ماسخ الوجه والخلقة وهي تحادثه وتلاعبه وتضحك في وجهه وتفلي قصعه من القمل فلما رأيت ذلك دنوت منها وقلت لها يا هذه من يكون هذا الشيخ منك قالت زوجي فقلت لها وكيف تصبرين على شماخته وقبح وجهه مع وجود حسنك وجمالك ان هذا العجب قالت يا هذا اتعجب من صنع الله تعالى فلعل هذا الشيخ رزق مثلي فشكر ورزقت انا مثله فصبرت والصبور والشكور في الجنة افلا ارضى بما رضي الله تعالى من هذا الامر فتركتها وانصرفت منها وقد اعجزني جوابها (ومما رواه معاذ بن جبل) رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو خرج من احدكم قيح اودم فمسحته امرأته بلسانها ولم يرض عنها جاءت يوم القيامة في تابوت من نار ويهوى بها الى قعر جهنم (قال) وهب بن منبه ثم ان ابليس اللعين تصور لرحمة زوجة ايوب في صورة طبيب فقال لها انت زوجة ايوب المبتلى قالت نعم قال انا اداويه من هذه العلة بشرط انه اذا ذبح لا يسمى وان شرب الخمر فيشفى فلما رجعت الى ايوب اخبرته بذلك فقال لها ويلك هذا ابليس اللعين فغضب ايوب على رحمة وحلف يمينا عظيما انه اذا شفي من هذه العلة ليجلدنها مائة جلدة حيث انها لم تقل لابليس ان الله يشفيه ثم ان ايوب بكى وقال الهي انالم

اكن قط بين امرين الا وقد طلبت رضاك فيهما دون رضائي وماشبعت من الطعام قط
خوفا ان انسى فبأى ذنب اخذتني به فأوحى الله تعالى اليه يا ايوب هل صبرك على البلاء
بتوفيقي ام بتوفيقك واوحى الله اليه ثانيا يا ايوب لولا انى جعلت تحت كل شعرة فى
جسدك صبرا لما كنت تطيق بعض ما فى جسدك من الالم فعند ذلك قال رب انى مسنى
الضر وانت ارحم الراحمين (قال) الله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم وقال تعالى
فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر (قال) السدى لما قال ايوب رب انى مسنى الضر
علم الله تعالى انه قد جزع لاجل الله تعالى فجاء اليه جبرائيل عليه السلام برمانة من
الجنة وقيل بسفرجلة وقابل ايوب فقال له ايوب من انت ايها العبد الصالح الذى انست
بك من بعد ما نفرت عنى الاصحاب والاحباب فدنا منه جبرائيل وناوله تلك الرمانة فلما
اكلها ونزلت فى جوفه ذهب عنه الالم الذى فى جسده جميعه فقال له جبرائيل يا ايوب
قم فقال وكيف اقوم ولم يبق لى حيل ولا قوة فأخذ جبرائيل بيده ومشى به نحو اثنى عشر
خطوة وقال له اركض برجلك اليسرى فركض بها فظهرت له عين ماء حار ثم قال له
اركض برجلك اليمنى فظهرت له هناك عين ماء بارد فقال له جبرائيل اغتسل فى الحار
واشرب من البارد فلما شرب واغتسل عاد اليه حسنه وجماله وصار جسده كالفضة
النقية ثم اتاه جبرائيل بحلة من الجنة والبسه اياها وتوجه بتاج من الجنة فصار ايوب
يزهو كالشمس المضيئة فعند ذلك صلى ايوب ركعتين شكر الله تعالى على نعمه
ورضائه وقد قيل فى المعنى

ماضاق بالمرء امر فاستعد له * عبادة الله الا جاءه الفرج
وما الم بباب الله ذو تعب * الا تزحزح عنه الهم والحرج

(قال) وهب بن منبه لما اغتسل ايوب من تلك العين تناثر منه الالم وصار فراشا من
ذهب وطار فى الآفاق فصار نعمة بعد ان كان بلاء (قال السدى ان اليوم الذى اغتسل
فيه ايوب وشفى كان يوم النيروز فلذلك تجد الاقباط تتراشش بالماء يوم النيروز وقال
وكانت رحمة غائبة فى طلب القوت لايوب فتعرض لها ابليس فى الطريق وقال لها يا رحمة
الى متى هذا التعب والجهد العظيم فى حق من لا يخلص من البلاء والمرض وقد وعدك
اذا عوفى ليجلدنك مائة جلدة فلم تلتفت رحمة الى كلامه واقبلت نحو ايوب فجعلت
تطوف عليه فى الفضاء فلم تجده فأخذت تنادى وتقول يا ايوب هل اكلتك السباع
ام بلعتك الارض ثم ان ايوب نادى رحمة فقال لها يا جارية ما تطلبين قالت اريد الصابر
قال وكان ايوب لابس الحلل وعلى رأسه التاج وعنده عين ماء وهو عند روضة فى خير
وعافيه فاشتبه على رحمة حاله لانه كان فى بلاء وعناء فلم تعرفه فقال لها ايوب هل لك

فى أيوب علامة تعرفه بها فتأملته فقالت انك تشبه ايوب فضحك فى وجهها وقال انا ايوب وقد دعانى ربى فنزل جبرائيل واشار الى داره فعمرت واحى الله تعالى له اولاده ورد عليه مواشيه وزروعه ونسى ايوب ما كان قاساه من البلاء والمحنة فى السبع سنين وهو صابر وقد قيل فى المعنى

كن راضيا حكم الاله * عز وجل بلا وجل
وارض القضاء فانه * حتم اجل وله اجل

(قال) السدى لما عوفى ايوب من بلائه بقى متحيرا فى يمينه الذى حلفه وتوعد رحمة بالمائة جلدة فضاق صدره لذلك فأتاه جبرائيل وقال له يا ايوب خذ مائة عود من اصول السنبل واجمعها حزمة واضرب بها ضربة واحدة لرحمة فتخلص من اليمين ففعل ذلك ايوب وخلص من يمينه (قال) السدى واستمر ايوب فى نعمة حتى مات وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وقيل مائة سنة والله اعلم ولما مات دفن بحوران وكانت ام ايوب بنت لوط عليه السلام ولما مات ايوب سارت اولاده تسير على سيره من العبادة والطاعة وكان اكبرهم حوميل وبعده مقبل ورشد ورشيد وبشير وكان فى زمانهم ملك يقال له لام بن دعام وهو من ملوك الشام (ذكر قصة ذى الكفل قال) كعب الاحبار لما قبض الله تعالى ايوب عليه السلام تغلب على اولاده الملك لام بن دعام فارسل هذا الملك الى اولاد ايوب ايزوجوه باختهم بنت ايوب فارسلوا اليه وقالوا ليس فى ديننا ان نزوجك وانت على الكفر فان احببت فادخل فى ديننا فنزوجك اياها فلما سمع ذلك الملك هددهم وعزم على قتالهم فبلغ ذلك اولاد ايوب فمنهم من اشار بقتاله ومنهم من اشار بمداراته بالمواعيد فعند ذلك قال حوميل بن ايوب لابد من قتاله وحربه فلما جمع الملك جنوده وبرز للقتال برز اولاد ايوب بمن معهم من المؤمنين والتقى الجيشان واقتتلا قتالا شديدا فوقعت الهزيمة فى جيش حوميل بن ايوب واحتوى لام على جميع اموالهم واملاكهم واسر من قومهم ناسا كثيرا وفيهم بشير بن ايوب فهم الملك بصلبه ثم امهله وامر بحبسه يريد الفدية فاراد اخوه حوميل ان يرسل له الفدية فرأى فى منامه قائلا يقول يا حوميل لا ترسل الفدية ولا تخف على اخيك وان هذا الملك سيؤمن وتكون عاقبته الى خير فقص الرؤيا على من كان عنده ورجع عن اعطائه الفدية فبلغ الملك لام هذا الكلام فغضب غضبا شديدا فامر ان يتخذ خندقا ويجعل فيه النار ليحرق بشير بن ايوب فعند ذلك احضر الجنود النار واوقدوها واحتملوا بشيرا والقوه فيها فلم تحرقه النار فتعجب الملك لام من ذلك وقال ان هذا السحر عظيم فقال له بشير ايها الملك لسنا ساحرين وقد كان لنا جد يقال له ابراهيم الخليل فعل به النمرود

كذلك فلم تحرقه النار وجعلها الله عليه بردا وسلاما وكذلك يفعل الله بأولاده فعند ذلك
رق قلب الملك وعلم الحق فأسلم وآمن واجتمعوا على الاسلام فزوجوه بأختهم وسمى الملك
بشيرا ذا الكفل لانه لما اراد الملك الفدية تكفل بشير بايصال الفدية اليه من اخوته
ثم ان حوميل ارسل اخاه ذا الكفل رسولا الى جميع اهل الشام باذن الله تعالى وكان
الملك لام بين يديه يقاتل الكفار فلم يزالوا على ذلك حتى مات حوميل ثم مات بشير
وذو الكفل ثم مات بعدهم الملك لام بن دعام فتغلب على اهل الشام العمالقة الى ان
بعث الله شعيبا انتهى على سبيل الاختصار (ذكر قصة نبي الله شعيب) عليه السلام
قال كعب الاحبار ان اسماء ملوك مدين منهم ابوجاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص
وقرشت وهم قوم من العمالقة وقال ابن عباس رضى الله عنه معنى ابى جاد ابى آدم
خالف الطاعة ظاهرا باكل الشجرة ومعنى هوز اول من نزل الى الارض ومعنى
حطى حطت عنه ذنوبه بالتوبة ومعنى كلمن اكل من الشجرة ومن عليه ربه بالمغفرة ومعنى
سعفص عصى آدم ربه فأخرجه من النعمة الى النكد ومعنى قرشت اقر بالذنب وسلم من
العقوبة وقال قتادة هى اسماء ملوك اصحاب الايكة قال كعب الاحبار ان مدين بن ابراهيم
عاش عمرا طويلا وكان له امرأة من العمالقة فولدت له اربعة بنين فتزوجوا وتوالدوا
فصار منهم خلق كثير فدعا مدين بكبراء نسله وجمعهم عنده وقال لهم انكم كثرتم
والراى عندى ان تبنوا لكم مدينة كبيرة حصينة حتى لا تخافوا على انفسكم من
العمالقة قال فبنوا مدينة وحصنوها وسموها باسم جدهم مدين وجعلوا فيها محلات
وجعلوا لكل قبيلة محلا فرغبت العمالقة فى مجاورتهم فلم تسعهم فخرجت
العمالقة من مدين ونزلوا بالايكة وهى قرية قريبة من مدين فكان اهل مدين
يعبدون الله واهل الايكة يعبدون الاصنام ولا يغير بعضهم على بعض وكان فى المدينة
رجل من عبادهم يقال له صنعون وهو والد شعيب وكان تحت صنعون امرأة من
العمالقة فولدت له ولدا وهو شعيب واسمه يبرون لما كان غلاما وكان سبب تسميته
شعيبا ان والده لما كبر سنه وضعف خاف على نفسه من كثرة القوم فرجى ان يسعفه
ولده فكان صنعون يقول اللهم بارك فى شعيى اى ولدى فتغلب عليه اسم شعيب فقيل
له شعيب وسقط عنه الاسم الاول ثم توفى ابوه صنعون فقام شعيب مقام ابيه وفاق
بالزهد والعبادة على اهل زمانه من اهل مدين واشتهر بذلك قال وكان اهل مدين اصحاب
تجارات يشترون الحنطة والشعير وغير ذلك من الحبوب ويخزنونها عندهم ويتربصون بها
لاجل الغلا فهم اول المحتكرين وكان لهم مكيالان مكيال واف لاجل الشراء ومكيال ناقص
لاجل البيع وميزانان ايضا كذلك فكانوا على ذلك مدة وشعيب لا يعاشرهم ولا

يداخلهم وكان له غنم ورثها من أبيه يأكل من لبنها حلالا طيبا فبينما هو جالس على
باب داره يذكر الله اذ اقبل عليه رجل غريب فسلم عليه وقال يا شعيب أنت رجل
صالح واني اشتريت من رجل مائة كيل من الطعام بمائة دينار فأخذتها واكتلتها
نقصت عشرون كيلا والتمس من شعيب أن يساعده عليهم فعند ذلك توجه شعيب معه
الى القوم فسألهم عن قضية المشتري فقالوا الم تعلم يا شعيب ان ذلك سنتنا نأخذ بالوافر
ونعطي بالناقص فقال شعيب ليس هذا من سنة الله فاتقوا الله واعطوا الرجل حقه فلما
راوه على غير سنتهم سبوه وكذبوه وجفوه (مبعث شعيب عليه السلام) * فنزل عليه
جبرائيل في الحال فقال له السلام عليك فقال له وعليك السلام من انت فاخبره
جبرائيل ان الله اطلع على سريرته ويأمره ان يكون رسولا الى أهل مدين وأصحاب
الايكة وغيرهم ممن يعبد الاصنام ويأمرهم بطاعة الله ويحذرهم بأسه ونقمه
وينهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان فتوجه شعيب الى ما أمره
الله به حتى اتى الى القوم فقال يا قوم اعبدوا لله وحده واتركوا عبادة الاصنام
فان الله ارسلني اليكم لانهاكم عن معصيته واحذركم نقمه وانهاكم عن بخس
المكيال والميزان وذلك قوله تعالى يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان فقالوا يا شعيب لم نكن نترك ما يعبد آباؤنا أو ان نفعل في اموالنا
ما نشاء وليس معك حجة وقد عرفناك وعرفنا اباك ولو شئنا لاخرجناك ولكنا لا نفعل
ذلك حتى نجتمع نحن وبنو اسرائيل ونشكو لهم سوء فعلك قال فانصرف عنهم بعد
كلام كثير ثم عاد اليهم في اليوم الثاني وقد اجتمعوا ومعهم ملكهم ابو جاد فوقف
عليهم وخطب ونهاهم عن عبادة الاصنام وبخس المكيال والميزان فقال له قومه
ما نفقه كثيرا مما تقول ثم عاد اليهم فقالوا انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك
وما انت علينا بعزيز قال فأخذ القوم بالاستهزاء فقال اعملوا على مكانتكم اني
عامل وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب فارتقبوا اني معكم رقيب
قال واقبل عليه سادات قومه من اهل مدين والايكة وقالوا يا شعيب انك رجل ترجع
الى حسب ونسب والى عفاف عرفناك به فان كنت تريد الرياسة والاموال شاركناك
بها واترك ذكر آلهتنا الابخير فقال لا اريد منكم شيئا من ذلك وانما اريد ان انصحكم وان
لا تعبدوا ما لا ينفعكم ولا يضركم وان تعطوا كل ذي حق حقه فعند ذلك احتمله القوم
جميعا وجاؤا به الى ابي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت واجتمع الناس ليسمعوا
ما يجري بينهم فأمرهم شعيب ونهاهم وحذرهم فذكرلهم ما نزل بقوم نوح من الغرق
وبقوم هود من الريح وبقوم صالح من الدمدمة وبقوم ابراهيم من الزلازل والبعوض

ويقوم لوما من الانقلاب ورسال الحجارة عليهم فقال لهم ياشعيب ان كان الامر كما تقول فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين (قال) الكسائي لما انصرف شعيب أتاه وزير من وزراء الملوك وآمن به سرا وكتب عنده شعرا قاله حين اسلم

شعيب بن صفون اتى برسالة * ونحن بها من دون رهط ابي عمر
بحق اتاهم صادقا فغدوا به * وجاؤا عليه بالعظيم من الكفر
فلما رأيت القوم صدوا واعرضوا * عن الحق والانذار ضاق بهم صدري
فجئت شعيبا تابعا ومصدقا * لا رجو ثواب الله في آخر العمر

ثم بعد ذلك قالوا كلهم ياشعيب الذي تقول قال نعم قالوا ان نطقت الاصنام بصدق ماتقول تكن قد جئت بالحق فرضي القوم بذلك لانهم ظنوا ان اصنامهم لا تنطق بمثل مايريد شعيب فتقدم شعيب الى الاصنام فقال من ربكم ومن انا فتكلمي باذن الله تعالى فانطقها الله الذي انطق كل شئ فقالت الاصنام ربنا الله ورب كل شئ وخالقنا وخالق كل شئ وانت ياشعيب رسول الله ونبيه وتنكست عن سرائرها ولم يبق منها صنم جالس الا انتكس فلم يصدقوه فارسل الله على قوم شعيب ريحا كادت تنسفهم نسفا فبادروا مسرعين الى منازلهم من شدة الريح وآمن بشعيب في ذلك اليوم خلق كثير رجال ونساء فارسل الملك يهدد من آمن فقال شعيب لا تخافوا فأمر الملك ابو جاد اعوانه ان يترصدوا شعيبا ومن آمن به ويقتلوهم فعند ذلك قال شعيب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين واذا بريح قد هاجت عليهم فيها حر وكرب لا طاقة لهم بها فرمى القوم انفسهم في الابار والسراديب ودام عليهم مدة وهم لا يزدادون الا عتوا ونفورا وشعيب يحذرهم فيقولون هذا من فعل آلهتكم فاصبروا فارسل الله عليهم الذباب الازرق يلدغهم كلدغ العقارب وربما قتل اولادهم واشغلهم الله بانفسهم عن اذى شعيب ومن آمن به وهم لا يؤمنون فهبت عليهم ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان الى مكان ليجدوا لهم فرجا من الكرب وشعيب يناديهم الى اين تهربون فليس لكم الا التوبة فيقولون ياشعيب نحن نكفر بك وبربك فزدنا مما نحن فيه واذ بسحابة سوداء قد اظلتهم فنصبوا لهم ظلة واستظلوا بها جميعا فاظلمت الارض عليهم حتى صاروا لم يبصر بعضهم بعضا واشتد عليهم الحر فاوحى الله الى شعيب ان اخرج انت وقومك واعتزلهم وانظر كيف يحل عذابي بهم ثم زمت السحابة بوجهها وحرها وضربت القوم بعضهم في بعض واضرمت فأحرقت جلودهم واكبادهم وجميع ما كان على وجه الارض والمؤمنون ينظرون اليهم ولم يصل شئ من العذاب الى المؤمنين فذلك قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة يعني صيحة جبرائيل فأصبحوا

في ديارهم جاثمين فاقبلت اخت الملك كلمن وكانت قد آمنت بشعيب فابصرت اهلها فوجدتهم قد نضجت جلودهم وجاء شعيب فقسم اموالهم على قومه المؤمنين وتزوج بامرأة من المؤمنين ورزقه الله رزقا حسنا ولم يزل مقيما بأرض مدين حتى كف بصره وجاء موسى فتزوج بابنته انتهى على سبيل الاختصار

(قصة موسى بن عمران عليه السلام) (قال) وهب بن منبه لما امات الله الريان بن الوليد ملك مصر وكان مكرما عند بني اسرائيل وكانوا يعبدون الله علانية فلك بعده ابنه سنجاب (قال) وكان بمصر رجل يقال له مصعب يرعى الغنم وكان له من العمر مائة وسبعون سنة ولم يرزق ولدا فرأى بقرة وضعت عجلا فحدها فانطق الله البقرة فقالت يامصعب سيولد لك ولد ذكر ويكون من اركان جهنم فواقع زوجته فحملت بفرعون ومات مصعب قبل ولادة زوجته فلما ولدت من بعده اتت بالوليد بن مصعب فلما كبر وبلغ سلمته امه الى النجارين فتعلم صنعة النجارة واتقنها ثم ولع بالقمار ولم يكن له صبر عنه فعاتبته امه بذلك فقال يا امي كفي عني فاني عون نفسي فلزمه هذا اللقب فلم يكن يعرف الا بعون فلا زال يقامر ويغلب حتى لم يبق عليه ثوب فتستر بخرقة لا تواريه فاستحى من الناس فهرب على وجهه فقيل فرعون وغاب مدة ورجع فرأى لزوم هذا الاسم له فقالت له امه هل تريد ان تشتغل بالنجارة قال لها لا ارضى الا بما تريده نفسي فوجد معه درهما فاشترى به بطيخا وجلس على قارعة الطريق ليبيعه واذا بعريف الطريق طلب منه درهما فقال فرعون ياهذا ليس معي الا شئ قيمته درهم فقال امر الملك ان يؤخذ من كل بائع درهما فغضب فرعون وخلا رحله ومضى وجعل يدور بأرض مصر ينقب ويسرق فيهرب مرة ويحبس مرة فاتفق ان رجلا من العمالقة ركض به فرسه فلم يقدران يضبطه فوثب فرعون الى الفرس وضبطه بلجامه واوقفه فقال العماقي يافرعون اراك قويا فلو اقمت عندي لاتخذتك سايسا فرضي فرعون واقام عند العماقي مدة يخدمه حتى مات العماقي ولم يخلف احدا من الورثة فاحتوى فرعون على جميع ماله وحمله الى امه ولم يزل فرعون ينفق من ذلك المال حتى نفذ منه ووقع في قلب فرعون ان يقعد على باب مقابر مصر ويطالب ارباب الجنائز بشئ ويظهر انه بأمر الملك فلم يزل كذلك مدة حتى بسط له بساطا وجعل له خادما وكان الناس يعطوه فجمع من ذلك مالا عظيما حتى مات للملك بنت فتعلق بجنازتها فرعون فاخبروا الملك بذلك فاستدعاه فحضر ودعا للملك وقص عليه قصته فهم الملك بقتله فافدى نفسه بمال جزيل فطابت نفس الملك بالمال واراد ان يقره على عمله فنهته ارباب دولته وقالوا له هذا امر قبيح فعله وذكره بين الملوك مذمة فقال فرعون للملك اني قوى على ان يكون

امر الحرس فى يدى وكان الملك كثير الاعداء فخلع الملك عليه وجعله اميناً على الحرس فاتخذ فرعون قبة فى وسط البلد وجعل له اعواناً للحرس شداد البأس *(قال)* فرأى الملك فى منامه ان عقرباً اسود له شعاع قد ملأ المدينة لدغ الملك فافاق الملك من منامه مرعوباً فركب بالليل وقصد وزيراً من وزرائه ليخبره بما رأى فرآه فرعون فأخذه الى القبة فقص الملك لفرعون ما رأى فعند ذلك اخذ فرعون سيفاً وقتل الملك سراً وركب فرعون وقصد قصر الملك فجلس على السرير ووضع التاج على رأسه وفتح الخزائن واستدعى بالوزراء واصلحهم بالمال ودانوا له فأول من دخل عليه وسجد بين يديه هامان وكان غلاماً لسنجاب قال كعب الاحبار اول من سجد بين يديه ابليس اللعين واول من سماه الهاً وربا ثم سجد هامان والوزراء والاعوان والكهنة ثم بعث فرعون الى اسباط بنى اسرائيل فدعاهم الى الطاعة فأقبلوا وسجدوا بين يديه وقصدوا بالسجود سر الله المعبود قال فجاء ابليس على الصورة التى سجد بها لفرعون فقال ايها الملك انا اتخذ لك صنماً تنفرد به ولقومك اصناماً فقال افعل ما بدا لك وامر فرعون باتخاذ الاصنام وبعبادتها وكان بنو اسرائيل يعبدون الله سراً ❊ (قصة آسية بنت مزاحم) ❊ قال كعب الاحبار ان آسية كان ابوها مزاحم قد تزوج بأمها فى الليلة التى اقترن سعد الكواكب بالزهرة فحملت امرأة مزاحم بآسية فرأى مزاحم فى منامه كأن شجرة خضراء خرجت من ظهره واذا بغراب قد انقض عليها وقال انا صاحب هذه الشجرة فانتبه مزاحم وقص ذلك على بعض صلحاء المعبرين فقال ترزق جارية حسناء صديقة وتكون عند رجل كافر وترزق الشهادة فلما ولدت آسية وصار لها من العمر عشرين سنة واذا هى بطائر مثل الحمامة وفى فمه درة فرمى بها فى حجر آسية وقال يا آسية خذى هذه الخرزة فاذا اخضرت فهو اوان تزويجك واذا احمرت فهو وقت الشهادة ثم طار الطائر فأخذت الخرزة وربطتها على عضدها واخذت فى العبادة واشتهر امرها بالخيرات فوصفت لفرعون فأحب ان يتزوجها فخطبها من ابيها فاغتم ابوها لذلك وقال ان ابنتى صغيرة فكذبه فرعون فقال مزاحم اجعل لها مهراً فأبى فرعون فتلطفوا بفرعون الى ان ارسل اليها خلعة ومهراً فتلطفوا بها لاجل مداراة فرعون وقال لها انت على دينك وهو على دينه وكان قدر مهرها عشرة آلاف اوقية من الذهب ومثلها من الفضة وبنى لها قبة عظيمة وجعل لها جوارى كثيرة وامر بذبح البقر والغنم فلما صارت عند فرعون دخل عليها وهم بها فلم يقدر على ذلك وكان هذا حاله معها فرضى بالنظر منها فقط

❊ (ذكر الآيات التى رآها فرعون) ❊ قال فبينما هو نائم فى قبة آسية اذ سمع هاتفاً يقول ويلك يا فرعون قد قرب زوال ملكك ويكون على يد فتى من بنى اسرائيل قال

فرعون

فرعون أما سمعت يا آسية قالت نعم (آية اخرى) فبينما هو ذات يوم نائم على سريره
واذا بشاب قد دخل عليه من غير حجاب وصحت الشاب اسد عظيم وبيده عصا وهو يضرب
بها راس فرعون وهو يقول انظر نفسك واين من انت واخذه برجله ورماه في البحر فلما
افاق استدعى بالمعبرين وقص عليهم القصة فقالوا اجلنا فاجلهم فلما خرجوا قالوا لبعضهم
هذه الرؤيا تدل على هلاكه فلما جاؤه خافوا منه فقالوا له اضغاث احلام (آية اخرى)
فلما كانت الليلة الثالثة راى ذلك الشاب قد اتاه وتلك العصا بيده فضرب بها راسه
وقال له ويلك يا فرعون ما اقل حياءك من اله السموات والارض ثم راى بعد ذلك ان
آسية صار لها جناحان فطارت بهما بين السماء والارض ودخلت في السماء وهو ينظر اليها
وراى الارض قد انفجرت فادخلته فيها فانتبه مرعوبا فجمع الكهنة وقص عليهم رؤياه
فقالوا ان هذه الرؤيا تدل على مولود يولد ويسلب ملكك ويزعم انه رسول اله السماء
والارض ويكون هلاكك وهلاك قومك على يديه (حديث قتل الاطفال) فاستشار
فرعون وزراءه وقومه فاشاروا ان يجعل على الحبالى حرسا فكل من حملت تحمل الى داره
ويكون ولادتها هنالك فان كان ذكرا قتله وان كانت انثى تركها ففعل ذلك حتى قتل
اثنى عشر الف طفل فضجت الملائكة الى ربها وقالوا الهنا وخالقنا انت الفعال لما
تريد فاوحى اليهم ان لهذا الامر اجلا محدودا فبشرهم بموسى وحمل امه به وكان فرعون
امر وزراءه وارباب دولته ان لا يفارقوه لان الكهنة قالت له ان هذا المولود يكون
من اقرب الناس اليك وكان عمران من جملة ارباب دولته الممنوعين عن مفارقته ايضا
فبينما عمران جالس على كرسيه اذ راى زوجته وقد حملها الملك وجاء بها الى جانب عمران
فواقعها وفرعون نائم لم يشعر فحملت تلك الليلة بموسى عليه السلام ثم اغتسلا من
حوض في دار فرعون واحتملها الملك وذهب بها الى مكانها وكل ذلك تحت الليل ولم يعلم
بذلك احد من الناس وكان فرعون عين نساء يطوفون في البلدة فكانوا يطوفون على
النساء جميعا الا امراة عمران لم يدخلوا عليها لعلمهم ان عمران لا يفارق فرعون فلما تم لحمله
تسعة اشهر اخذها الطلق في نصف الليل ولم يكن عندها احد الا اخته فوضعته ووجهه
بالنور يتلألأ ففرحت به وهي مكروبة خائفة عليه فتنكست الاصنام على رؤسها
واصبح فرعون مغموما مهموما فجد في طلب المولود واتفق ان الوزير هامان وقع في قلبه
ان الولادة في بيت عمران فأخذ معه الاعوان ودخل الى دار عمران فجعل هامان يفتش
الدار حتى لم يترك شيئا ونظر الى التنور فرآه يفور نارا وراى العجين بجانبه فلم يشك بذلك
وخرج وكانت ام موسى غائبة في حاجة لها خارج الدار فلما رجعت رات هامان وهو
راجع فأخذها الرعب على موسى فدخلت الى الدار ونظرت الى التنور فوجدته يفور

بالنار وكانت لما شوهدت وضعت موسى في التنور وجعلت عليه آلة الوقود حتى لا يراه احد عند دخوله فجعل الله عليه النار بردا وسلاما فنظرت ام موسى في التنور فوجدت ابنها سالما فأخرجته وارضعته ولما بلغ عمره تسعين يوما اوحى الله الى امه اذا خفت عليه ضعيه في تابوت وألقيه في اليم ولا تخافي انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فاقبلت امه الى نجار بمصر يقال له سونام وقالت اصنع لي تابوتا طوله كذا وعرضه كذا واحكمه لئلا يدخل اليه الماء ولا يخرج منه فصنعه واتقنه وسلمه الى ام موسى فعند ذلك ارضعت موسى وكحلته ودهنته ووضعته في التابوت وهي باكية حزينة وكان ابوه قدمات وعمره اربعون يوما واخذت التابوت ورمته في بحر النيل نصف الليل فأمر الله الملائكة بحفظه هذا وفرعون مشدد الطلب في امر النساء والاطفال ولم يكن له مجموع قيل انه بقي التابوت في الماء اربعين يوما وقيل ثلاثة ايام وقيل يوما واحدا وهو الاصح *(ذكر دخول التابوت لدار فرعون)* قال وكان لفرعون بنت برصاء وعجزت الاطباء عن مداواتها فقال الطبيب ايها الملك ليس لها دواء الا الاغتسال كل يوم بماء النيل فاتخذ خليجا من النيل الى داره واتفق ان ذلك التابوت قذفته الامواج باذن الله حتى ادخلته الى دار فرعون فبادرت البنت واخذت التابوت وفتحته فاذا فيه موسى فأخرجته بيدها فحين لمسته برئت من عاتها واقبلت بالتابوت الى آسية وذكرت لها قصته وكيف دخل وكيف شفيت به فأخرجته آسية وقبلته وهي لا تعلم انه ابن عمها فمضت به الى فرعون وقصت له قصته وكيف شفيت به البنت فقال يا آسية اخاف ان يكون هذا المولود عدوي ولا بد من قتله فقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا واهمل به فهو عندك فمتى تبين انه عدو اقتله *(قصة رضاعه)* ثم انهم اعرضوا عليه المراضع فلم يقبل ثم ان امه قالت لاخته كلثم اخرجي وخذي خبرا خولك فخرجت الى عند آسية لتأخذ خبره واذا هو في حجر آسية فقالت كلثم انا ادلكم على من يكفله لكم وذهبت الى امها واخبرتها بذلك فقامت من ساعتها ودخلت على فرعون وموسى بين يديه فعرفتها آسية انها امرأة عمها فقالت لها اعرضي عليه لبنك فلما اخذته امه ووجد رائحتها ارتضع منها فقال فرعون اري لك لبنا غزيرا فهل لك من ولد قالت وهل ترك الملك لاحد ولدا فظن ان ولدها قتل مع من قتل ولم يعلم انها امرأة عمران فقالت لها آسية احب ان تكوني عندي فأقامت عندها سنتين حتى استغنى عن الرضاع فلما همت امه على الانصراف امرت لها آسية بحمل من الذهب والثياب الفاخرة وذهبت غنية مستبشرة *(عجائب موسى صلى الله عليه وسلم)* فلما صار لموسى ثلاث سنين اقعده فرعون في حجره فمد موسى يده الى لحية فرعون ومعط منها خصلة فاغتاظ فرعون غيظا

شديد وقال هذا عدوي وهم بقتله فقالت له آسية ليس للصغار عقل ولا معرفة وانا آتيك بدليل وامرت باحضار طشت وجعلت فيه تمرة وجمرة وقدمته الى موسى فمد يده الى التمرة فحول جبرائيل يده الى الجمرة فرفعها الى فيه فأحرقت لسانه واخذ بالبكاء الشديد فسكن غيظ فرعون (آية اخرى) فلما تم لموسى سبع سنين كان قاعدا مع فرعون على سريره فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير غضبان وضرب برجله قوائم السرير فكسر منه قائمتين فسقط فرعون فانهشم انفه وسال الدم على وجهه فهم بقتله فقالت آسية الاسرك ان يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك اعداءك فسكن غضبه (آية اخرى) فلما صار لموسى من العمر اثنا عشر سنة قعد يوما على المائدة وعليها جمل مشوي فقال موسى له قم باذن الله فقام قائما على المائدة ففزع فرعون من ذلك ودخل على آسية فأخبرها بذلك فقالت الا يسرك ان يكون لك ولد يأتي بمثل هذه العجائب فسكن غضب فرعون (آية اخرى) فلما اتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج يوما توضأ ووقف يصلي فقال رجل من خواص الملك ياموسى لمن تصلي قال لسيدي ومولاي فقال الرجل تعني اباك فرعون قال صلى فرعون لعنة الله وعليه لعنة معه وكان ذلك داب موسى بامر فرعون وكل من اتى ليخبر فرعون بما يشتمه به موسى سلط الله عليه فرعون قبل الاخبار فمنهم من يقتله ومنهم من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار (آية اخرى) علم اهل مصر انه من اراد يوشي للملك بما يفعل موسى يتسلط عليه و يضره قبل ان يوشي فامتنعوا من ان يخبروا فرعون بشيء من فعل موسى الا بالجميل قال فلما صار لموسى اربعون سنة وبلغ اشده وكان موسى يذكر لبني اسرائيل ماعليه فرعون من الضلالة وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر و يبغض اهل الكفر (حديث القبطي) وكان طباخا لفرعون فاشترى حطبا فقربه فتى من بني اسرائيل ممن كان يجالس موسى فجذبه القبطي ليحمل الحطب فامتنع واستنصر بموسى فقال موسى خل سبيله فأبى القبطي فوكزه موسى في صدره فمات فندم موسى على قتل القبطي خوفا من الله فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له فلما اصبح في اليوم الثاني صار موسى خائفا من فرعون لان فرعون علم بذلك الامر فبينما موسى خائفا يترقب واذا الذي استنصره بالامس يستصرخه على قبطي آخر ابن اخي المقتول وكان هذا القبطي يطالب الاسرائيلي بدم عمه و يريد ان يأخذه الى فرعون فطلب الاسرائيلي من موسى ان يعينه على القبطي فقال موسى للاسرائيلي انك اغوى مبين اغويتني بالامس حتى قتلت رجلا وتريد اليوم ان تغويني لاقتل آخر فخزي الفتى من كلامه وعلم ان موسى ندم على مافعل بالامس وعلم القبطي ان الاسرائيلي لم يقتل عمه وانما قتله موسى فأطلق القبطي الاسرائيلي وجاء الى فرعون واخبره ان موسى قتل عمه فارسل

فرعون في طلب موسى واذن لاولياء المقتول ان يقتلوا موسى حيث وجدوه وكان رجل يسمى حزقيل مؤمنا من آل فرعون لما سمع ذلك اتى موسى وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج موسى خائفا الى نحو ارض مدين حافيا بغير زاد متوكلا على الله *(قصة موسى لما كان بأرض مدين)* فلما وصل موسى الى مدين في اليوم السادس وجد رعاة الغنم على بئر يسقون غنمهم واذا بامرأتين تذودان وهو قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان فقال موسى ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وباقي الماء لمواشينا وابونا شيخ كبير نبي هؤلاء القوم وهم يحسدونه على ما آتاه الله وكان الرعاة اذا فرغوا من السقي يضعون حجرا كبيرا على راس البئر لئلا يقدر احد على فتحه خوفا على اخذ شيء من الماء فصبر موسى حتى وضعوا الحجر وانصرفوا فقال موسى للمرأتين قربا اغنامكما الى الحوض ثم تقدم ورفع الصخرة عن راس البئر بيديه ولا يقدر على رفعها الاجم غفير اي رجال كثيرة وذلك مع ضعفه وجوعه فسقى لهما ثم تولى الى الظل تحت شجرة كانت هناك فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فتمنى موسى في ذلك الوقت قرصا من خبز الشعير فلما اتت المرأتان الى ابيهما وهو نبي الله شعيب (فقال) لهما انكما جئتما بسرعة وكان موسى قد سقى لهما فقصتا عليه خبر موسى (فقال) شعيب لاحداهما وكانت شديدة الحياء اذهبي فأتيني به فاقبلت الى موسى وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فقام موسى معها فكانت تمر بين يديه فكشف الريح عن ساقيها فقال لها موسى تأخري الى خلفي ودليني على الطريق فتأخرت فكانت تقول له عن يمينك عن يسارك قدامك حتى دخل مدين الى بيت شعيب فأذن له شعيب بالدخول فدخل فسلم عليه وجلس بين يديه فسأله شعيب ما الذي جاء بك الى ارض مدين فقص عليه موسى كما قال تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فدعى شعيب بالطعام فأكل وحمد الله تعالى فقالت احداهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (فكان) من قوته رفع الحجر عن البئر وكان لا يرفعها الا جمع من الرجال (وكان) من امانته تأخير المراة عنه لئلا ينظرها (فقال) شعيب يا موسى اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك فرضي موسى وقال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت من الثماني او العشر فلا عدوان علي اي لا سلطان علي فرضي شعيب (قال) فجمع شعيب المؤمنين من اهل مدين وزوجه ابنته صفورا بحضرتهم ثم ادخله عليها فلما اراد موسى الانصراف مع الغنم قال له شعيب ادخل الى هذا البيت وخذ عصا فدخل موسى ونظر الى عصا معلقة فأخذ

من جملتها عصا حمراء (قال) شعيب ارنى هذه العصا التى اخذتها ياموسى فلما لمسها شعيب
قال ضعها امكانها وخذ غيرها وارنى ما اخذت ففعل موسى ذلك مرارا فكان كلما
وضعها واخذ غيرها فلا يخرج بيده الا تلك العصا (فقال) شعيب ياموسى خذها فهى
من اشجار الجنة اهداها الله لآدم ياموسى وانى لموصيك بها فاحفظها وان اهل مدين
يحسدونى فيدلوك على مكان لا ماء فيه ولا مرعى فاعلم ذلك فخرج موسى بغنم شعيب وكانت
اربعمائة شاة فلا زالت تزيد مع موسى حتى صارت اربعين الفا وكان لا يجسر احد من
الرعاة ان يسقى قبل موسى (قال) فلما بلغ موسى الثمانى حجج قال له شعيب مهما جاء
من الغنم ذكور فى السنة التاسعة فهم لك وفى السنة العاشرة اناث فهى لك فأتت
الاغنام فى التاسعة بذكور خلص وفى العاشرة باناث خلص فسبحان الرزاق العليم فأخذ
الجميع موسى * (خروج موسى من ارض مدين) * فلما عزم موسى على الانصراف بكى
شعيب وقال ياموسى كنت مباركا على فكيف تخرج يا بنى وقد كبرت وضعف بصرى
وكثر حسادى وغنمى شاردة بغير راع (فقال) موسى طالت غيبتى عن امى واختى وخالتى
وقد تركتهم فى بلدة فرعون فقال شعيب اكره ان امنعك عن امك وهذه ابنتى معك
نعم الصاحب لك فكن بها شفيقا ونعم الرفيق انت وهى واوصاها كذلك ودعا لهما (قال)
فسار موسى باهله وولده وغنمه يريد ارض مصر فلما قرب الى وادى طوى بقرب
الطور وكان آخر النهار وقد هبت الرياح وسكب المطر وعظم البرد فأنزل موسى اهله
وضرب الخيمة على جانب الوادى وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق فى الحال فجمع
موسى حطبا واخرج زنادا وضرب بها فلم تور شيأ واجتهد فلم يحصل شرر فرمى بها وخرج
من الخيمة متحيرا فى امر النار فاغتم لذلك فنظر على بعد فاذا هو بنار تلوح فتوجه فى
طلبها فلما اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة يعنى من
عند الشجرة ولم تكن نارا بل نور فنودى ياموسى انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد
المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى الى قوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى قال
هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى وهذه المآرب كان
يعلق عليها كساه ويستظل بها ويقاتل بها السباع ويعلق عليها ازوادته قال الله تعالى
القها ياموسى فالقاها فاذا هى حية تسعى فلما رآها ولى مدبرا ولم يعقب فلما هرب قال
له جبرائيل اتهرب من ربك ياموسى وهو يكلمك فرجع موسى الى موضعه والحية
بحالها قال الله تعالى خذها ولا تخف فادخل يده فى كمه ليأخذها بكمه لانه خائف ان
تلدغه فقال جبرائيل ان اذن الله فى لسعها لك لا يغنى كمك فاخرج يده فأخذها فاذا هى
عصا قال الله تعالى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء فمد يده الى تحت

بيطه فخرجت بيضاء من غير برص (آية اخرى) مع العصا فآنس موسى وذهب عنه
الخوف وقال ياموسى انا اخترتك لرسالة لابعثك الى عبد من عبيدى بطر نعمتى وتسمى
باسمى وعبد غيرى قال موسى رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى
يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى الآية قال الله تعالى اقد أوتيت
سؤلك ياموسى (قيل) لما اشتد بابنة شعيب الطلق سمع بذلك سكان الوادى من
الجن فاجتمعوا اليها واوقدوا عندها النار وقبلوها حتى وضعت وانصرفوا عنها فلما رجع
موسى حمد الله وشكره وتوجه الى مصر (قال) سخر الله لابنة شعيب راعيا من ارض
مدين فعرفها فحملها الى ارض شعيب فلم تزل عنده حتى فرغ موسى من امر فرعون فبلغ
ذلك شعيبا فرد الى موسى زوجته *(ذكر دخول موسى الى مصر)* فأوحى الله
الى هارون اخى موسى بقدوم موسى وهو يومئذ وزير فرعون وكان فرعون لا يفارقه
ليلا ولا نهارا فأوحى الله اليه فى المنام ان اخاك موسى قدم من ارض مدين رسولا وانت
شريكه فى الرسالة الى فرعون فانتبه هارون خائفا وظن انه من الشيطان وعاد الى
منامه فعاد اليه القائل كذلك ثلاث مرات ثم قال له قم الى اخيك وكانت الابواب مغلقة
فاحتمله الملك الى قارعة الطريق وقال له امض ياهارون واستقبل اخاك فكان الريح
يلقى الى موسى كلام هارون والى هارون كلام موسى حتى اجتمعا فبشر موسى اخاه
هارون بالرسالة ثم اقبل يريدان أمهما فقال هارون انى اخاف ان يعلم بنا احد فقال
موسى لا تخف قد قال الله تعالى اننى معكما اسمع وارى فلما وصلا الى باب امهما قرعا الباب
ودخلا ليلا فلما رأت امهما انهما اجتمعا عندها غشى عليها فلما افاقت قص موسى
عليها قصته جميعها وانه رسول الله الى فرعون وقومه فسجدت لله شكرا فبات موسى تلك
الليلة عند أمه فلما كانت الليلة الثانية اخذ موسى عصاه ومضى فما كان يضرب بها
بابا الا وفتح حتى فتح كذا وكذا بابا حتى صار فى قبة فرعون فالتقاه نائما واخوه عند رأسه
جالس على كرسى فلما رآه هارون قام اليه وقال ياموسى افى مثل هذا الوقت
وفى مثل هذا المحل يكون الكلام اذهب فكل مقام له مقال فذهب موسى هذا وفرعون
نائم لا يشعر فلما اصبح الصباح اتى موسى الى فرعون فمن القوم من عرفه ومنهم من لم
يعرفه فاخبر الناس فرعون بقدوم موسى فقالوا رجل طويل اسمر كث اللحية عليه
جبة صوف وفى رجليه نعل مخصوف وفى يده عصا حمراء فعند ذلك اصفر وجه فرعون
وارتعدت قوائمه وخاف خوفا شديدا فأمر هامان ان يحبس موسى وقال فرعون لاخيه
هارون لاى شئ لم تعلمنى عن مجئ موسى فقال ايها الملك خفت ان اشوش عليك بخبره
والآن هو فى حبسك فاحضره بين يديك واسأله فيما جاء (مخاطبة موسى لفرعون)

قال فر بن فرعون قصره وكشف عن جواهر سريره واستدعى بكبراء قومه واوقف هارون عن يمينه وهامان عن شماله على العادة واحضر موسى فكانت تقول بنو اسرائيل لا شك بأن يقتل فرعون موسى فلما حضر موسى قال له فرعون مجاهلا من انت قال موسى انا عبد الله ورسوله وكلمته قال فرعون ياموسى انك عبد فرعون وابن عبده وابن امته قال موسى ان الله اعز من ان يكون له ند لا اله الا هو وقال فرعون الى من ارسلك ربك قال موسى اليك والى اهل مصر قال فرعون فيما ارسلت قال لتقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى موسى عبده ورسوله وهذا اخى هارون معى رسولا اليكم انزل يا اخى وبلغ رسالة ربك فنزل هارون عن كرسيه وقال يا فرعون انا رسولا ربك اليك تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئا فبهت فرعون وتحير لما قال هارون ذلك لانه كان عنده بمنزلة عظيمة فعند ذلك غضب وقال لوزيره انزع ما كان على هارون من لباسه فجردوه عن اثوابه فبقى عريانا ولم يبق عليه شئ غير لباس عورته فنزع موسى مدرعته والبسها لاخيه هارون فقال فرعون لوزيره هامان خذهما اليك واذكرهما نعمتى وتربيتى وما صنعته معهما من الجميل فجاء بهما الى منزله واكرمهما فصار يعظهما هامان ويتلطف بهما ليدخلهما فى طاعة فرعون وهما يعظانه ليدخلاه فى طاعة الله فلم يقدر احد من الفريقين على اطاعة صاحبه (قال) فاحضرهما فرعون بعد ذلك وقال لموسى الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الآية الى قوله تعالى وجعلنى من المرسلين اليك وقال موسى يافرعون جعلت بنى اسرئيل عبيدا لك تذبح ابناءهم وتستحى نساءهم فجلس فرعون وكان متكئا فغضب وقال فأت بآية ان كنت من الصادقين فاضطربت العصا فى كف موسى فالقاها فاذا هى ثعبان مبين فأمارآها فرعون ومن حوله فروا هاربين فكان لهم ضجة عظيمة فكانوا اول من هرب فرعون وتبعه القوم فقال ان هذا السحر عظيم فارسل فرعون فاحضر السحرة واوعدهم بمال جزيل ان كانوا هم الغالبين فجمعوا حبالا وعصيا فجعلوا بين كل حبلين عصا وبين كل عصوين حبلا واجتمع الناس من المدينة والمدائن اللاتى حولها فكانوا حلقا عظيما وكان ذلك اليوم يوم الزينة فاحضروا موسى وهارون فكانت الحبال والعصى يمشى بعضها فى بعض وجاؤا بسحر عظيم فامتلا الوادى من الحيات فصارت تركب بعضها بعضا فاوجس فى نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف انك انت الاعلى فالق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا فالقى موسى عصاه فصارت حية لها سبعة رؤس فابتلعت جميع تلك الحبال والعصى وجميع زينة القوم فوقع الخوف بين القوم فوقف فرعون ووزراؤه على تل عال لينظر آخر ما تفعل الحية فاخذت الحية نحو القوم فولوا هاربين فقال كبرا السحرة

وكان مكفوف البصر هل تجدون العصا منفوخة ام لا فقالوا على حالها لم تتغير فقال لو كان
فيها سحر لانتفخت ولكنه صادق بانه رسول الله فآمنوا وقالوا انا آمنا برب موسى
وهارون ثم خروا سجدا لله رب العالمين فامر فرعون بقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وامر
بصلبهم اجمعين فقالوا يا فرعون نرضى بعذاب الدنيا فانه ينقضي ولا نرضى بعذاب الآخرة
فانه لا ينقضي وكانوا سبعين رجلا (ذكر الآيات التسع) قال الله تعالى وارسلنا عليهم
الطوفان فدام عليهم ثمانية ايام بلياليها فكانوا لا يرون فيها شمسا ولا قمرا حتى امتلات
الدور والاسواق ماء فاخذت الارض في الخراب فجاء القوم الى فرعون فقال لهم انصرفوا
انا اكشفها عنكم فدعا فرعون بموسى وساله ان يدعو برفع الطوفان فدعا موسى الله
تعالى فرفع الله الطوفان وكان موسى دعا الله برفعه رجاء ان يؤمن فرعون فلما لم يؤمن
ارسل الله عليهم الجراد فاكل اشجارهم وزروعهم ودام عليهم ثمانية ايام ففزعوا الى
فرعون فاوعدهم بصرفه عنهم فدعا فرعون بموسى وقال ان صرفت الجراد نؤمن بك
فدعا موسى ربه رجاء في ايمانهم فارسل الله على الجراد ريحا باردة فهلك الجراد عن آخره
فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم القمل فاكل جميع ما في بيوتهم وجميع ما على الارض ووقع
في ثيابهم فقرضها وقرض ابدانهم وشعورهم فضجوا الى فرعون فصرفهم ثم دعا بموسى
ووعده بالايمان فدعا موسى ربه فصرفه عنهم فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع
فكانت اشد بلاء لانها كانت تقع في طعامهم وقدورهم وبين ثيابهم وفرشهم وكان لها
رائحة كريهة فبقوا على ذلك ثمانية ايام فرجعوا الى فرعون وفرعون رجع الى موسى
فدعا موسى ربه في كشف ذلك فصرفه الله عنهم وارسل اليهم مطرا فجرفها الى البحر
فلم يؤمنوا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك النيل فضرب به موسى بعصاه فصار دما
عبيطا فاشتد بهم العطش حتى اشرفوا على الهلاك فكان يمضي الفرعوني والاسرائيلي الى
النيل الى موضع واحد فيغرف الفرعوني منه فيكون دما ويغرف الاسرائيلي ماء فلم
يؤمنوا فضمن فرعون لموسى ايمانهم فدعا الله فكشفه عنهم فلم يؤمنوا فكان ذلك
اربعين يوما بين كل آيتين ثمانية ايام ثم ان موسى قال يا رب انك آتيت فرعون وملاه
زينة واموالا في الحياة الدنيا الآية فكان الدعاء من موسى والتامين من هارون فاوحى
الله اليهما اني قد استجيبت دعوتكما فاستقيما على رسالتي فطمس على كثير منهم فاصبح
بعض من الرجال والنساء والصبيان حجارة وكذلك اسواقهم وما كان فيها فذلك قوله
تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات *(قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه)* في
التفسير كان اول الآيات العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمس والبحر حين صار يبسا ثم اخرج عمر خريطة فيها دنانير ودراهم وجواهر

وحنطة

وحنطة وشعير وارز وحمص وعدس وماش ولوبية وقد مسخ جميعه وقت الطمس
(حديث قتل الماشطة وقتل آسية رحمة الله عليهما ورضوانه) قال وكان لبنت فرعون ماشطة فكان يوضع تحتها البنت فرعون كرسي من الذهب والمشط من الذهب تمشطها به اذ وقع المشط من يدها يوما فقالت تعس من كفر بالله فغضبت البنت واخبرت فرعون فغضب واحضر الماشطة فاستخبرها فقالت وحق الحق انا مؤمنة باله موسى فعند ذلك امر بالقاء الماشطة الى الارض وبتسمير يديها ورجليها بمسامير في الارض واتى باولاد الماشطة فقال فرعون ان آمنتي بي اطلقتك والا ذبحت اولادك على صدرك فابت فذبح اولادها على صدرها وهي تقول الحمد لله ثم بعد ذلك وضعها في صندوق من حديد محمي بنار فماتت في ذلك الصندوق وكان معدا لمن آمن بالله فيحميه ويضع فيه من آمن بالله الى ان يموت فرأت آسية الملائكة تنزل من السماء وتتباشر بقدوم الماشطة على ربها وبايديهم الكرامات لها فقامت آسية من وقتها وساعتها وقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله وكان فرعون مغموما على قتل الماشطة فلم يشعر الا وآسية عنده حاسرة عن وجهها وهي كالولهانة فقالت له ياملعون الى كم اصبر وانت تقتل اولياء الله حتى وصلت الى الماشطة ولم ترع حقها ياملعون الى كم تأكل رزق الله وتكفر به ولا تشكره والى كم ترى من الآيات ولم تعتبر فصاح فرعون فاجتمع اليه وزراؤه وحجابه فقال انظروا الى فعل موسى وهارون كيف فعل بنا وبقومنا وباهلنا وافسدهم علينا بسحره ولم ابال بسحره ولكن صعب على حال آسية لكرامتها عندي ولا ادري كيف وصل اليها سحر موسى فسألها فرعون ان ترجع الى امها اليه ذهب ما بها من الجنون فابت فجعلوا يتلطفون بها فجاءت امها ونصحتها فابت وهي توحد الله وتشهد ان موسى رسوله فقالت الوزراء لفرعون ان لم تقتلها افسدت عليك جميع قومك فامر فرعون فصنع بها مثل ما صنع بالماشطة فنزل في الحال جبرائيل فبشرها بالجنة وناولها كاسا فشربت منه وبشرها بانها تكون زوجة محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة فماتت من غير تألم رضي الله عنها وارضاها (حديث غرق فرعون في البحر) روى ان الله تعالى اهبط جبرائيل على صورة آدمي حسن اللباس فدخل على فرعون فقال له فرعون من انت فقال عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدي ملكته من نعمتي واحسنت اليه كثيرا فاستكبر على وبغى وجحد وتسمى باسمي وادعى في جميع ما انعمت عليه انه له واني لست المنعم عليه قال فرعون بئس ذلك العبد من عبد قال له جبرائيل فما جزاؤه عندك قال جزاؤه ان يغرق في هذا البحر قال له جبرائيل اسألك ان تكتب لي بخطك ذلك فكتب له فاخذه جبرائيل وخرج الى موسى فاخبره بذلك (وقال)

ياموسى ان الله يأمرك ان ترحل من موضعك فنادى موسى فى بنى اسرائيل وامرهم
بالرحيل فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة الف فلما سمع فرعون بارتحال موسى وقومه نادى
فى جنوده فاجتمعوا وكانوا لا يحصون لكثرتهم ولحقوا موسى لانهم اعتقدوا انه هرب
فلحقوه فادركوه فقال بنو اسرائيل ياموسى ادركنا فرعون بجنوده فقال موسى كلا ان
معى ربى سيهدين فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فكان كل فرق
كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا للاسباط الاثنى عشر وجعلوا يسيرون ويرى
بعضهم بعضا وموسى بين ايديهم وهارون من ورائهم حتى دخلوا البحر جميعهم فاقبل
فرعون وهامان عن يمينه ووزراؤه وجنوده خلفه فنظر الى البحر والى تلك الطرق
فوجدها يابسة فحدثته نفسه فى الدخول وعدمه وهم بالدخول فابت فرسه من
الدخول واذا بجبرائيل عليه السلام راكب رمكة فدخل فى اثره فرس فرعون طالبا فى
الرمكة (قال) فدخلوا اجمعين فرعون وقومه حتى لم يبق منهم احد الى الساحل
فانطبق عليهم الماء واذا بجبرائيل عليه السلام ومعه الصحيفة التى كتبها فرعون
فاعطاها له فلما قراها علم انه هالك (قال) فلما استيقن فرعون بالهلاك قال
آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل الى قوله الآن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين (وقوله تعالى) فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يعنى
انجى الله جثته واخرجها الى البر لان بنى اسرائيل كانوا فى شك من غرقه
فعلمت بنو اسرائيل انه غرق وغرقت قومه اجمعون واورثهم الله ارضهم وديارهم
(ثم ان الله تعالى) اوحى الى موسى ان يسير الى الارض المقدسة فان فيها قوما
يعبدون الاصنام وهى ارض فيها مواضع الانبياء فامر موسى قومه بالمسير معه اليها فقالوا
ياموسى ان الله بعثك واخرجك الينا لينجينا من فرعون والآن تحملنا ما هو اشق
علينا من فرعون ومعنا النساء والصبيان والزمنى والمشايخ وتلك البلاد مفاوز وليس
معنا زاد وبها الحر الشديد فاوحى الله الى موسى انى مظلهم بالغمام ومنزل عليهم المن
والسلوى وجعلت نعالهم لا تبلى وثيابهم كذلك وامرت الحجارة ان تتفجر لهم بالماء فعند ذلك
طابت نفوسهم وساروا مع موسى فوجدوا جميع ذلك من قدرة الله تعالى فاختار موسى
اثنا عشر رجلا فقال اريد ان تتوجهوا الى اريحا مدينة الجبارين لتأتونى بخبرها وخبر
اهلها واذا جئتم فاكتموا خبرها عن بنى اسرائيل فخرجوا ومعهم يوشع بن نون وكالب بن
يوقنا وساروا حتى اشرفوا عليها فرآهم رجل من الجبارين فساقهم حتى ادخلهم الى اريحا
فاجتمع عليهم اهلها فوجدوهم عظيمين الجثث طوالا وكانت بنو اسرائيل بالنسبة اليهم
صغارا لجثة ضعفاء فهموا بقتلهم فقال بعضهم لا تقتلوهم واجعلوهم لنا عبيدا فلما جاء

الليل

الليل هربوا فوصلوا الى واد يقال له وادي العنقود فاخذوا منه رمانة وعنقودا من
العنب فلما وصلوا الى بني اسرائيل اشاعوا ما ابصار لهم وما راوه من عظم خلقتهم فوقع
الخوف في قلوب بني اسرائيل فقالوا يا موسى ان مملكة فرعون كانت علينا اخف
مما نحن فيه من دخول مدينة الجبارين وانا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فقال موسى يا قوم لا ترتدوا على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين فابوا عن المسير معه الى اريحا الا القليل منهم فقال موسى رب اني
لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فاوحى الله اليه لما سماهم
فاسقين فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين
قال فكان كلما خرج واحد من الفاسقين عن اصحابه يتيه في الارض فلا يهتدي ان يلقى
اصحابه فيهلك ولا زالوا كذلك حتى انقرضوا عن آخرهم في اربعين سنة فسار موسى بمن
معه من المؤمنين حتى وصلوا الى اريحا فغلب موسى على المدينة واهلها فهرب من كان
بها الى بلاد اخرى وتفرقوا واهلكهم الله تعالى (حديث قارون وبغيه) وكان قارون ابن
عم موسى وكان رجلا فقيرا عابدا صالحا فجاء الى اخت موسى وقال لها من اين لموسى الذي
ينفقه من الذهب فقالت ان الله علمنا صنعة الكيمياء فعلمتها القارون فاخذ قارون يعمل
الكيمياء فاخذ باللباس الفاخر والخيل المسومة والبناء الرفيع وجمع مالا عظيما قال
الله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة معناه ان مفاتيح
كنوزه كانت تحمل على اربعين بغلا فعند ذلك ترك العبادة واشتغل بها عن ربه حتى
كانت الناس تقول يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون فيقول نفر من المؤمنين ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وكان موسى ينصح قارون فيقول قارون كل هذا من الحسد حتى ان
قارون قال لامراة جميلة في الحسن فقيرة جائعة ان انت اتهمت موسى وقلت انه دعاني الى
ان يفعل بي القبيح فلم اطاوعه اعطيتك مالا كثيرا واتزوج بك فانصرفت المراة في
تلك الليلة وقد القى الله في قلبها التوبة فلما اصبحت اتت الى جمع من بني اسرائيل وفيهم
قارون فقالت يا بني اسرائيل هذا ما القى الاخيار من الاشرار في الاسرار اعلموا ان قارون
دعاني الى نفسه بالامس وقال لي كذا وكذا وان اكذب على موسى بما هو كذا وكذا
وان موسى كان ينهاني عن فساد كنت فيه وانا الآن تائبة الى الله تعالى فلما سمع
بنو اسرائيل ما قالت المراة قاموا من جانبه ونحوه ولاموه وتركوه وبلغ ذلك موسى
فغضب وقال يا رب عليك به فاوحى الله الى موسى اني قد امرت الارض بالطاعة لك
وسلطتك عليه فاقبل موسى ودخل على قارون وقال له يا عدو الله تريد ان تفضحني
يا ارض خذيه فغاصت داره في الارض ذراعا فسقط قارون عن كرسيه فغاصت قوائمه

فى الارض الى ركبتيه فاستغاث بموسى فقال موسى يا عبد والله تبنى مثل هذه الدور والقصور وتأكل فى اوانى الذهب والفضة وانا انهاك فلم تنته يا ارض خذيه فاخذته شيئا وهو يستغيث بموسى فقال موسى الم تتعظ بهلاك فرعون وغيره من الامم الماضية يا ارض خذيه فاخذته الارض هو وداره وقال الله عز وجل فخسفنا به وبداره الارض فكان عبرة لمن اعتبر (قصة موسى والخضر عليهما السلام) قال كعب الاحبار اعطى الله عز وجل التوراة لموسى وآتاه من العلم كثيرا فقال يا رب هل آتيت احدا من عبادك مثل ما آتيتنى فاوحى الله اليه ان لى عبدا آتيته من العلم ما لم يأتك فقال يا رب اسألك ان تجمعنى به فاخذ موسى فتاه يوشع بن نون وقد حمل معه خبزا من شعير وحوتا مشويا ثم سارا الى الساحل اياما فلم يرياه فقال يا رب ارشدنا اليه فاوحى اليه يا موسى اذا رأيت الحوت الذى معك قد صار حيا فذلك موضعه فسار موسى ومعه فتاه واذا هو بقبة عظيمة وفيها قوم يركعون ويسجدون فسلم موسى عليهم فردوا عليه السلام فسالهم من تكونوا وعن الخضر فقالوا نحن ملائكة نعبد الله فى هذه القبة من حين خلق هذا البحر فسر فان الله يرشدك فسار موسى حتى وصل الى صخرة فجلس موسى عندها فنام وكان الحوت فى زنبيل فاذا بالحوت قد سقط فى البحر ويوشع ينظر اليه فانتبه موسى ونسى يوشع ان يخبره بقضية الحوت فجعلا يمشيان حتى بلغا نهرا ينصب فى البحر فقعد بجانبه موسى وقال ليوشع آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فاخرج يوشع الخبز واخبره بذهاب الحوت عند الصخرة فقال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا حتى اتيا الى الصخرة فنظر يمينه ويسرة فاذا هو بالخضر يصلى فى جزيرة من جزائر البحر فقال موسى لفتاه ارجع انت لبنى اسرائيل وكن مع هارون حتى ارجع ومشى موسى حتى وصل الى الخضر فوقف ينتظر فراغه من الصلاة فاحس به الخضر فالتفت من صلاته وقال السلام عليك يا موسى بن عمران فقال موسى وعليك السلام ايها العبد الصالح من اين عرفتنى فقال الخضر عرفنى بك من عرفك بى فقال له الخضر يا موسى سل عما بدا لك فقال موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا لانى اعمل على الباطن وانت تعمل على الظاهر قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فسارا على جانب البحر واذا بطائر قد اقبل فغمس منقاره فى البحر ثم اخرجه فمسحه على جناحه وطار نحو المشرق حتى غاب ثم طار نحو المغرب حتى غاب ثم رجع فصاح فقال الخضر لموسى اتدرى ما قال هذا الطائر قال لا قال انه يقول ما اوتوا من العلم الا مقدار ما اخذت بمنقارى من هذا البحر فعجب موسى من علمه ثم خرجا على الساحل يمشيان فبلغا الى مقبرة فجعلا ينظران الى جماجم الموتى وعظامهم

فقال

فقال الخضر ياموسى هذه جمجمة فلان الملوك وهذه جمجمة اخوه وعد لموسى سبع
جماجم اخوة فنطقوا كلهم عن اسمائهم وافعالهم فتعجب موسى وخرجا من القرية ومشيا
على الساحل فاذا هم بسفينة قد رفع اهلها شراعها وهم يسيرون في وسط البحر فلوح
الخضر اليهم فاقبلوا اليه وقالوا ما حاجتك قال اريد موضع كذا وكذا واحب ان تحملونا الى
هناك فقربوا السفينة ودخلا عندهم فساروا حتى صاروا في لجة البحر فعمد الخضر الى
لوح من الواح السفينة فكسره وسده ووضعه بخرقة كانت معه قال له موسى أخرقتها
لتغرق اهلها اليس هذا جزاء اهلها فانهم حملونا بلا اجرة قال الخضر ألم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا فسكت موسى وقال لا تؤاخذني بما نسيت الآية ثم ساروا قليلا
فاستقبلتهم سفينة فقالوا ان الملك يريد سفينتكم فقالوا فيها عيب فدخلوها فوجدوها
معيبة وهو الموضع الذي كسره الخضر فتركوها فخرج الخضر وموسى من
السفينة وجعلا يمشيان فلقيا غلمانا يلعبون وفيهم غلام احسن ما يكون فاخرجه الخضر
من بينهم وعمد الى صخرة فضرب بها راس ذلك الغلام فقتله فعظم ذلك على موسى فقال
ايها الصالح اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الخضر يا ابن عمران
ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد
بلغت من لدني عذرا ثم سارا حتى اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه الخضر جمع الطين والحجارة وسواه فضجر
موسى فقال ايها العبد الصالح استطعمت اهل هذه القرية فلم يطعموك قال يا ابن
عمران هذا فراق بيني وبينك واني منبئك اما السفينة فكانت لعشرة انفس خمسة
ضعاف مرضى وخمسة صحاح وكان الاصحاء يعملون للمرضى وكان ذلك الملك يأخذ السفن
السالمة غصبا فاعبتها لئلا يأخذها الملك واما الغلام فكان يقطع الطريق وكان ابواه
ينفران منه ويدعوان عليه فقتلته لاني لو تركته لكان فعله يوجب لابويه الكفر ولم يرد
الله ذلك لهما وان يرزقهما خيرا منه واما الجدار فكان لغلامين يتيمين وكان تحته كنز لهما
ولو سقط الحائط لتبين الكنز وذهب المال فاراد الله ان يبقيه لهما ببركة والدهما فذلك
تأويل ما لم تسطع عليه صبرا انتهى ولما توفي موسى صلى الله عليه وسلم ارسل الله اليه ملك
الموت فجاءه وهو يقرأ في التوراة بين اهله فقال السلام عليك ياموسى فقال وعليك
السلام من انت قال انا ملك الموت جئت لقبض روحك فادن مني حتى اشم رائحتك فدنا
منه فقال تنفس فتنفس فقبضها ومضى ملك الموت صلى الله عليه وسلم

(ذكر نبي الله يوشع عليه السلام) ثم ان يوشع اخذ بعد موسى في الجهاد ففتح
الله على يديه من المدن نحو ثلاثين مدينة من مدن الشام ثم جمع بني اسرائيل وقال

لهم اعلموا رحمكم الله ان مدينة اريحا فتحها موسى صلى الله عليه وسلم ونفى
الجبارين منها والآن قد عادوا اليها وانا سائر اليهم فخذوا اهبتكم فان الله ينصركم
عليهم فسار يوشع باصحابه حتى نزل بساحة اريحا وتقابلوا وتقاتلوا مع الجبارين
فقتل من الطائفتين خلق كثير وانهزمت الجبابرة عند العصر من يوم الجمعة وكان
في عهد موسى ان يوم السبت للعبادة فقال يوشع ان فترنا عنهم هذه الساعة
فيكون يوم السبت هملا فيقوى عدونا هذا اليوم فدعى الله وقال اللهم
اطل علينا بقية هذا اليوم انك على كل شئ قدير اللهم انك تعلم ضعف بني اسرائيل
فانصرنا يا خير الناصرين فارسل الله ملكا الى يوشع اني حبست لكم الشمس ونصرتكم
فما زال يوشع يجاهد ويجالد والشمس محبوسة بقدرة الله حتى دخل يوشع مدينة اريحا
واباد هم وغنم اموالهم ثم سار من اريحا الى بلاد كنعان فقتل من ملوكها نحو ثلاثين ملكا
وفتح ثلاثين حصنا (حديث الياس عليه السلام) قال كعب الاحبار لما ولد الياس
طلع منه نور ساطع اضاء منه المشرق والمغرب فقالت بنو اسرائيل سلوا عن امتداد هذا
النور فتبعوه فوجدوا مولودا ولد من ولد هارون عليه السلام فقالت بنو اسرائيل هذا
الذي بشرونا به وان الله يهلك الجبابرة على يديه ولما بلغ الياس من العمر سبع سنين
حفظ التوراة وقال يوما من الايام يا بني اسرائيل اريكم من نفسي عجبا فصاح صيحة
عظيمة فارتعبت قلوبهم فلما اسكن الرعب عنهم ارادوا قتله فهرب منهم الى الجبال
فكان يدور مع السباع والوحوش حتى استكمل عمره اربعين سنة فهبط جبرائيل عليه
السلام على الياس فقال له من انت قال انا جبرائيل قال بماذا جئت قال مبشرك بالنبوة
وان الله جعلك رسولا الى الملوك الجبابرة الذين يعبدون الاصنام فقال الياس كيف
اصنع وانا وحيد وهم عندهم الجموع والسلاح فقال جبرائيل ان النصرة لك والقوة لله
وان الله امر الوحوش والنار بطاعتك واعطاك قوة ثلاثين نبيا فامض الى قومك (قال)
وكان قومه في سبعين قرية كل قرية اكبر من مدينة وفي كل قرية جبار يسوسهم فنزل
الياس الى قرية فجاء الى جانب قصر جبارها واخذ يتلو التوراة بصوت حسن فسمعه
الجبار وزوجته فجاءت زوجة الجبار اليه فقالت من انت وما تريد فقال اني رسول الله
اليكم فقالت وما حجتك فقال ما تريدين قالت ادع هذه النار لتأتيك فدعا النار فأتته
فاخبرت المرأة زوجها فآمنا به ثم مضى عنهم وجاء الى اهل القرية فبلغهم رسالة ربه
فضربوه واهانوه واوثقوه واخذوه الى ملكهم الاكبر فحمى له القدور وقال له ان لم تدعه
والا احرقتك فصاح الياس صيحته المعروفة فارتعبت منها القلوب وخمدت النار فتحير
الناس وقالوا يا الياس قد عرفنا حالك فاصبر الى غد فلما اصبح جاء الياس اليهم ووعظهم

وحذرهم

وحذرهم عذاب الله وبلغ رسالة ربه فقالوا يا الياس هلا بعث معك ربك جنودا فقال
ويلكم ومن يقدر على امر الله ومخالفته ثم خرج من بينهم الى عند الملك حاب الذى آمن به
واخبره ثم ان الملك عاميل جمع اكابر مملكته وعلماء قومه وقال ما تقولون فى امر الياس
فقالوا الامان فقال قولوا ولكم الامان فقال انا رأينا فى التوراة صفة هذا الرجل وانه
سيمسك نبيا او تسخر له النار والاسود وانه لا يسمع صوته احد الا ذل وقال بعض علمائهم
كذبوا بل هو كذاب فقال الملك عاميل مهلا حتى ننتظر ثم انصرفوا ثم ان الياس عليه
السلام عاد الى الملك حاب فاخبره بذلك فقال له الملك حاب يا الياس انى معك فى غرور
فان الذين اطاعوك فى ذل واهانة والذين لم يطيعوك فى عز ونعمة فانصرف عنى فلا
حاجة لى فيك فقالت زوجته يا حاب ان كنت قد ارتددت عن دينك فلا ارتد انا عن
دينى ولحقت بالياس فكانت تعبد الله فى عريش عند بيت الملك عاميل ثم اسلمت
بنت الملك عاميل ولحقت بالياس ايضا فاراد الملك عاميل قتلها فاشتغل عنها بموت ولده
وكان يحبه حبا شديدا فجاء الياس اليه وقال له يا عاميل ان كان الذى تعبده له قدرة
فقل له يرد روح ابنك اليه فمضى الملك عاميل الى صنمه وسجد له وتضرع وسأله ان يرد
روحه فلم يجبه بشئ فدعا بالياس وقال ان كان ربك يرد روح ابنى فآمن بربك وبك
فدعا الياس ربه فقام الولد باذن الله حيا سالما فعند ذلك قال الملك عاميل اشهد
ان لا اله الا الله وان الياس رسول الله ثم خلع نفسه من الملك ولبس المسوح وتبع
الياس فى دينه فلم يزل الياس يبلغ رسالة ربه فلم يؤمنوا ومات الملك عاميل وولده وابنته
وزوجة حاب فعند ذلك دعا الياس على قومه بالقحط فقحطوا فلا زالوا يقتاتون بما
عندهم من القوت حتى اكلوا دوابهم والعظام فلحقوا الى الكلاب حتى الفار ومن
مات منهم اكلوه فعند ذلك ضجت الملائكة الى ربها فى حال عباده المؤمنين والطيور
والوحوش فأتوا الى الياس وقالوا يا نبى الله ان الله تعالى قد جعل ارزاق عباده اليك
افلا ترحمهم قال فانهم عصونى وغضى عليهم لله فان آمنوا والا هلكوا فأوحى الله اليه
يا الياس احلم ففزع الياس من ذلك وقال الهى مالى علم انى اعصيك وانت ارحم الراحمين
فأوحى الله اليه ان سر اليهم فان آمنوا كان فرجهم على يديك وان كفروا كنت ارأف
بهم منك فانطلق الياس حتى دخل الى قرية فرأى عجوزا فقال هل تقدرين على طعام
فقالت ماذقت خبزا من مدة طويلة ولى ولد قد اشرف على الموت وانه على دين الياس
فقال وما اسمه قالت اسمه اليسع فجاء اليه الياس فوجده ميتا من الجوع فاحياه الله
بدعوة الياس فقام وقال اشهد ان لا اله الا الله وان الياس رسول الله وقد جعلنى الله وزيرا
لك فخرج الياس فاجتمعت اليه الناس وطلبوا ان يدعو ربه حتى يفرج عنهم فدعا

الله فقرج عنهم فلم يؤمنوا فدعا عليهم فأوحى الله اليه يا الياس قد بلغت رسالة ربك
وفعلت ما امرت به فاستخلف الآن اليسع وارجع عن دنيا رقومك وانك عندي لمن
المقربين فأقبل الياس على اليسع وقال انت خليفتي وأوحى الله الى اليسع انك نبي
وارسلتك الى بني اسرائيل وقويتك وايدتك وان الياس لما خرج عن قومه واذا هو
بفرس تلتهب نورا فقالت انا هدية الله اليك فاركب فاستوى على ظهرها وجاءه
جبرائيل عليه السلام فقال يا الياس انت تسير مع الملائكة في الارض فسر حيث شئت
فقد كساك الله صفة الملائكة وقطع عنك لذة المطعم والمشرب وجعلك آدميا سماويا
رضيا *(ذكر قصة اليسع عليه السلام)* قال وهب بن منبه هو اليسع بن اخطوب
بعثه الله الى بني اسرائيل بعد الياس قال السدي هو ابن عم الياس فلما رفع الله الياس
استخلف بعده اليسع قال الواقدي ان في ايام اليسع بنيت مدينة طرسوس وملطية
واستمر اليسع يقضي بين الناس بالحق حتى توفي ودفن بفلسطين فلما مات اليسع استمر
بنو اسرائيل عشر سنين بغير نبي فعند ذلك اقام فيهم كاهن يقال له عالى ابن اسباط بن
هارون وكان رجلا صالحا فدبر امور بني اسرائيل احسن ما يكون واستمر على ذلك نحو
اربعين سنة وفي ايامه ولد شمعون من انبياء بني اسرائيل وولد ايضا داود ابو سليمان عليهما
السلام وكان بين وفاة عالى الكاهن ووفاة موسى عليه السلام اربعمائة وسبعة وثمانون
سنة انتهى والله اعلم

(ذكر قصة شمعون عليه السلام)

قال الله تعالى الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى الآية والمراد من قوله من بعد
موسى هو شمعون وكان من ذرية هارون عليه السلام وكان انبياء بني اسرائيل بمنزلة
القضاة يحكمون بين الناس بالحق فلما مات الاسباط ولم يبق منهم سوى ام شمعون فكان
بنو اسرائيل يدعون الله تعالى ان يبعث فيهم نبيا من الاسباط فلما حملت به كانت عجوزا
عقيما من ذرية الاسباط فتعجب بنو اسرائيل من شأنها وقالوا لم تحمل هذه العجوز الا بنبي
من نسل الاسباط فاحبسوها في بيت حتى تضع ما في بطنها فجعلت هي ايضا تدعو الله
تعالى ان يكون حملها ولدا ذكرا فولدت شمعون وكان اسمه اولا شموئيل فلما كبر
تعلم التوراة فكفله على الصغر عالى الكاهن المقدم ذكره فلما بلغ اشده وجاوز اربعين
سنة اتى اليه جبرائيل ففزع منه وقال لعالى الكاهن سمعت في البيت صوتا وليس فيه
غيرنا فقال له عالى يا شمعون قم وتوضأ فهذا جبريل عليه السلام فقام شمعون وتوضأ
وجلس فظهر له جبرائيل فقال له اذهب الى بني اسرائيل وبلغهم رسالة ربك فان الله
تعالى قد بعثك اليهم نبيا فلبث فيهم نحوا من اربعين سنة يقضي بين بني اسرائيل بالحق
وكان يعرف بابن العجوز ثم ان بني اسرائيل قالوا يا شمعون ادع الله بأن يقيم علينا ملكا

حتى يكون لنا قوة ويستخلص لنا تابوت السكينة من ايدى العمالقة فلما دعا الله تعالى بعث الى بنى اسرائيل طالوت وهو قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية انتهى *(ذكر قصة الخضر عليه السلام)* قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى امر الخضر عليه السلام قال ابن عباس انه من ولد شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليهم السلام وقال ابن اسحاق انه من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام وقال النقاش انه ابن فرعون صاحب موسى ولم يصحح الطبرى ذلك وابطله وقال آخر هو اليسع صاحب الياس ولم يصح ذلك وقال آخر هو ارمياء ولم يصح ذلك وقال الاستاذ الحافظ ابو القاسم عبد الله بن الحسن الخثعمى فى كتاب التعريف ان الخضر عليه السلام ابن ملك يقال له عاميل وهو من ولد العيص بن اسحاق وامه بنت ملك يقال له فارس وكان اسمها الها وانها ولدته فى مغارة وانه وجد هنالك شاة ترضعه فى كل يوم فأخذه الراعى ورباه حتى كبر وشب وصار ماهرا جيد الخط قارئا للصحف التى انزلت على ابراهيم عليه السلام وقال ابن اسحاق ان ابا الخضر عاميل طلب كاتبا جيد الخط ليكتب له الصحف التى انزلت على ابراهيم وشيث فقدم عليه جماعة من الكتاب وابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما عرضوا خطوطهم على الملك استحسن خط ولده الخضر فوقع فى قلبه محبته واستحسن شكله وعبارته فى الكلام ثم انه بحث عن حقيقة نسبه فتبين انه ابنه فقام اليه واعتنقه وضمه الى صدره ثم انه نزل له عن الملك وولاه على رعيته عوضا عن نفسه واستمر فى ملك أبيه وهو يقضى بين الناس بالحق الى ان فر من الملك لاسباب يطول شرحها واستمر سايحا فى الارض الى ان وجد عين الحياة فشرب منها كما يجىء الكلام على ذلك فهو حى الى ان يخرج الدجال ويقتله ثم يحييه الله تعالى بحضرة الدجال بعدما يقطعه وقال البخارى وطائفة من اهل الحديث منهم الشيخ أبو بكر بن العربى ان الخضر قدمات قبل انقضاء المائة من عمره والصواب ما رواه أبو بكر ابن أبى الدنيا فى كتاب الهواتف بسند يرفعه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما مات النبى صلى الله عليه وسلم سمع هاتفا يقول السلام عليكم اهل البيت ان فى الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل فائت وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا فكانوا يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخضر عليه السلام فهو دليل على حياته وأما سبب تسميته بالخضر ففى ذلك عدة اقاويل قال وهب بن منبه كان اسم الخضر ايليا وكنيته أبو العباس وانما سمى بالخضر لانه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء وقيل ان الفروة هى الارض وقال الخطابى انما سمى الخضر خضرا لاشراق وجهه وقال مجاهد كان اذا صلى اخضر ما كان سجوده وقال آخر كان اسمه

خضرون والله أعلم وما مر من نبوته قاله جمهور من العلماء بأنه كان نبيا وقال بعضهم كان نبيا
ورسولا يوحى اليه وقال جماعة من العلماء انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وهو قوله تعالى
وجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقول الخضر لموسى
وما فعلته عن أمرى يدل على انه كان رسولا يوحى اليه والصحيح انه نبى لا رسول كما رجحه
العلماء وقدمرت قصته فى ذلك عند قصة موسى عليه السلام وأما قول من قال انه باق الى
اليوم قال عمرو بن دينار ان الخضر والياس فى قيد الحياة مادام القرآن موجودا فى الارض
فاذا رفع القرآن يموتان أى الخضر والياس قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الخضر
والياس يجتمعان كل سنة على جبل عرفات مع الحجاج فى مسجد الخيف فى منى وذكر
ان كل واحد منهما يحلق رأس صاحبه هناك ويأخذ كل منهما اشعر صاحبه ويفضيان
ويقولان عند تفرقهما الدعاء المشهور (وروى) عن بعض الصالحين انه رأى الخضر
عليه السلام وذكر صفته انه أشهل العينين ضخم الجسد طويل القامة ابيض اللحية احمر
الوجه زاهى النظر فصيح اللسان يتكلم باللغة العربية انتهى ما اوردناه من اخبار الخضر
على سبيل الاختصار *(ذكر حرب طالوت مع جالوت)* قال وهب بن منبه ان
الله تعالى انزل على شمعون عصا من الجنة وقال له ان الملك الذى ابعثه الى بنى اسرائيل
يكون طوله على طول هذه العصا قال عكرمة ان الملك طالوت كان أصله سقاء يسقى
الماء من بحر النيل على حمار له فتسرب ذلك الحمار منه فخرج فى طلبه فمر على باب شمعون
النبى فدخل عليه وقال له يانبى الله ادع لى بأن يرد الله على حمارى فقال شمعون نعم ثم
رأى فيه امارات تدل على ما أوحى الله اليه فى أمر الملك الذى يرسله الى بنى اسرائيل
فأخرج تلك العصا المقدم ذكرها فقاسها على السقا فجاءت طوله سواء وكان طالوت
طويلا جدا ولذلك سمى طالوت فقال له شمعون ان الله تعالى قد امرنى بأن اجعل ملكا
على بنى اسرائيل وقد ملكتك عليهم فلما خرج الى بنى اسرائيل قال لهم قد ملكت عليكم
هذا الرجل فاطيعوه فغضب بنو اسرائيل وقالوا كيف تولى علينا مثل هذا وفينا من هو
أحق بالملك منه لان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب والملك فى سبط يهوذا وطالوت
كان من سبط بنيامين فقال لهم شمعون ان الله قد اصطفاه عليكم فقال رجل من بنى
اسرائيل وكان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام هذا رجل فقير لا مال له وهو سقاء
يحمل الماء الى بيوت بنى اسرائيل فقال لهم شمعون ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت على
يده كما أخبرنى الله به وكان طالوت احفظ الناس للتوراة ثم ان بنى اسرائيل ملكوا عليهم
طالوت ثم انه خرج الى قتال العمالقة وكانوا يسكنون بقرى حول فلسطين فلما خرج
اليهم حاربهم على تابوت السكينة لان العمالقة كانوا سلبوه من بنى اسرائيل قبل ذلك

واستمر

واستمر عندهم مدة طويلة حتى رده الله تعالى اليهم على يد طالوت (قال) السدي ان تابوت السكينة كان طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين وهو من خشب الشمشاد وقال ان فيه نعلي موسى وقطعة من عصاه وعمامة هارون وقطعة من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل وهم في التيه وكان هذا التابوت اذا قدموه امامهم وقت الحرب ينتصرون على عدوهم فلما سلبه العمالقة منهم اقام عندهم نحوا من عشرين سنة فكان كل من دنا اليه يحترق فقال لهم رجل صالح مادام عندكم التابوت لم تفلحوا أبدا فاخرجوه من بينكم فقالوا له كيف العمل في اخراجه فعمدوا الى عجلة ووضعوا التابوت عليها ثم علقوا ذلك التابوت على ثورين وساقوهما من غير احد معهما من الناس حتى اخرجوه من ارضهم وسار الثوران الى أرض بني اسرائيل فوقف الثوران هناك ومضى من كان معهما من العمالقة فلم تشعر بنو اسرائيل الا وتابوت السكينة عندهم فكبروا تكبيرا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الملائكة اخذوا ذلك التابوت من على العجلة ورفعوه بين السماء والارض والناس ينظرون اليه حتى وضعوه في دار طالوت وهو قوله تحمله الملائكة فلما عاين بنو اسرائيل ذلك علموا ان الله تعالى قد اختار طالوت بأن يكون ملكا عليهم قال السدي ان تابوت السكينة مدفون في بحيرة طبرية الى ان يخرج عيسى ابن مريم عليه السلام فيخرجه انتهى ذلك *(ذكر قصة النهر وتابوت السكينة)* قال قتادة لما أوحى الله الى نبيه شمعون المقدم ذكره بان يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت ملك العمالقة وكان جالوت في بيت المقدس فجمع طالوت الجنود من بني اسرائيل فكان عدتهم نحوا من ثمانين الف مقاتل فخرج طالوت بالجنود حتى قارب النهر وكانت وقت القائلة فشكوا من شدة الحر وقلة الماء فقال لهم نبيهم ان الله مبتليكم بنهر قال ابن كثير النهر هو نهر الشريعة ثم قال فمن شرب منه فليس مني اي من اهل ديني ولا طاعتي ثم استثنى بقوله الا من اغترف غرفة بيده ملء كفه وقال البراء بن عازب ان أصحاب طالوت هم الذين جاوزوا معه النهر وكانوا نحوا من ثلثمائة انسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوم وقعة بدر انتم على عدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال السدي فلما جاوز اصحاب طالوت النهر شربوا منه وسقوا دوابهم ولم يغترفوا منه كما أمرهم الله تعالى فقوى عليهم العطش واسودت شفاههم فقال الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت وتجنبوا عن أمر القتال فلم يبق مع طالوت الا القليل من الجنود وكان معه رجل يقال له ايشا وهو ابو داود نبي الله وكان له ثلاثة عشر ولدا وكان داود أصغرهم فقال يوما لابيه ايشا يا ابتي اني لم ارم قط بقدحي شيأ الا صرعته

في الحال فقال أبوه ابشر يا بني فان الله تعالى جعل رزقك في قدحك ثم قال لابيه مرة أخرى يا ابتاه اني دخلت بين الجبال فرأيت اسدا عظيما فخضع لي حتى ركبته ثم قبضت بيدي على منكبيه فتركته هنالك ميتا فقال له ابوه ابشر يا ولدي فان سعدك أقبل ثم قال لابيه مرة اخرى يا ابتاه اني اذا سبحت في الليل اسمع الجبال تسبح معي فقال له أبوه ابشر يا بني فهذا دليل نبوتك فلما تلاقى طالوت مع جالوت ارسل جالوت يقول لطالوت ان ابرزت لي من يقاتلني فان هو قتلني فله ملكي وان أنا قتلته فلي ملكك فشق ذلك على طالوت ونادى في جنوده من يبرز الى جالوت ويقتله اعطيه نصف ملكي وازوجه بابنتي فلم يجبه أحد من اجناده وكان في صحبته شمعون النبي فقال له طالوت يا شمعون ادع الله تعالى ان يأتينا بمن يبرز لجالوت ويقتله فدعا شمعون الله تعالى ان يأتيه بمن يقتل جالوت فقال شمعون لا يشا اني أريد ان تعرض على اولادك فلما عرضهم عليه وكانوا اثنى عشر ولدا وهم امثال الاسود فقال له شمعون هل بقي منهم احد فقال بقي لي ولد صغير يرعى الغنم واسمه داود وهو في الوادي عند الغنم فمضى اليه شمعون فلما رآه قال هو المطلوب ورأى ما فيه من العلامات ما يدل على ما أوحى الله اليه بانه هو الذي يقتل جالوت فقال له شمعون ان الله قد امرني ان ابعثك الى جالوت ويكون قتله على يدك فقال داود السمع والطاعة ثم مضى مع شمعون فبينما هو يمشي في اثناء الطريق اذ مر بثلاثة احجار دعاه كل واحد منهم ان يحمله وقالوا له انك تقتل بنا جالوت فحملهم في مخلاته ثم لما وصل الى طالوت بعثه مع الجنود الى جالوت واركبه فرسا ادهم والبسه درعا من الحديد وقلده سيفا وسارت صحبته الجنود الى جالوت فوقف مقابله وكان جالوت أشد الناس بأسا وقوة وكان يهزم الجيوش الكثيرة وحده وكان له خودة من بولاد وزنها ثمانمائة رطل بالمصري وكان له فرس ابلق عظيم الخلقة فلما برز اليه داود وكان صغير السن القى الله تعالى الرعب في قلب جالوت من داود فقال له جالوت يا هذا الصبي أنت مع صغر سنك تبارزني فقال داود نعم ابارزك ثم اخرج من المخلاة الاحجار ووضعها في المقلاع فقال له جالوت تبارزني بالحجر كما يبارز الكلب فقال داود نعم لانك اشر من الكلب فقال جالوت لاقسمن لحمك بين الكلاب ثم ان داود قال بسم الله اله ابراهيم واسحاق وموسى ويعقوب ووضع الاحجار في المقلاع ورمى بها جالوت فوصلت مثل النار الى دماغ جالوت فعلقته وما كان عليه من الحديد حتى خرجت من قفاه فقتل جالوت فحينئذ مالت جنود طالوت على جنود جالوت بالضرب ونصرهم الله تعالى عليهم وكسروهم باذن الله تعالى ثم انه نزع خاتم جالوت من يده وجاء به الى طالوت ووضعه بين يديه ففرح طالوت بذلك وفرح بنو اسرائيل بهذه النصرة ومضوا الى ارضهم وهم

سالمون وكان جالوت يسكن بيت المقدس وهو من العمالقة القدمة وداود لما بارز جالوت كان عمره منذ نحو عشرين سنة وكانت وقعة جالوت مع داود بالقرب من المرج الاصفر بأرض الشام انتهى على سبيل الاختصار *(قصة وفاة طالوت وما جرى بينه وبين داود عليه السلام)* قال السدى لما قتل جالوت ومضى امره جاء داود الى طالوت وقال له انجزني وعدك من زواجي ابنتك فقال له طالوت ازوجك ولكن بصداق فقال داود انت شرطت صداقها قتل جالوت ومعها نصف مملكتك فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل انجز ما وعدته به فلما رأى طالوت ميل بني اسرائيل معه قال يا داود انى معطيك ما تريد ولكن بقى لنا اعداء من المشركين فانطلق اليهم وقاتلهم فاذا قتلت منهم مائتى انسان ازوجك ابنتى من غير صداق فمضى اليهم داود وتقاتل معهم فصار كلما قتل منهم رجلا نظم غلفته بخيط فاكمل من غلفهم نحو مائتى غلفة فأتى بها الى طالوت والقاها بين يديه فقال له هذا ما شرطت فقال بنو اسرائيل انجز له شرطه وما وعدته به فلما رأى طالوت قوة داود وميل الناس اليه خشى من سطوته فأراد قتل داود وكان من عادة الملوك يتوكؤن على عصاة فى طرفها زج من حديد فرأى داود جالسا فى بيت فرماه طالوت بتلك العصا انفلا داود عنها فلم تصبه فأصابت الحائط فدخلت فيه فقال له داود عمدت الى قتلى فقال طالوت لا ولكن اختبرت ثباتك للطعان فعند ذلك قام داود واخذ العصا وهزها نحو طالوت فقال طالوت بالحرمة التى بينى وبينك ان تكف عنى فقال له داود ان الله كتب فى التوراة ان جزاء السيئة مثلها والبادى اظلم فقال طالوت افلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك فقال داود انى عفوت عنك ثم ان طالوت زوجه بنته ولا زال مدة يتفكر كيف يقتل داود فعزم على ان يصنع لداود وليمة فى داره ويغتاله ويقتله وكانت ابنة طالوت علمت باحتيال ابوها ابيه على قتل داود فأرسلت الى داود واعلمته بأن اباها عزم على قتله فأخذ داود حذره منه ثم ان طالوت صنع الوليمة ولم يبق شيأ من امر الوليمة فارسل الى داود ليحضر فلما حضر داود بين يدى طالوت قام له واكرمه وكان داود بشاشا لطيفا عارفا بصنوف الالحان قال الثعلبي ان داود كان قبل بلوغ النبوة يوقع بالعود لطالوت لما تغلظ عليه الاخلاط الرديئة فكان داود يعطى لكل خلط نغمة لمعرفته بذلك فلما اقبل الليل انتهى امر الوليمة وانصرفت الناس وكانوا نحو اربعة آلاف انسان قال طالوت لداود اصعد الى السرير ونم عليه وانصرف طالوت الى نسائه فعمد داود الى زق خمر ووضعه على السرير مكانه وغطاه بأكسية النوم وذهب داود واختبأ فى مكان لينظر ما يصنع طالوت فلما انتصف الليل دخل طالوت خفية يتسلل الى ان جاء الى السرير وظن ان داود عليه فرفع سيفه وضربه

ضربة محكمة فقطع الكساء والزق وسال الخمر فقال طالوت ما أكثر ما كان يشرب داود من الخمر فلما أصبح طالوت وعلم أنه لم يقتل داود أكثر من الحراس والحجاب وصار يحتجب عن الناس خوفا من داود ثم ان داود دخل على طالوت ليلا وقد اعمى الله بصر الحراس فلما دخل داود وجد طالوت ملقى على سريره وهو نائم فوضع داود سهما من سهامه عند رأس طالوت وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن يساره ثم خرج داود وتركه فلما استيقظ طالوت من منامه رأى السهام حوله فعرف ان ذلك من فعل داود ورأى عفوه بعد الظفر فقال داود احلم مني ثم ان طالوت خرج يوما الى الفضاء وحده واذا بداود مقابله من غير ميعاد فأخذ ايشبان وكان طالوت فارسا وداود راجلا فخاف داود على نفسه فدخل غارا واستتر فيه فلما أدرك طالوت الغار عماه الله عن المكان الذى اختفى فيه داود ورجع طالوت فقتل جماعة من المؤمنين من اصحاب داود ممن كانوا يحبونه ثم ندم طالوت على قتلهم وتاب واراد ان يعلم هل قبلت توبته أم لا فجاء الى قبر شمعون ونادى يانبي الله شمعون فاجابه من القبر باذن الله تعالى فقال طالوت انى فعلت كذا وكذا فى المؤمنين فهل من توبة فقال شمعون ياطالوت سر انت واولادك وكانوا عشرة وقاتل فى سبيل الله حتى تقتلوا يتوب الله عليكم وتكونوا من الصالحين فاخذ طالوت بالبكاء وتجهز هو واولاده ومضى الى الجهاد وقاتل هو واولاده فكان يرى مصارع اولاده واحدا بعد واحد حتى قتلوا كلهم ثم نزل هو للجهاد فقتل ثم اتى رجل الى داود وقال له ان طالوت قد قتل هو واولاده فاستخلف على بنى اسرائيل كما سيأتى الكلام عليه فى موضعه ان شاء الله تعالى انتهى على سبيل الاختصار *(ذكر قصة داود عليه السلام)

قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض الآية (قال) وهب بن منبه هو داود ابن ايشا بن عوقد من ذرية ابراهيم الخليل عليه السلام (قال) ابن كثير لما قتل طالوت استخلف بعده داود وقد جمع الله له بين الملك والنبوة وكان قد مضى لداود من العمر نحو اربعين سنة وقد قال الله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فلما تم امره فى الملك رحل الى بيت المقدس وكان عامة الفتوحات فى ايامه فتح الشام وارض فلسطين ومدينة عمان وحلب ونصيبين وحماه وعنتاب والاردن وكانت هذه بايدى الجبارين قال السدى ان الله تعالى خص داود عليه السلام بالفضائل والكرامات والنبوة وانزل عليه الزبور وخصه بالصوت الحسن وكان يقرأ الزبور بسبعين نغمة من الانغام فكان اذا سمعه المحموم يعرق والعليل يشفى وكان اذا قرأ فى الفضاء تجتمع اليه الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان الريح يسكن عند صوته ويركض الماء الجارى ايضا عند صوته فحسده ابليس على ذلك فصنع آلات الالحان والطرب مثل العود ونحوه

فاشتغل

فاشتغل الناس بذلك عن صوت داود عليه السلام قال افلاطون من حزن فليسمع الالحان يزل حزنه فان الحزن خمود النفس واذا سمعت ما يطرب بها شمشمت واثارت قالت الرواة ان الفيل اذا اصطادوه غلب قهر المفارقة وطنه الا اذا اطربوه بالملاهي فانه يعيش ومن فضائل داود انه كان اذا سبح يسبح الطير معه والوحوش والجبال والشجر والحجر وكان يفهم تسبيحهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ومما خص الله تعالى به داود السلسلة التي كان يعرف بها الحق والباطل (قال) السدي كانت هذه السلسلة موصولة بالمجرة وكانت معلقة بمحراب داود يحاكم الناس عندها وكانت من عجائب الدنيا لها قوة كقوة الحديد ولونها كلون النار مرصعة بالجواهر واليواقيت والزمرد فكان اذا حدث في الدنيا حادث تصلصل فيعلم بذلك الحادث وكان لا يمسها ذو علة الا برئ لوقته واذا مسها مشرك ذهب منه غل الشرك وكان المنكر لحق صاحبه اذا مد يده اليها لا يصل اليها واذا كان صادقا مد يده اليها فيصل ويمسكها وكانت ترتفع عند الباطل وتتدلى عند الحق واذا قصد احد شيأ منها ترتفع قال الثعلبي ان رجلا اودع جوهرة عند رجل آخر فلما جاء ليطلبها منه انكرها فقال له صاحب الجوهرة نمضي انا وانت الى السلسلة وكان الذي استودع الجوهرة وضعها في عكازه وكان لا يفارقه من يده قال فمضى الرجلان الى السلسلة فوصلا اليها فقال صاحب العكاز لصاحب الجوهرة خذ اليك هذا العكاز لاحلف لك فاخذه فتقدم وقال اللهم انك تعلم ان هذه الجوهرة قد اعطيتها لصاحبها هذا ومد يده الى السلسلة فتناولها ثم اخذ عكازه من صاحب الجوهرة فتعجب صاحب الجوهرة فلما اصبح الصباح وجدوا السلسلة قد ارتفعت وغيبها الله عن الناس الى الآن قال ابن عباس كان داود اشد ملوك الارض سلطانا فكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون الف انسان من شجعان بني اسرائيل (ومن معجزات) داود عليه السلام ان الله تعالى ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده مثل العجين فكان يصنع منه دروع الزرد وهو اول من اصطنع دروع الزرد وكانوا من قبله يستعملون دروع الصفائح فكان داود يصنع كل يوم اذا شاء درعا ويبيعه بستة آلاف درهم وينفق ثمنه على عياله ويتصدق بالباقي ولا يدخر منه شيأ قال السدي كان داود يتنكر ويمشي في الاسواق ويسأل الناس عن سيرة نفسه حتى لقاه جبرائيل فسأله عن سير نفسه فقال له جبرائيل ان داود نعم العبد الا انه يأكل من بيت المال فقال داود عند ذلك اللهم علمني صنعة انفق على نفسي منها فعلمه الله صنعة الزرد والان له الحديد فكان يأكل من ذلك قال تعالى وألناله الحديد وقال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم الآية (ذكر وقوع داود في الخطيئة) قال وهب بن منبه بينما داود يقرأ في محرابه اذ دخل عليه طائر في محرابه من الكوة

وكان ذلك الطائر على صفة الحمامة ريشها من الذهب وجناحها مكلل بانواع الجواهر الملونة ومنقارها من الزمرد الاخضر ورجلاها من الياقوت الاحمر فلما رآه داود شغلته عن القراءة فتأملها فظن انها من الجنة فديده اليها ففرت من بين يديه الى جانبه فقام اليها ففرت الى الكوة (وقيل) كان سبب ذلك ان داود قال يارب ان جميع الانبياء ابتليتهم لتعظم لهم الاجور فهلا ابتليتني لتعظم اجرى فاوحى الله اليه ياداود واستعد للبلاء في يوم كذا وكذا فلما كان الميعاد اتى اليه ابليس اللعين فى صفة الطائر المذكور (قال) فتقدم داود الى الطائر ففر الى الكوة الى بستان تحت قصر داود فنظر داود الى البستان لاجل الطائر واذا فى البستان امرأة جميلة ذات حسن فائق على اهل زمانها وهى تغتسل فلما نظر داود اليها خجلت واسبلت شعرها فغطى سائر جسدها فوقع حبها فى قلبه وشغف بها وفى المعنى يقول القائل

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد وجهها فرط الحياء
فقابلت الهواء وقد تردت * بمعتدل ارق من الهواء
ومدت معصما كالماء منها * الى ماء معد فى اناء
رأت عين الرقيب على تدان * فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

(قال) فلما افتتن بها سأل عن امرها فقيل انها متزوجة برجل من الجند وهو مسافر وله ستة اشهر فى الغزو فعند ذلك كتب الى امير الجيش يقول قدم اوريا بن حنا امام الجيش واعطه الراية بيده وكان اوريا زوج المرأة وكان المتقدم بالراية قليلا ما يسلم فلما وصل الكتاب فعل امير الجيش ما امره داود فسلم الراية الى اوريا وتقدم فقتل فكتب امير الجيش يخبره بموت اوريا فعند ذلك خطب داود امرأته فتزوج بها فحملت منه بولده سليمان عليهما السلام وكان اسم المرأة تشايع بنت صورى فاقام معها اياما وكان لداود اذ ذاك تسعة وتسعون امرأة وقد اكمل بام سليمان المائة وهى تشايع فعند ذلك ارسل الله ملكين بصفة رجلين فدخلا عليه من غير اذن ففزع منهما داود فقالا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وه وقوله تعالى وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب الآية فقال داود قصا على قصتكما قال ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال له داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فضحك المدعى عليه فقال له داود تظلم وتضحك فارتفعا وهما يقولان قضى داود على نفسه فعلم داود انه وقع فى الخطيئة فخر ساجدا اربعين ليلة وهو يبكى ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى حتى غرقت الارض من دموعه واكلت الارض جبهته

فرفع رأسه وقام فلبس المسوح وافترش الرماد تحت وجهه وعاد الى ما كان عليه فانقطع
عنه الوحي وكان يقول في سجوده سبحان خالق النور رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر
ذنبه والاصار حديثا في الخلق الى يوم القيامة ولم يزل ساجدا وهو يبكي ويتضرع الى الله
تعالى حتى انعشب رأسه فجاء اليه جبرائيل وقال يا داود ان الله غفر خطيئتك فاذهب
الى قبر اوريا بن حنا واسأله بان يحاللك فانطلق الى قبر اوريا وقال يا اوريا فقال من قبره
لبيك يا داود فقال داود اجعلني في حل مما كان مني اليك فقال اوريا وما كان منك فقال
عرضتك للقتل بسبب الزوجة فقال قد حاللتك من ذلك فاوحى الله اليه يا داود هلا قلت
له عرضتك للقتل حتى قتلت فتزوجت بزوجتك من بعدك فنادا اليه وقال له داود
يا اوريا فلباه من القبر ثانيا فقال داود يا اوريا عرضتك للقتل حتى تزوجت بزوجتك من
بعدك فلما سمع اوريا بذلك سكت فناداه مرارا فلم يجبه اوريا فبكى داود وحث التراب
على رأسه فاوحى الله تعالى اليه يا داود اذا كان يوم القيامة اعطي اوريا الثواب الجزيل
حتى ارضيه واستوهبك منه فقال داود الهي الآن طاب قلبي بمغفرتك وكرمك وذلك
قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب فكان داود لا يرفع رأسه الى السماء حياء
من الله تعالى وكان لا يأكل خبز الشعير الا وهو ممزوج بدموع عينيه ويذر فيه الملح
وكان لا يأكله حتى يضنيه الجوع ويقول هذا اكل الخاطئين قال عطاء الخرساني ان
داود عليه السلام نقش خطيئته في كفه لئلا ينساها فكان كلما نظرها يبكي (قال)
وهب بن منبه لما وقع داود في الخطيئة اشتغل بالبكاء والندم عن النظر في احوال الرعية
من بني اسرائيل فعند ذلك اجتمعوا وجاؤا الى ابنه سليمان عليه السلام وقالوا له ان اباك
كبر سنه واشتغل بخطيئته عن النظر في احوال الرعية والحق ان تكون انت متوليا
على بني اسرائيل ودخلوا على داود وتكلموا معه في ذلك ولا زالوا به حتى خلع نفسه من
الملك وولى ابنه سليمان ثم ان داود خرج من بني اسرائيل ولحق بالجبل فاجتمع اعيان
بني اسرائيل وجاؤا الى سليمان واشاروا عليه بقتل ابيه فلما بلغ داود ارسل يقول لابنه
سليمان هل سمعت قط بابن قتل اباه قبلك ولكن ان جعل الله قتلي على يد بني اسرائيل
فلا تحضر انت قتلي فانه يصير ذلك سنة من بعدك فلما بلغ سليمان ذلك لم يوافق بني
اسرائيل على قتل ابيه (قال) السدي لما تاب الله على داود واراد ان يرجع الى ملكه
ركب وحارب ابنه سليمان حتى هزمه عن المدينة وقتل في هذه الوقعة نحو العشرين الفا
من بني اسرائيل وهرب سليمان فلحقه قائد من قواد ابيه فلما ظفر بسليمان تركه
للمجاهدة والغزوات هكذا نقله ابن كثير (ذكر قصة داود وسليمان في الحرث) قال الله
تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية (قال) ابن عباس رضي الله عنهما كان

الحرث زرعا وذلك انه دخل على داود رجلان واحد صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا الرجل انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فأكلته ولم يبق منه شيء فقال داود عليه السلام لخصمه اعطه الغنم التي اكلت الزرع في نظير زرعه وكان ابنه سليمان حاضرا فلما سمع ذلك قال لابيه انك لم تأت بشيء فيما قضيت به فقال له داود وكيف تقضي انت بينهما فقال سليمان آمر صاحب الغنم بان يدفع الغنم الى صاحب الزرع سنة كاملة ويكون له نسلها ولبنها واصوافها فاذا كان العام القابل وصار الزرع كهيئته يوم اكل فأسلم الزرع الى صاحبه والاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء على ما قضيته انت وحكم داود بما قاله ابنه سليمان ثم ان داود استخلف ابنه سليمان على بني اسرائيل وكان لسليمان يومئذ ثلاثة عشر سنة فشق ذلك على بني اسرائيل وقالوا كيف يستخلف علينا غلاما صغير السن وفينا من هو اعلم منه فلما بلغ داود ذلك جمع اعيان بني اسرائيل من اسباط اولاد يعقوب عليه السلام فلما اجتمعوا قال لهم كيف تقولون في امر سليمان فليجيء كل منكم بعصا ويكتب اسمه عليها ويجيء سليمان بعصا ويكتب اسمه عليها ثم ادخلوا العصي كلها في بيت واقفلوا بابه فمن اورقت عصاه فهو احق بالخلافة فقالوا كلهم رضينا ذلك فادخلوا عصيهم كلها ووضعوها في بيت وقفلوه كما ارادوا فلما اصبحوا وجدوا العصي كلها على حالها الا عصا سليمان فانها صارت مورقة فلما رأت بنو اسرائيل ذلك علموا ان سليمان هو الخليفة عليهم من بعد ابيه داود واستمر على عبادة الله تعالى معتكفا حتى مات قال ابن كثير لما مات داود مشى في جنازته اربعون الف راهب وعليهم البرانس السود ودفن في خارج باب بيت المقدس وقبره مشهور يزار عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار (ذكر قصة نبي الله سليمان عليه السلام) قال الله تعالى وورث سليمان داود وقال الثعلبي كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدا وكان سليمان اصغر اولاده قال السدي كان سليمان افقه من ابيه واقضى منه في الحكم ولكن كان داود اشد تعبدا (قال) السدي والثعلبي لم يملك الدنيا كلها سوى اربعة مؤمنين وكافرين فاما المؤمنان فهما سليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فهما النمرود بن كنعان وشداد بن عاد قال الله تعالى حكاية عن سليمان قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فأجاب الله دعاءه واعطاه (سؤال لطيف) قال بعض العلماء كيف طلب سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده والانبياء من شأنهم الزهد في الدنيا * (الجواب) * اعلم ان سليمان عليه السلام اعلم بذلك فقال اولا رب اغفر لي ثم طلب الملك بعد طلب المغفرة وهو قوله رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قال السدي سبب طلب سليمان الدنيا ان جبرائيل عليه السلام جاء الى سليمان

وقال له ان الله تعالى يأمرك ان تمضي الى مكان كذا وكذا فان هناك امرأة ارملة ولها عند الله منزلة فامض اليها وارفع عنها حوايج الدنيا وجميع ماتحتاج اليه من اكل وكسوة وغير ذلك فقال سليمان لجبرائيل ان الله تعالى يعلم اني عبد فقير لا املك من الدنيا شيأ وكان سليمان يصنع القفف بيده ويبيعها ويأكل من ثمنها هو وعياله ولا يقرب مال بيت المسلمين فأوحى الله الى سليمان اطلب مني ماتريد فلما راى الاذن من الله في الطلب فطلب وماقصر فطلب المغفرة والملك فاستجاب الله دعاءه واعطاه الدنيا من مشرقها الى مغربها *(قال)* وهب بن منبه ان سليمان لم يطلب الدنيا لنفسه وانما طلب ان يكون امورها اليه حتى يعدل بين الناس وينصف المظلوم من الظالم ويجود على الفقراء والمساكين فان الدنيا مع العبد الصالح في يده لا في قلبه فان كان بالعكس فتغوى النفس وقول سليمان لاينبغي لاحد من بعدي لان الله الهمه العدل في الرعية فعلم ان غيره لايقدر على مثل عمله وكان سليمان متواضعا يجالس الفقراء والمساكين ويأكل معهم ويحدثهم كانه منهم وكان لايشبع بطنه من خبز الشعير ولا يلبس الا الصوف مع سعة ملكه ولا ينفق الا من عمل يده قال وهب بن منبه ان الله تعالى سخر لسليمان الانس والجن والوحوش والطيور والريح فكان الريح يحمل بساطه الى مسيرة شهر في غدوة من النهار وهو قوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر *(قال)* السدى كان طول بساط سليمان فرسخا وهو مركب على اخشاب (قال) مقاتل ان الجان نسجت له البساط من حرير ملون وهو مرقوم بالذهب وكان يحمل عليه جنوده ودوابه وخيوله وسائر الانس والجن والوحش والطير وكان جيش سليمان الف الف انسان ويتبعها الف الف من الجان وغيرهم وكان هذا البساط يسير بين السماء والارض مثل السحاب ودونه الى الارض وان اراد يسيره بسرعة امر الريح العاصف يحمل ذلك البساط فيسير كالبرق الى حيث شاء وكان البساط اذا سار لم يحرك انسانا ولا دابة ولا شجرة واذا مرت على الزرع في الارض لا يتحرك منه ورقة وكانت ريح الصبا واقفة بين يديه فاذا تكلم احد من المشرق او من المغرب تحمل الريح ذلك وتلقيه في اذن سليمان (قال الزمخشري) كان لسليمان كرسي من الذهب برسم الامراء والاعيان وحول ذلك الكرسي ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة (قال السدى) كان لسليمان الف قصر مبنية من قوارير وفيها ثلثمائة امرأة والف سرية *(قال كعب الاحبار)* كان جيش سليمان اذا نزل في الفضاء يملأ مائة فرسخ فكان منها خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان الطير يظله من حر الشمس وقت القائلة *(قال الثعلبي)* كان راتب مطبخ سليمان في كل يوم مائة الف شاة واربعين

الف بقرة خارجا عن الفواكه والحلاوات وغير ذلك ومع هذا كله لم يرجع عن اكل خبز الشعير بالملح الجريش وكانت الجن يغوصون له البحار ويستخرجون له منها الدرر الكبار ويحملونها بين يديه وذلك قوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية *(قال الثعلبي)* ان سليمان كان اذا جلس فى موكبه تقف الغلمان الحسان على راسه باطباق من الذهب وهى مملوءة من المسك السحيق وفيها صحف من الياقوت الاحمر وفيها شئ من ماء الورد وفوقها طيور صغار مثل العصافير ترفرف باجنحتها وتنزل فى ماء الورد وتمرغ فى ذلك المسك وتطير وتنفض على الكبير والصغير من جيشه (قال السدى) لم يقع لاحد من ملوك الارض مثل ماوقع لسليمان وذلك ان الريح مركبه والبحار خزائنه والجن خدمه والملائكة حفظته والطير من الشمس تظله والوحوش تحرسه وكان آصف ابن برخيا وزيره والاسم الاعظم مكتوبا على خاتمه *(وقيل ان سليمان)* تأمل ذلك وعجب بنفسه فمال البساط من تحته فى قوة سيره فهلك من جيشه نحو اثنى عشر الف انسان فى ساعة واحدة فلما رأى سليمان ذلك ضرب البساط بقضيب كان فى يده وقال اعتدل ايها البساط فأجابه البساط من تحته وقال له اعتدل انت ياسليمان حتى اعتدل انا فعلم ان البساط مأمور فخر سليمان ساجدا *(قال وهب بن منبه)* فلما اتسعت الدنيا عليه نسى الارملة التى تقدم ذكرها فلما تذكرها اضرب وتوجه اليها وهو ماش على قدميه فوقف على بابها فأذنت له بالدخول فدخل فوجد المرأة عمياء وحولها ثلاث بنات فقالت ياسليمان يوصيك الله بى وتغفل عنى هذه المدة الطويلة فاعتذر لها سليمان من ذلك وقال لها منذ كم وانت عازبة فقالت له منذ عشر سنين ومعى ثلاث بنات ولم يكن لى مايكفيهم من القوت فلما سمع سليمان ذلك حمل اليها مائة رحل مابين قماش ومال وغير ذلك وقال لها متى فرغ من عندك شئ فارسلى اعلمينى حتى ارسل اليك عوضه فان الله امرنى ان اكفيك هم الدنيا وامر المعيشة *(قال ابو عمر بن الجونى)* بينما سليمان سائر على بساطه بين السماء والارض اذ مر برجل راع فلما رأى الراعى البساط وسليمان وجنوده ركوبا عليه قال لقد آتاك الله يا ابن داود ملكا عظيما لم ينله احد قبلك فالقت الريح كلام الراعى الى سليمان فاحضر سليمان الراعى وقال له ان تسبيحة من مؤمن افضل مما اوتى سليمان من هذا الملك كله *(ومن النكت الغريبة)* مانقله الشيخ عبد الرحمن بن سلام المقرى فى كتاب العقائد ان سليمان لما رأى ان الله تعالى اوسع له الدنيا وصارت بيده قال الهى لو اذنت لى ان اطعم جميع المخلوقات سنة كاملة فأوحى الله اليه انك لن تقدر على ذلك فقال الهى اسبوعا فقال الله تعالى لن تقدر فقال الهى يوما واحدا فقال تعالى لن تقدر فقال الهى

ولو يوما واحدا فأذن الله تعالى له في ذلك فامر سليمان الجن والانس بأن يأتوا بجميع ما في الارض من ابقار واغنام ومن جميع ما يؤكل من اجناس الحيوان من طير وغير ذلك فلما جمعوا ذلك اصطنعوا له القدور الراسيات ثم ذبح ذلك وطبخه وامر الريح ان تهب على الطعام لئلا يفسد ثم مد ذلك الطعام في البرية فكان طول ذلك السماط مسيرة شهر وعرضه مثل ذلك ثم اوحى الله اليه يا سليمان بمن تبتدئ من المخلوقات فقال سليمان ابتدئ بدواب البحر فامر الله حوتا من البحر المحيط ان يأكل من ضيافة سليمان فرفع ذلك الحوت رأسه وقال يا سليمان سمعت انك فتحت بابا للضيافة وقد جعلت عليك ضيافتي في هذا اليوم فقال سليمان دونك والطعام فتقدم ذلك الحوت واكل من اول السماط فلم يزل يأكل حتى اتى الى آخره في لحظة ثم نادى اطعمني يا سليمان واشبعني فقال له سليمان اكلت الجميع وما شبعت فقال الحوت هكذا يكون جواب اصحاب الضيافة للضيف اعلم يا سليمان ان لي في كل يوم مثل ما صنعت ثلاث مرات وانت كنت السبب في منع راتبي في هذا اليوم وقد قصرت في حقي فعند ذلك خر سليمان ساجدا لله تعالى وقال سبحان المتكفل بأرزاق الخلائق من حيث لا يعلمون وقد قال في المعنى رزقي يأتي وخالقي يكفله * لا اقصد غيره ولا اسأله

ان كنت اظن انه من بشر * لا قدره الله ولا يسره

(ومن النكت اللطيفة ما ذكره ابن الجوزي) في كتاب الاذكياء ان الهدهد قال يوما لسليمان اريد ان تكون في ضيافتي يوم كذا وكذا فقال له سليمان انا وحدي قال لا بل انت وجنودك فلما جاء يوم الميعاد توجه سليمان هو وجنوده الى ضيافة الهدهد ونزل بجزيرة الهدهد فطار الهدهد الى الجو وغاب ساعة ثم اتى وفي فمه جرادة فخنقها ورمى بها في البحر وقال له يا نبي الله تقدم وكل انت وجنودك ومن فاته اللحم فعليه بالمرقة فضحك عليه سليمان فصار كلما تذكر تلك الضيافة سليمان يضحك (ومن النكت) مثل ذلك القنبرة اضافت سليمان واتته ببعض جرادة فقيل في معناها

اتت سليمان يوم الحرب قنبرة * تهدي اليه جرادا كان في فيها

وانشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار هاديها

لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

(ذكر قصة تزويج سليمان ببلقيس) قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه الصلاة والسلام جالسا على سرير مملكته اذ وقع عليه ضوء الشمس وكان الطير يظله من حر الشمس فكان ذلك المكان الذي وقع منه البعض من نور الشمس مكان الهدهد لانه تفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ودعا بالعقاب وكان عريف الطير فقال له اين الهدهد فارتفع

العقاب وسار يمينا ويسارا فلم يره فعاد وقال انه غائب وفي المعنى انشد بعضهم

ومن عادة السادات ان يتفقدوا * اصاغرهم والمكرمات عوائد
سليمان ذو ملك تفقد طائرا * وكانت اقل الطائرات الهدهد

فعند ذلك قال سليمان يعني الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا الآية (قال بعض العلماء) في معنى عذابه الشديد ماهو فقيل بأن ينتف ريشه ويسلمه الى النمل في القيلولة او يضعه مع غير جنسه او يذبحه فلما اقبل الهدهد تلقاه العقاب واخبره بما قاله سليمان فلما وصل اليه وقف بين يديه وخفض جناح الذل فلما رأى سليمان ذلك منه رق له ولم يعجل عليه وسأله عن سبب غيابه فقال الهدهد احطت بما لم تحط به علما فقال له سليمان وما هذه الدعوة العريضة قال اني وجدت امرأة بأرض اليمن لم يكن في قصرك مثلها ولا تقع العيون على احسن منها واسمها بلقيس ولها عرش عظيم اي اكبر من عرشك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى قال الطبري ان اسم بلقيس بلقمة وهي بنت هداد بن شرحبيل فلما بلغ سليمان سيرة بلقيس وانها تسجد للشمس من دون الله اخذ سليمان يدعوها للاسلام *(فقال للهدهد)* سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وكان نص كتاب سليمان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين فأخذ الهدهد كتاب سليمان ومضى به الى ارض سبأ وهو قوله جئتك من سبأ اي من نواحي اليمن فسار الهدهد والطيور حوله والبسه سليمان التاج على رأسه فحمل الكتاب في منقاره وصار يدعو من يؤمن برسول سليمان فلما وصل الى قصر بلقيس وكان وقت القائلة وجدها على سريرها نائمة وكان في قصرها ثلثمائة وستون كوة تشرق الشمس كل يوم من كوة فلا تعود اليها الا في سنة اخرى في مثل ذلك اليوم وكان لذلك القصر سبعة ابواب فلما اتى الهدهد بالكتاب دخل به من الكوة التي تقابل وجه بلقيس والقى الكتاب على صدرها ثم رجع الى تلك الكوة التي دخل منها لينظر ماذا تصنع فلما انتبهت من منامها وجدت الكتاب على صدرها فلما قرأته قبلته ووضعته على رأسها (قال السدي) لما القى الهدهد الكتاب على صدر بلقيس طار الشرك من قلبها ومالت الى الاسلام ثم انها أمرت باحضار قومها وقالت ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم قيل كرامته ختمه فاعلمتهم بما في الكتاب فلما سمعوا ذلك قالوا نحن اولو قوة واولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين وكانت بلقيس تحكم على اثني عشر قبيلة من قبائل اليمن فلما قال قومها نحن اولو قوة واولو بأس شديد قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم

يرجع المرسلون وكانت بلقيس من ذوي العقول قد دبرت ملك اليمن وسياسة الرعية احسن سياسة (قال قتادة) ان بلقيس ارسلت الى سليمان هدية حافلة ارسلت خمسمائة لبنة من الذهب الفضة وزن كل لبنة مائة رطل وخمسة اسياف من الصواعق وتاجين من الذهب فيهما من الجواهر النفيسة واليواقيت والزبرجد وارسلت اليه حقة فيها درة مثمنة وخرزة من الجذع وهي معوجة الثقب وارسلت مائة جارية ومائة غلام مرد والبست الغلمان لبس الجواري والجواري لبس الغلمان ثم امرت الغلمان ان يتكلموا بكلام لين والجواري يتكلمن بكلام غليظ وارسلت مع تلك الهدية رجلا من عقلاء قومها يقال له المنذر بن عمرو وكتبت له كتابا بشرح الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز لنا بين الجواري والغلمان واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا من غير علاج انس ولا جان والضم الخرزة كذلك ثم قالت للرسول انظر اليه فان كان نظره اليك بغير غضب فهو نبي والا فهو ملك فلا يهولك امره وافهم قوله ورد على الجواب كما تسمعه منه فلما توجه الى سليمان سبقه الهدهد واخبر سليمان بالهدية وبما قالته بلقيس جميعه فلما سمع سليمان بذلك رضي على الهدهد وصارت له فضيلة على سائر الطيور وكان يرى الماء تحت الارض فكان دليل سليمان على الماء في سفره وصار من الطيور المباركة ثم ان سليمان امر الجن ان يعملوا لبنا من ذهب وفضة ويفرشوها على طريق جماعة بلقيس فلما فرشوها جعلوا بين اللبنات موضعا خاليا على قدر اللبنات التي مع رسول بلقيس قدرا وعددا وجلس سليمان على كرسيه فأمر الجن بان يأتوا باحسن دواب البر والبحر فيجعلوها عن يمين الديوان وعن شماله وجعل من حوله الانس والجن والطيور حافة فوق رأسه والوحوش حول ذلك كله فلما وصل رسول بلقيس ومر على تلك اللبنات الذهب والفضة ورأى المحل الخالي بين اللبنات وضع الخمسمائة لبنة في ذلك المحل الخالي الذي جعله سليمان غنية له ومازال بعد ذلك سائرا حتى دخل الرسول على سليمان فنظر اليه نظر البشاشة وقال له اين الحقة التي معك فأتى بها فقال قبل ان يفتحها سليمان للرسول ان فيها درة مثمنة من غير ثقب وفيها خرزة من جذع وهي معوجة الثقب فقال الرسول صدقت يانبي الله ثم ان سليمان امر الارضة وهي دويبة صغيرة فأخذت شعرة في فمها ودخلت في تلك الخرزة وخرجت من الجانب الآخر وامر دودة بيضاء ان تثقب تلك الدرة فثقبتها ثقبا مستويا ثم نظمهما واعطاهما للرسول ثم امر الجواري والغلمان بأن يغسلوا وجوههم بين يديه بأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها الواحدة ثم تجعله في الاخرى فتضرب به وجهها والغلام يأخذ الماء من الاناء دفعة واحدة ويضعه على وجهه *(قال الثعلبي)* كانت الجارية تصب الماء على باطن

كفها والغلام يصب الماء على ظاهر كفه فعند ذلك ميز بين الجوارى والغلمان ثم رد
جميع الهدية الى الرسول فلما رجع الرسول الى بلقيس اخبرها بجميع ما راى وبما سمع
وبما شاهده من عظيم ملكه فقالت بلقيس وهونبي وليس لنا بحربه طاقة ثم انها
ارسلت تقول لسليمان انى قادمة اليك انا وقومي لانظر ماذا تدعونا اليه من دينك
وعزمت على التوجه اليه وجعلت عرشها فى قصرها واغلقت عليه الابواب وجعلت عليه
حراسا واوصتهم بحفظه ثم انها توجهت الى سليمان فى اثنى عشر الفا من قومها فلما
نزلت على مقدار فرسخين من مدينة سليمان بلغه ذلك فاراد اخذ عرش بلقيس قبل
ان تصل اليه لير يها قدرة الله تعالى وما اعطاه من المعجزات فجمع اهل المعارف من
قومه وقال ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين اى قبل ان يؤمنوا بالله
فيحرم علينا اخذه اموالهم ثم انه احضر الجن وقال لهم ذلك وكان فيهم عفريت من الجن
يقال له صخر الجنى قال له انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك هذا اى من مجلسك
الذى تقضى فيه بين الناس وهو من اول النهار الى نصفه والاصح انه الى قبل وقت
الزوال وقال العفريت وانى عليه لقوى امين اى امين على الجواهر التى رصع بها العرش
فقال سليمان اريد اسرع من ذلك فقال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان
يرتد اليك طرفك قال مقاتل هو جبرائيل عليه السلام (وقال السدى) هو ابو العباس
الخضر عليه السلام (وقال مجاهد) هو آصف بن برخيا وكان يحفظ الاسم الاعظم فقال
انظر يا نبي الله الى جهة اليمن فنظر فما رجع نظره الا والعرش قد ظهر قدام كرسى
سليمان وكان مجيئه من مسيرة شهرين فلما رآه مستقرا عنده فى ايسر مدة قال هذا من
فضل ربى فلما وصلت بلقيس ودخلت على سليمان فقال لها اهكذا عرشك قالت
كأنه هو فعلم سليمان انها امرأة عاقلة حيث لم تثبت انه هو ولم تنفيه لاشتباهه عليها
ثم قال لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة اى ماء فكشفت عن ساقيها فراى سليمان
على ساقيها شعرا مثل شعر المعز فصرف وجهه عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير اى
زجاج مستوى وليس هو ماء ثم انه دعا بلقيس الى الاسلام فأسلمت على يده فاراد
سليمان ان يتزوج بها انما كره منها ذلك الشعر فشكى ذلك الى بعض الجن فصنع لها النورة
فزال ذلك الشعر من بدنها جميعه فهى اول من استعمل النورة ثم ان سليمان تزوج بها
واحبها حبا شديدا وجعلها على ملكها باليمن وامر الجن ان يبنوا لها ثلاث قصور فى بلاد
اليمن احسن من قصورها وكان سليمان يزورها فى الشهر مرة واقامت معه الى ان ماتت
بعده بمدة يسيرة وكان لسليمان من الزوجات والسرارى نحو السبعمائة سرية فقام فى
ذهنه يوما ان يطوف على نسائه كلهن فتحمل كل واحدة بغلام فيجاهدون كلهم

فى سبيل الله ولم يقـل ان شاء الله فطاف عليهن فى تلك الليلة فلم تحمل منهن امرأة سوى واحدة قد جاءت بولد بنصف جسد *(قال النبى صلى الله عليه وسلم)* والذى نفسى بيده لو قال انى سليمان ان شاء الله لجاءت له فرسان يجاهدون فى سبيل الله كما طلب (قال العزيزى)* بينما سليمان سائر فى بعض الغزوات اذ مر بوادى النمـل فسمع نملة تقول لبقية النمل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهـم لا يشعرون فالقت الريح ذلك فى اذن سليمان عليـه السـلام فتبسم ضاحكا من قولها ثم قال ائتونى بها فقال لها يا ايتها النملة لم حذرت النمل منى ومن جنودى اما علمت انى نبى لم اظلم فعفا عنها ولم يدخل الوادى التى فيه النمل (قال) بينما سليمان جالس فى وقت القائلة واذا بخيـل اسرع من الهواء وردت الماء وشربت منه ثم ادبرت مسرعة كالريح فجمع سليمان الجن وقال اريد ان تحضروا الى هذه الخيل فقال بعضهم لا طاقة لنا بها وقال بعض الجن نتحايل فى قبضها فاتتها الجن ومسكوها ووضعوا اللجـم فى افواهها وركبوها فلم تقـدر ان تنفر من اللجم فعرضوها على سليمان فاشتغل بها ففاتته صلاة العصر فلما رأى ان العصر قد فاته بكى وجعل يستغفر الله فرجعت الشمس له حتى صلى العصر حاضرا فلما فرغ من صلاته قال ردوها على وطفق يقطع رؤسها وسوقها اى قوائمها لانها كانت سبب المعصية وفى شريعته يلزم زوال ذلك السبب الذى حصلت به المعصية فقتل نحو سبعمائة فـرس وهرب البعض وبقى البعض وقد استمرت تلك الخيول تتناسل من ذلك اليوم فكان من نسلها الخيول الجياد السوابق الى الآن المعروفات بالاصائل *(ذكر قصة خاتم سليمان بن داود عليـه السـلام)* قال وهب بن منبـه كان سليمان لا يزال الخاتم معه فى اصبعه دائما لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان اذا دخـل الخلاء نزعه من اصبعه ويوكل به احـدا ممن يثق به وكان على ذلك الخـاتم مكتوب الاسم الاعظم ففى مرة دخـل الخـلاء وكان قد نزعه واعطاه لجارية فجاء بعض الشـياطين الى تلك الجارية على صورة سليمان ولم تشـك فيه الجارية واخذ الخـاتم منها ووضعه فى اصبعه وخرج الى الديوان وجلس عـلى الكرسى فجاءت الجنود من الانس والجن والطيور ووقفت بين يديه عـلى عادتها ويظنون انه سليمان فلما خرج سليمان من الخلاء طلب الخاتم من الجارية فنظرت اليـه فـرأت هيئته تغيرت فقـالت له ومن انت فقال لها انا سليمان بن داود فقالت له وسليمان اخـذ خاتمـه وذهب وجلس على كرسيه فعلم سليمان ان شيطانا احتال عليها اخذ منها الخاتم ففر سليمان الى البرارى والقفار وكان قد زاد به الجوع والعطش فكان بعض الاحيان يسأل الناس ليطعموه ويقول انا سليمان بن داود ولم تصدقه الناس فاقام على هـذه الحالة اربعين يوما جائعا باثواب خلقـه مكشوف الرأس ثم انه اتى الى

ساحل البحر فرأى جماعة من الصيادين فاصطحب بهم وعمل صيادا معهم ثم ان آصف بن برخيا قال يا معشر بني اسرائيل ان خاتم سليمان قد احتالت الشياطين عليه فسرقوه وان سليمان خرج هاربا على وجهه فلما سمع الشيطان الذي على الكرسي ذلك الكلام خرج هاربا الى البحر والقى الخاتم فالتقمه حوت من حيتان البحر ثم ان سليمان اصطاد ذلك الحوت بأمر الله تعالى فشق بطنه واذا هو بالخاتم فوضعه في اصبعه وسجد لله شكرا ثم انه قام من وقته ورجع الى كرسيه وجلس عليه وذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا الآية *(قال وهب بن منبه)* وكان سبب اخذ الخاتم وعوده اليه ان سليمان خرج في بعض الغزوات فظفر بملك من ملوك اليونان فقتله واحتوى على ملكه وامواله واسر اولاده وكان في اولاده جارية حسنة لم تر العيون احسن منها فاحبها سليمان حبا شديدا وكان لا يصبر عنها ساعة وكان يعلو شأنها بالمحبة على سائر نسائه فدخل عليها يوما فرآها مهمومة فقال لها ما بالك قالت قد تذكرت ابي وما كان عليه من الملك واريد منك ان تأمر بعض الشياطين بأن يصور لي صورة ابي وهيئته حتى يذهب عني الحزن كلما نظرت اليها فأمر سليمان عفريتا من الجن يقال له صخر المارد بأن يصور لها هيئة ابيها فصنع له صخر صنما كهيئة ابيها يكاد ان ينطق فزينته والبسته التاج والحلل وصارت اذا خرج سليمان الى جنوده تسجد لذلك الصنم هي وجميع من عندها من الجواري فدامت تلك الجارية على ذلك اربعين يوما وسليمان لا يعلم بالسجود لذلك الصنم فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صاحب سر سليمان فجلس يوما على كرسي سليمان وجعل يعظ الناس فاثنى على من مضى من الانبياء عليهم السلام جميعهم الا سليمان فلم يذكره بشئ فتغير سليمان بسبب ذلك فلما فرغ آصف من المجلس وقام وتفرقت بنو اسرائيل قال سليمان لآصف لم لم تذكرني مع جملة من ذكرت فقال آصف وكيف اذكرك وقد عبد في دارك صنم من منذ اربعين يوما لاجل امرأة ثم ان سليمان امر بكسر ذلك الصنم وعاقب تلك الجارية ودخل الى معبده وصار يبكي ويتضرع الى الله تعالى فابتلاه الله بذهاب الخاتم ونزع الملك منه مقدار ما عبد الصنم في داره (قال ابو بكر الحافظ) كان قد وقع قحط في بني اسرائيل في زمن سليمان عليه السلام فخرجوا يستسقون فرأى سليمان نملة ملقاة على قفاها رافعة يديها نحو السماء وهي تقول اللهم انجنا فانا خلق من خلقك ضعاف لا قوة لنا فلا تهلكنا وتأخذنا بذنوب غيرنا فلما سمعها سليمان قال ارجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم *(ذكر وفاة سليمان عليه السلام)* قال العزيزي ان ملك الموت اتى الى سليمان وكان صديقه وكثيرا ما يزوره فقال سليمان متى موتي فقال له عزرائيل عليه السلام وقت موتك

اذا خرجت من موضع سجودك شجرة الخروب فاذا رأيتموها فهو وقت وفاتك وكان سليمان اذا صلى في بيت المقدس ينبت في مكان سجوده شجرة فيسأل الشجرة عن اسمها فتقول اسمي كذا ومن منافعي كذا ومن مضاري كذا فيكتب ذلك ويأمر بغرسها في بستان له فبينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت له اسمي الخروبة قد جئتك بالاشارة لموتك وخراب هذا المسجد يعني بيت المقدس فلما سمع سليمان كلامها امر بغرسها في حائط البستان وكتب منافعها ومضارها ثم لبس اكفانه ودخل الى محرابه واتكأ على عصاه وقال اللهم اكتم موتي عن الجن حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فأتاه ملك الموت وقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يزل كذلك سنة كاملة ولم يشعر احد من الانس والجن بموته ولا يشعروا بحاله وقد سلط الله تعالى الارضة على العصا فاكلتها شيأ فشيأ فخر ملقى على الارض لما سقطت به العصا فعلموا انه قد مات من سنة مضت وهو قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبين للانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين من بناء بيت المقدس وغيره *(قال)* وهب بن منبه لما تولى الملك سليمان من ابيه داود كان عمره يومئذ ثلاثة وعشرين سنة وتوفي سليمان وله من العمر مائة وثمانون سنة واختلفوا في مكان قبره قيل دفن في طبرية وقيل ببيت لحم وقيل عند ابيه داود ببيت المقدس في المسجد وقبره هناك مشهور يزار والله اعلم انتهى على سبيل الاختصار *(ذكر خبر بلوقيا وبناء بيت المقدس)* قيل ان بلوقيا الاسرائيلي طاف في الارض فمر بالبحر الثاني فرأى جبلا فيه كهف فدخل في ذلك الكهف فرأى سريرا من الذهب وعليه رجل ملقى على قفاه ويده على صدره والاخرى على بطنه وهو كالنائم وفي اصبعه خاتم عليه اربعة اسطر ورأى عند رأسه تنينين عظيمين فاراد بلوقيا ان يأخذ الخاتم من اصبعه فقام اليه التنينان وصعد من افواههما النار وسمع قائلا يقول ويلك يا بلوقيا اتجسر على نبي الله سليمان وتنزع خاتمه من اصبعه فخرج بلوقيا وهو مرعوب *(قال)* الثعلبي اوحى الله الى داود عليه السلام ان يتخذ في بيت المقدس مسجدا فشرع في بنائه ومات قبل ان يستكمله فلما توفي داود اوصى ابنه ان يتمه فجمع سليمان الانس والجن وقسم عليهما الاعمال في البناء والسقوف والرخام ثم انه جعل فيه اثنى عشر رباطا وانزل كل سبط في رباط وامر الجن ان يأتوه بمعادن الذهب والفضة والرخام الملون ومعادن الحديد والنحاس والخشب وغير ذلك ثم جعل في وسط المسجد قبة وجعل فيها عمودا احمر من الذهب يتلألأ كالشمس فتستضيء به المسافرون في الليل وجعل تحت القبة اصطبلا لدوابه وصف فيها المعالف لخيوله وهي باقية الى الآن تزار وجعل طول

ذلك المسجد سبعمائة ذراع بذراع العمل وجعل عرضه اربعمائة وخمسين ذراعا ثم سقفه بخشب الساج وصفحه بالذهب والفضة ووضع فيه الجواهر واليواقيت من سائر المعادن وجعل فوق ذلك السقف ألواحا من الرصاص لاجل حفظه من الامطار وفرش ارض المسجد بالرخام الملون فلم يكن يومئذ احسن منه بناء فلما فرغ من بنائه صنع لجنوده وليمة حافلة قال السدى وكان بهذا المسجد من العجائب لوح من الرخام الابيض اذا نظر فيه انسان وكان ولد زنا يسود وجهه فيفتضح بين الناس وكان به عصا من الابنوس اذا مسها احد وكان من اولاد الانبياء فلم يضره مسها واذا مسها احد وكان من نسل غير الانبياء احترقت يده وكان به كلب من الخشب اذا مر به من كان عنده شئ من علم السحر ينبح عليه فيعلم الناس انه ساحر ويسلب منه علم السحر وكان فى المسجد باب اذا دخل منه ظالم يضيق عليه ذلك الباب حتى يتوب وكان بهذا المسجد السلسلة المقدم ذكرها وكان به عجائب كثيرة لا يسمع بمثلها قال العزيزى اقام سليمان فى بناء هذا المسجد اربعين سنة وكان فيه من البنائين سبعون ألف بناء ومن النجارين ثمانون الفا وكان له فى كل ليلة الف رطل دمشقى من الزيت برسم القناديل (قال) كعب الاحبار كان يجيء لهذا المسجد من البلاد فى كل سنة ستمائة قنطار من الذهب والفضة لاسيما من بلاد الروم (وروى) فى بعض الاخبار ان صخرة بيت المقدس يخرج من تحتها ماء اعذب من سائر البحار العذبة ثم تتفرق فى الارض وفيه دفن كثير من الانبياء ولم يزل هذا المسجد عامرا حتى ظهر بخت نصر وخرب البلاد فخربه فى جملة ما خربه قال الثورى لما خرب بخت نصر المسجد حمل منه الف جمل من الذهب والفضة والجواهر انتهى *(ذكر قصة بخت نصر البابلى)* وقيل اسمه بخت فارسى وذكر ما وقع له مع ارمياء عليه السلام قال وهب بن منبه كان ارمياء من سبط اولاد يعقوب عليه السلام *(قال)* السدى ارمياء استخلف على بنى اسرائيل فأوحى الله اليه ان هلاك بنى اسرائيل على يد رجل يقال له بخت نصر وهو من ملوك بابل وكان بخت نصر المذكور من ولد يافث بن نوح عليه السلام كان قد عمر دهرا طويلا قيل انه عاش الفا وخمسمائة سنة فلما سمع ارمياء ما اوحى الله تعالى اليه بكى وصاح واتى الى ملك بنى اسرائيل وكان رجلا مؤمنا صالحا فاخبره بما اوحى الله تعالى اليه فلما سمع ذلك جمع اعيان بنى اسرائيل واخبرهم بما اوحى الله تعالى اليه وحذرهم من نزول هذه النقمة بهم وكان يحذرهم من امور يفعلونها فمكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين وهم لا يزدادون الا طغيانا وفسقا ومعاصى فلما حلت بهم نقمة الله خرج بخت نصر عليهم واتى من نحو بابل وكان صحبته ستمائة الف امير من امرائه واقونوا بالرايات عند الجند والعشائر فلما زحفوا على البلاد ووصلوا

الى بيت المقدس فقال ارمياء اللهم ان كان بنو اسرائيل على طاعتك فابقهم وان كانوا عاصين فاهلكهم بشئ من قدرتك فحين دعا ارسل الله صاعقة من السماء على بيت المقدس فاهلكت من بني اسرائيل جانبا عظيما واحرقت مكان القربان ثم دخل بخت نصر الى بيت المقدس بمن معه من الجنود فهدم مسجد سليمان بن داود وامر رجاله ان يرموا فيه ترابا فملؤه بالتراب ثم بالجيف وذبحوا فيه الخنازير واحرقوا التوراة التى كانت به ثم شرعوا فى القبض على بنى اسرائيل من كبير وصغير وصار يقتلهم واستمر بخت نصر ينهب ويقتل ويخرب فى البلاد والجوامع ويقتل الناس من الفرات الى العريش وهو على ماذكرناه من القتل والنهب والخراب ولم يرحم كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره (قال) الثعلبي لم يبق من بني اسرائيل رجلا الا وقتله واما الاطفال ففرقها على جنوده فاصاب كل رجل اربعة اولاد (قال) وكان فى هذه الاطفال جماعة من الاسباط من اولاد يعقوب ويوسف عليهما السلام وكان فيهم جماعة من اهل بيت داود وكان فيهم دانيال عليه السلام وكان يومئذ صغيرا لم يبلغ الحلم وهو قوله تعالى فجاسوا خلال الديار ثم ان بخت نصر جعل الاسارى على ثلاث فرق فالشيوخ والعجائز والزمنى تركهم وجعل النساء الشابات فى الاسواق للبيع والشراء وفرق الاطفال وقتل الشباب والشجعان وحمل الاموال والتحف ورحل ورجع الى الشام ثم توجه الى مصر فعمل فى القبط بالسيف وخرب ما كان بها من العمارات العجيبة والطلسمات واخذ الاموال والتحف فرحل عنها وتركها خرابا بلقعا وبقيت مصر خرابا مدة اربعين سنة لا ساكن بها فكان النيل ينفرش على الارض ويذهب ولا يزرع احد عليه ثم ان بخت نصر توجه الى بلاد الغرب وفعل كذلك ثم توجه الى بلاد السودان وفعل كذلك وهو اول من احدث المكين من العساكر فى الحرب وكان بخت نصر نقمة فى الارض وجعله الله كالطاعون فى الارض وقد ورد فى الاخبار عن الله عز وجل قال من عصانى ممن يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى ثم رجع بعد ذلك بخت نصر الى بابل * (قال الله تعالى) * وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة الآية فمن يومئذ تفرقت بنو اسرائيل فى البلاد خوفا من بخت نصر فنزلت طائفة بيثرب وطائفة بابلة وغير ذلك من الاماكن واستمر بيت المقدس خرابا مدة سبعين سنة حتى عمره شخص من ملوك الفرس يقال له كيرش * (قال) * فمن يومئذ فقدت التوراة ونسى امرها وصارت بنو اسرائيل لا يعرفون منها حرفا واحدا حتى ردها الله تعالى على لسان العزير عليه السلام (قال) السدى ان بخت نصر اخرب بهذه الحركة نصف الدنيا انتهى ما اوردناه على سبيل الاختصار * (ذكر قصة العزير عليه السلام) * قال الله تعالى او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه

قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اى لم يتغير (قال) قتادة طعامه من التين الاخضر (وقال) الطبرى كان طعامه من العنب الاسود وقد اتى عليه مائة عام ولم يتغير (قال الله تعالى) وانظر الى حمارك وكان حماره قد اماته الله بعده فأحيا الله اولا راس العزير فصار ينظر الى العظام وكيف يكسوها الله لحما واحيى له الحمار فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير (قال) السدى جاء بعد بخت نصر ملك من الجبابرة يقال له بردادس وكان بمدينة آذربيجان وكان على دين المجوس فاباح للناس نكاح الامهات والاخوات وعبادة النيران ولم يزل على هذا الحال معمولا به عند الفرس الى زمن كسرى انوشروان فابطله فى ايامه انتهى

(ذكر قصة دانيال عليه السلام)

قال الثعلبى لما اسر بخت نصر الاطفال كما تقدم واسر من جملتهم دانيال واخذه معه الى ارض بابل فسجن دانيال وسجن معه جماعة من الاسباط ثم ان بخت نصر رأى فى منامه رؤيا افزعته فسأل الكهان عنها فلم يجيبوه بشئ فجاء السجان وقال لبخت نصر ان عندنا فى السجن شابا يقول انه يفسر ما رأيت فقال آتونى به فلما حضر بين يديه لم يسجد له فقال لاى شئ لم تسجد لى فقال دانيال لا ينبغى السجود لغير الله فعجب منه وقص عليه ما قد رآه قال دانيال هذا امر سهل وكانت الرؤيا بانه رأى صنما راسه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ورأى حجرا نزل من السماء على ذلك الصنم فكسره ثم انتشر ذلك الحجر حتى ملا المشرق والمغرب ورأى شجرة اصلها فى الارض وفرعها فى السماء ورأى عليها رجلا وبيده فاس يقطع بها فروع تلك الشجرة ثم ترك اصلها قائما على حاله فلما سمع كلامه فسر له ذلك على احسن وجه ثم ان بخت نصر اكرم دانيال وقربه وصار لا يتصرف بشئ الا برأيه فلما رأى المجوس ذلك نهوا بخت نصر عنه وحرضوه منه فأمر بقتله فحفر له اخدود فى الارض والقاه فيها والقى معه سبعين ضاريين فلما بات تلك الليلة واصبح وجده بخت نصر لم تضره السباع فقربه الملك بخت نصر فحسده المجوس واتهموه فقالوا لبخت نصر ان دانيال يقول انك تبول فى الفراش كلما نمت وكان ذلك عارا عند الملوك فامر بخت نصر بوليمة واحضر دانيال اليها وجاء الليل فأمر بخت نصر دانيال ان ينام عنده تلك الليلة على فراشه وقال بخت نصر للبوابين اذا خرج عليكم من يريد ان يبول فاقطعوا راسه ولو كنت انا فلما نام دانيال هو وبخت نصر على فراش واحد حبس البول عن دانيال وانطلق على بخت نصر فكان اول من قام يريد الخلاء فضى وهو يسحب اذياله لا يستطيع ان يرفع قامته من البول فرأته الحجاب فقاموا اليه بالسيوف فقال انا بخت نصر فقالوا كذبت انه امرنا ان نقتل من خرج يريد البول فقتلوه باختاره

واهلكه الله لدانيال وانجى الله دانيال *(وذكر)* بعض المؤرخين ان بخت نصر
لعنه الله وقام محمو وخمسة سنين على صورة ثور فكان ذلك تأويل رؤياه فلما مات
تولى بعده ابنه بلسطاس فاقام بعد ابيه اربعين سنة ثم ان دانيال توجه الى جهة سكندرية
فاقام بها الى ان مات ودفن هناك وقبره مشهور ويزار عليه السلام وهو اول من فرق بين
الشهود عند الشهادة *(قال العزيزى)* لما فتحت مدينة سكندرية فى زمن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه عن يد عمرو بن العاص ودخلها المسلمون راوا خبايا مقفولة
باقفال من الحديد ففتحوها فوجدوا فيها حوضا من الرخام الاخضر مغطى برخامة خضراء
فكشفوها فاذا فيها رجل وعليه اكفان منسوجة بالذهب عظيم الخلقة فقاسوا انفه زاد
على شبرين فارسلوا اعلموا عمر بن الخطاب فاحضر عليا رضى الله عنهما واخبره بذلك فقال
على رضى الله عنه هذا نبى الله دانيال فارسل عمر رضى الله عنه بان يجددوا له اكفانا
فوق ما عليه من الاكفان وان يحصن قبره حتى لا يقدر احد على حفره فحفروا له قبرا فى
مدينة سكندرية *(ذكر قصة لقمان الحكيم عليه السلام)* قال وهب بن منبه
كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا *(قال)* عكرمة كان نبيا من انبياء بنى اسرائيل
وكان اصله عبدا حبشيا وقيل نوبيا وكان اسمه لقمان بن سرون وكان لرجل قصار من بنى
اسرائيل من اهل مدينة ايله فاشتراه بثلاثين دينارا فاقام عنده مدة ثم اعتقه وكان ينطق
بالحكمة وكان مقيما بمدينة الرملة قريبا من بيت المقدس فكان بنو اسرائيل ياتون
اليه ليسمعوا منه الحكمة والموعظة فلما اشتهر بالحكمة جاء اليه رجل من عظماء بنى
اسرائيل فقال له يا لقمان الم تكن عندنا بالامس عبد الفلان قال نعم فقال من اين لك
هذه الحكمة قال بصدق الكلام وبترك ما لا يعنى وكان نبى الله داود عليه السلام يأتى
اليه ليسمع منه الحكمة ولم يزل لقمان بمدينة الرملة حتى مات ودفن بين المسجد الذى
بها وبين السوق *(قال)* السدى دفن حول قبر لقمان سبعون نبيا ماتوا كلهم فى يوم
واحد بالجوع والعطش وكان قد حاصرهم ملك من بنى اسرائيل حتى ماتوا وقد ذكر الله
لقمان فى القرآن العظيم حيث قال ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية *(قال)* وهب
ابن منبه كان من الانبياء ثلاثة سود الالوان لقمان وذو القرنين ونبى الله صاحب
الاخدود *(ذكر قصة صاحب الاخدود)* قال وهب بن منبه كان ملك
من ملوك الفرس وكان جبارا عنيدا فسكر ذات ليلة فنكح اخته فلما افاق من سكره
جمع العلماء الذين فى زمانه وقال لهم كيف الخلاص مما وقعت به فلم يجيزوا له ذلك
فقالت اخت الملك ان من الرأى ان تخرج الى اهل مملكتك وتخبرهم بان الله قد احل
نكاح الاخوات ففعل فانكر عليه نبى ذلك الزمان الذى بعثه الله اليهم فلما بلغ الملك

انه كان النبي عليه احضره الى بين يديه * وقال له اخبر الناس بان الله قد احل نكاح
الاخوات فامتنع من ذلك وقال ان هذا الايجوز ولا يحل ولا نكذب على الله فامر الملك بان
تقتل فحفر له اخدودا فى الارض وجعل فيه انارا موقدة وقذفه فى تلك النار وقذف معه
الني عشر الف انسان من العلماء من بنى اسرائيل ممن خالف امره انتهى * (ذكر قصة
بلوقيا) * قال الثعلبي كان فى زمن بنى اسرائيل رجل يقال له ارشا وكان من علماء بنى
اسرائيل وكان يقرأ فى الكتب القديمة خبر فيها على بعث محمد النبي صلى الله عليه وسلم
فجمع ذلك كله فى صحيفة وخبأها عنده فى صندوق وقفل عليها قفلا واخبأ مفتاحه فى
مكان خفى عنه وكان له ولد صغير يقال له بلوقيا فلما مات ابو بلوقيا اوصى ابنه بان يقضى
فى بنى اسرائيل من بعده فلما كان فى بعض الاوقات ادراى بلوقيا الصندوق فوجده
مقفولا فسأل امه فقالت لا ادرى ما فيه ولا اعلم اين مفتاحه ثم ان بلوقيا كسر القفل
وفتح الصندوق فرأى الصحيفة المكتوب فيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
خاتم الانبياء والمرسلين وان الجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها هو وامته فلما قرأ
الصحيفة اخرجها العلماء بنى اسرائيل فلما سمعوا ببعث محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا
لبلوقيا كيف كان ابوك يعلم ذلك ولم يخبرنا فوالله لولاك لحرقنا قبره لاجل انه كتم علينا
خبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم ان بلوقيا ودع امه وقال يا اماه انى قد وجدت
انه سيبعث نبي آخر الزمان وانى مسافر ولا ارجع حتى أقف على اخباره فقالت امه بلغك
الله مناك وسار من مصر فى طلب محمد صلى الله عليه وسلم وطاف البلاد من المشرق الى
المغرب حتى وصل الى البحر السابع ورأى العجائب الكثيرة التى لم يرها غيره من
الناس (فمن جملة) ما رأى فى جزائر البحر جزيرة فيها حيات كامثال البخاتى
الكبار وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فقال لهم بلوقيا السلام عليكم فقالت له
الحيات ما سمعنا قط بمثل هذا فقال هذه سنة آدم فقالوا من انت فقال من بنى اسرائيل
فقالوا لا نعرف آدم ولا بنى اسرائيل فقال لهم بلوقيا وكيف عرفتم محمدا فقالوا نحن منذ
خلقنا الله تعالى على هذه الصفة امرنا بذلك ونحن من حيات جهنم فقال لهم بلوقيا وكيف
اخبار جهنم فقالوا سوداء معتمة تتنفس فى كل سنة مرتين مرة فى الصيف فذلك الحر
من نفسها ومرة فى الشتاء وذلك البرد من نفسها ثم ان بلوقيا دخل الى جزيرة اخرى
فرأى فيها حيات أعظم مما رأى اولا كامثال جذوع النخل ورأى بينهم حية صفراء ان
مشت مشت حواليها الحيات فلما رأين بلوقيا قلن له من انت فقال انا بلوقيا من بنى
اسرائيل فقلن ما سمعنا بهذا الكلام من قبل وانا موكلة بجميع الحيات التى فى
الدنيا ولولاى لشردت الى بنى اسرائيل وقتلتهم فى يوم واحد فمضى بلوقيا الى ان وصل

الى البحر السابع فرأى من العجائب ما يطول شرحه فمن جملة ما رأى جزيرة فيها نخيل
من ذهب اذا طلع عليه الشمس يصير له لمعان كالبرق فلا تستطيع الابصار رؤيته من
شدة بريقه وفي هذه الجزيرة اشجار عظام حملها فديده الى حمل بعض الاشجار فنادته
اليك عني يا خاطئ فتأخر وجلس واذا هو بجماعة نزلوا من السماء وبايديهم سيوف
مسلولة فلما رأوا بلوقيا قالوا له كيف وصلت الى هذا المكان فقال لهم انا من بني اسرائيل
واسمي بلوقيا ومن تكونوا انتم قالوا نحن قوم من الجن المؤمنين كنا في السماء فانزلنا
الله الى الارض وامرنا ان نقاتل كفار الجن في الارض فنحن نقاتلهم فتركهم بلوقيا
ومضى فاذا هو بملك عظيم الخلقة واقف ويده اليمنى في المشرق والاخرى في المغرب وهو
يقول لا اله الا الله فتقدم اليه وسلم عليه فقال له من انت قال بلوقيا رجل من بني اسرائيل
خرجت في طلب خاتم النبيين فقال له بلوقيا ومن انت قال انا الملك الموكل في ظلمة الليل
وضوء النهار فقال له بلوقيا ما هذان السطران اللذان في جبينك فقال له مكتوب فيهما
زيادة الليل والنهار وقصرهما فما امسك الليل الا بقدر معلوم وتقدم بلوقيا واذا بملك
عظيم الخلقة وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه فرد عليه السلام فسأله
بلوقيا عما هو فيه فقال انا ملك موكل بالريح وبالبحر فلا اخرج الريح الا باذن من الله واني
ماسكه بيميني وماسك البحر بشمالي ولولا ذلك لهلك جميع من في الارض فتركه بلوقيا
ومضى حتى انتهى الى جبل قاف واذا هو من ياقوتة خضراء وقد احاط بالدنيا جميعها فمن
شعاع ذلك ترى سماء الدنيا زرقاء وقد وكل الله تعالى بهذا الجبل ملكا فاذا اراد الله ان
يزلزل جانبا من الارض امر ذلك الملك ان يحرك العرق الذي يتصل بذلك الجانب الى
جبل قاف فتصير الزلزلة واذا اراد الله خسف قرية فيأذن الله لذلك الملك ان يقطع
عرقها من الارض فتنخسف فقال بلوقيا لذلك الملك وما وراء هذا الجبل فقال اربعون
الف مدينة غير مدائن الدنيا وهي من ذهب وفضة وليس يغشاها الليل ولا النهار وسكان
تلك المدائن ملائكة يسبحون الله لا يفترون قال بلوقيا وما وراء تلك المدن قال سبعون
الف حجاب كل حجاب قدر الدنيا ولا يعلم ما وراء تلك الحجب الا الله تعالى فترك ذلك ومضى
حتى انتهى الى جبل فوجد فيه ملائكة على هيئة الغزلان فسلم عليهم فردوا عليه
السلام فقال لهم من انتم قالوا نحن ملائكة من ملائكة الله نتعبد الله ههنا منذ خلقنا
فسألهم عن جبل يقابلهم عظيم وهو يرهج كالشمس فقالوا هذا جبل الدنيا من ذهب
وجميع معادن الذهب التي في الارض فهي ممتدة منه ثم تركهم ومضى حتى انتهى الى
بحر عظيم وفيه حوتان عظيمان فسلم عليهما فردا عليه السلام وقالا له من انت يا خلق
الله قال انا بلوقيا من بني اسرائيل جئت في طلب محمد خاتم النبيين هل عندكم

ما اطعموني فاخرجوا له من غيب الله رغيفا فاكله فلم يجع بعد ذلك ثم انتهى الى جزيرة
فراى فيها طيرا عظيم الخلقة حسن الهيئة وفيه ما يدهش العقول من حسن تركيبه وهو
على شجرة وتحت الشجرة مائدة موضوعة وعليها سمكة مشوية فدنا من الطائر وسلم عليه
وقال له من انت قال انا ملك من ملائكة الجنة ارسلني الله بهذه المائدة الى آدم وحواء
حين اجتمعا على جبل عرفات فاكلا منها ثم امرني الله ان اضعها هنا واقف عندها
الى يوم القيامة وامرني ان اطعم منها كل من جاء هنا يا بلوقيا ولم ينقص منها شئ وهي على
حالها فسأله ما حالها فقال الطائر ان طعام الدنيا ينقص ويتغير بالمكث واما طعام الجنة
لا ينقص ولا يتغير فقال له بلوقيا هل يأكل من هذه احد فقال نعم ان الخضر
ابو العباس يأتي احيانا فيأكل ثم يذهب فلما سمع ذلك بلوقيا اقام ليظفر بالخضر ويجتمع
معه ويسأله فبينما هو ذات يوم جالس واذا بالخضر عليه السلام قد اقبل وعليه ثياب بيض
فقام اليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له بلوقيا يا ابا العباس خرجت في طلب
نبي آخر الزمان حتى انتهيت الى هذا المكان فمكثت الى قدومك تخبرني فقال له يا بلوقيا
ان نبي آخر الزمان لم يظهر في هذا الاوان ولا تدركه يا بلوقيا اتدري كم بينك وبين
امك قال لا اعلم قال مسيرة خمسين عاما اتحب ان اضعك عند امك فقلت نعم قال
غمض عينيك فغمضتهما فلم اشعر الا وامي بجانبي ففتحت عيناي وسلمت على امي
وقلت لها من جاء بي اليك يا امي فقالت رأيت طائرا ابيض فوضعك وذهب ثم بعدما
نقص على امه قصته وخرج الى بني اسرائيل وسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله في
غيبته فاخبرهم فجعلوا يكتبون جميع ما راى من العجائب مدة اربعين سنة فلم يحصوا
ما عنده مما راى قيل عاش نحوا من الف سنة والله اعلم ❋ (ذكر قصة اسكندر ذي
القرنين) ❋ قال الله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين الآية قيل هو من اولاد
الضحاك وكان اصله من حمير وكان اسمه الاون وكانت امه من بنات الروم وقيل انه
اسكندر بن دارب ملك اصطخر وبابل والمدائن بالمشرق وقد كمله جده ابو امه واسمه
فيلسوف وكان ملك الروم قال الامام علي رضي الله عنه وعكرمة كان اسكندر ذو
القرنين من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ❋ (قال بعضهم) ❋ كان طول انفه
ثلاثة اشبار وقس على ذلك حلم راسه وجثته ويقال انه هو الذي بني المنارة بالاسكندرية
وقيل عاش نحو الف سنة وزيادة واختلف في نبوته (فقال وهب) بن منبه كان عبدا
صالحا (وقال عكرمة) كان نبيا مرسلا الى اهل بابل وكان قبل ظهور عيسى بن مريم
عليه السلام بثلاثمائة سنة (قال) الحسن البصري كان ملكا وغزى النمرود بن
كنعان وكان مسلما على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام وكان في زمن ابراهيم حاكما وهو

الذى

الذى دفن لابراهيم فى واد السبع لما رحل عن قومه ومرت هذه القصة عند قصة ابراهيم الخليل وكان اسكندر اذا مر على مكان ابراهيم ينزل عن فرسه حتى يفوت ويركب وهو الذى ملك البلاد وقهر العتاة من العباد وفتح المدائن والحصون والقلاع من المشرق والمغرب قال الامام على رضى الله عنه كان الاسكندر يسير والله مساعده فتطوى له الارض ويسهل الله له الامور ببركة صلاحه وحسن سيرته (وقيل ماسبب تسميته ذا القرنين) قال الامام على لما غزا ودعا الى عبادة الله ضربه قومه على جانب راسه فأثرت تلك الضربة فغاب عنهم ثم جاءهم فضربوه على الجانب الآخر فأثرت فسمى ذا القرنين قال ابن عباس لما سار الى مغرب الشمس والى مشرقها سمى ذا القرنين وقيل انه رأى فى منامه انه ماسك بقرون الشمس فسماه قومه ذا القرنين لما قص رؤياه عليهم وقيل انه ملك الروم وفارس فسماه قومه ذا القرنين وقيل كانت له ذؤابتان من الشعر فى راسه فسمى بذى القرنين وقيل انه كريم الجدين فسمى بذى القرنين وقيل كان فى راسه عظمان ناتئان مثل قرون الكبش ويلبس عليهما عمامة فيسترهما وهو اول من لف العمامة واول من صافح بكفه وقيل انه سلك مكان الظلمة والنور فهذه عشرة اقوال فى ذلك قال وهب بن منبه ان اسكندر كان يخفى القرنين عن الناس ولم يظهر عليهما احد الا انه ذهب يوما الى الحمام فنزع عمامته عن راسه فرآهما كاتبه فقال لكاتبه ان ظهر امرى فيكون منك فكان الكاتب يأخذه الهيمان فلم يظهر الكتمان ولم يستطع الاظهار غير انه يخرج الى الفضاء وينادى ويقول اسكندر له قرنان فيذهب حال الكتم ويأتى وكان هنالك قصبتان يسمعان صوته فلما كبرت القصبتان انطقهما الله فقالا الاسكندر له قرنان فشاع ذلك فقال عند ذلك الاسكندر هذا امر اراد الله اظهاره (قال وهب بن منبه) اوحى الله الى ذى القرنين فى منامه انى باعثك فى الارض الى سبع امم مختلفة الالسن والصفات فامتان يقال لهما تاويل وهى فى قطر الارض الايمن وتاويل وهى فى قطر الارض الايسر وامتان امة فى طول الارض عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مشرق الشمس يقال لها منسك وثلاث امم فى وسط الارض يقال لهم ياجوج ومأجوج قال ذو القرنين يارب وهل اقدر على محاربة هذه الامم العظيمة فأوحى الله اليه انى البسك هيبة واسخر لك النور والظلمة حتى اجعلهما لك جندا (قال الحسن البصرى) كان ذو القرنين اذا ركب يركب معه فى خدمته من الجيوش الف الف واربعمائة الف انسان وكان الخضر عليه السلام وزيره ومدبر ملكه فسار ذو القرنين بهذه الجيوش العظيمة حتى بلغ مغرب الشمس وهو قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس الآية قال السهيلى هم قوم ناسك

وكانوا من نسل قوم ثمود فلما نزل عليهم واحاط بهم من كل جانب بمن معه من الجيوش استدعاهم اليه واوقفهم بين يديه ودعاهم الى توحيد الله فنهم من آمن ومنهم من بقي على كفره فسلط الله على الذين داموا على كفرهم ظلمة شديدة بغبار عاصف ودخلت تلك الظلمة والغبار في افواههم وآذانهم فايقنوا بالهلاك فأجابوا الى توحيد الله فتركهم ومضى الى اهل هاويل ففعل بهم مثل ما فعل بالاولى فآمنوا ثم سار حتى اتى الى القطر الايمن فدخل على اهل منسك وهم عند مشرق الشمس ففعل بهم كما فعل بالاول وقد قال الله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا *(قال السدي)* هم اهل منسك الذين هم عند مطلع الشمس *(قال الامام السهيلي)* لما بلغ ذو القرنين مطالع الشمس رأى هناك مدينة عظيمة يقال لها جابلقا ورأى لها عشرة آلاف باب بين كل باب وباب فرسخ ووجد اهل تلك المدينة بشعين المنظر عراة الاجساد وليس لهم من دون الشمس سترا فاذا دخلت الشمس عليهم دخلوا في اسربة تحت الارض من حر الشمس ليس لهم طعام الا ما تحرقه الشمس بحرها اذا طلعت فاذا مشت الشمس الى وسط الفلك طلعوا من الاسربة الى معاشهم فيتغذون مما احرقته الشمس من طير ووحش وغير ذلك *(قال مجاهد)* ان ذلك القوم سود الالوان عراة الاجسام حفاة الاقدام وهم من جنس الزنج الاعلى وهم امم لا يحصون لكثرتهم *(قال السدي)* ان الشمس تشرق من عين ماء هناك فاذا طلعت على تلك العين تصير كهيئة الزيت في اللون من حر الشمس فتنفر من تلك العين الاسماك على وجه الارض فتخرج القوم من الاسربة فيلتقطونها ويأكلونها *(قال السدي)* لما بلغ الاسكندر مغرب الشمس ورأى هناك العين الحمئة التي ذكرها الله في القرآن اذا غربت الشمس في تلك العين يسمع لها دكدكة مثل صوت الرعد القاصف وتفور تلك العين وتغلي كغليان القدر فيفيض ماؤها على الارض مسيرة ثلاثة ايام فلا يمر ماؤها على طير أو وحش الا ويموت فتأكله اهل تلك المدينة *(قال الثعلبي)* مر ذو القرنين على وادي النمل فرأى كل نملة كالنخلة فنفرت منها خيول الاجناد فجاء حتى مر بقوم آخرين وشكوا اليه وقالوا له يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين اقواما من خلق الله لا نعرف اهم من الانس ام من الجن يقال لهم يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض يفترسون الدواب والوحوش ويأكلونها وهو قوله تعالى ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا الاية قال بعض المفسرين ان افساد يأجوج ومأجوج اللواط بمن يظفرون به كبيرا وصغيرا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي خير اي الذي اعطانيه ربي من المال خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم

ردما

ردما آتوني زبر الحديد (قال السدي) وجد الاسكندر معدن الحديد فاتخذ منه لبنات من حديد وبنى بها السد (قال الثعلبي) ان ذا القرنين لما بنى السد قاس ما بين الجبلين ثم بنى ردما بلبن الحديد وجعل ارتفاعه من الارض نحو ستمائة ذراع وجعل عرضه ثلثمائة ذراع فكان يضع اللبنتين من الحديد ويذوب النحاس ويجعله بينهما (قال الثعلبي) كان مقدار ما بين الجبلين مائة فرسخ فحفر اساس ذلك الردم حتى نبع الماء منه ثم ردمه بالحديد حتى ارتفع بناء السد وساوى ذلك الجبلين فصار قطعة واحدة من حديد قال الله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا فعند ذلك قال ذو القرنين هذا رحمة من ربي الآية (قال ابن عباس) رضي الله عنه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني رأيت سد يأجوج ومأجوج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صفه لي فقال له الرجل انه ردم اسود وعليه صفائح من نحاس احمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو هو (قال الثعلبي) كان من بناء السد الى الهجرة النبوية الف وخمسمائة وثلاثون سنة وفي بعض الاخبار ان هذا السد يفتح في آخر الزمان عند اقتراب الساعة ويخرج منه يأجوج ومأجوج فيسيرون في الارض ويشربون نهر سيحون وجيحون وبركة طبرية في يوم واحد ويأكلون الاشجار والنبات جميعها في يوم واحد فاذا اكثر منهم الفساد في الارض وحصل منهم الضرر العام يرسل الله عليهم ريحا اسود مثل الريح الذي ارسله الله على قوم عاد فيدخل في افواههم ويخرج من ادبارهم فيموتون اجمعون في ساعة واحدة فتجيف منهم الارض لكثرتهم فيرسل الله تعالى اليهم طيورا سودا لهم اعناق كالبخاتي فيلتقطونهم من الارض ويلقونهم في البحر ومن الحكايات الغريبة ما حكاه ابو الحسين بن النداد البغدادي قال بلغني ان امير المؤمنين الواثق بالله هارون بن المعتصم رأى في منامه شخصا فقال له ان السد الذي بناه ذو القرنين قد انفتح وخرج منه يأجوج ومأجوج فانتبه من النوم مرعوبا فاحضر سلام الترجمان وامره ان يسافر الى مكان السد الذي بناه الاسكندر ويكشف اخباره ثم ان الواثق دفع اليه خمسة آلاف دينار وقال له هذه ديتك ادفعها الى اولادك ثم عين معه خمسين فارسا ثم كتب معه مراسيم الى من يمر عليه من النواب في البلاد ثم ان سلام الترجمان خرج من بغداد وسار معه الفرسان المذكورة الى ان وصل الى ارمينية فكتب له صاحب ارمينية الى ملك اللان ثم كتب له صاحب اللان الى ملك الخزرج فلما وصل الى ملك الخزرج ارسل معه جماعة من جنوده يدلونه على الطريق فلما سار من عنده مشى خمسة وعشرين يوما ودخل ارض سوداء وخمة فسار فيها عشرة ايام فرأى بها مداين خربة فسأل عن خراب تلك المدائن فقالوا هذه المدن التي كان يفسدها يأجوج ومأجوج حتى خربت وهي الى الآن خراب

ثم سار من تلك المدائن الخراب حتى اشرف على مدينة فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ويقرؤن القرآن وعندهم المساجد والجوامع ويصلون الجمعة والجماعة فقال لهم صاحبها من اين اقبلتم قال لهم سلام الترجمان نحن رسل امير المؤمنين الواثق بالله هارون فلما سمعوا تعجبوا من قوله امير المؤمنين وهم يقولون ما سمعنا قط بهذا اللفظ الا في هذا اليوم منكم فتركهم ومضى حتى اشرف على جبل املس وقدامه جبل منقطع وبينهما واد عرضه مائة وخمسون ذراعا (قال السدى) ان يأجوج ومأجوج لم يكن لهم مخرج الا من بين هذين الجبلين ومن ورائهم البحر المحيط ولولا ذلك ما كان يفيد السد شيأ ثم ان سلاما راى عضادتين مما يلى هذا الجبل من جانبي الوادى عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا وكل ذلك مبنى بلبن الحديد ورأى دروند حديد طرفه على تلك العضادتين وطول ذلك الدروند على العضادتين مائة وعشرون ذراعا وفوق ذلك الدروند بناء السد الى رأس الجبل الاملس وارتفاعه مقدار مد البصر اليه وفوق ذلك البناء شرافات من الحديد في كل شرافة قرنان ينثنى كل واحد منهما على صاحبه وفي وسط ذلك البناء باب له درفتان عرض كل درفة منها خمسون ذراعا في مثلها ارتفاعا وعلى ذلك الباب قفل طوله سبعة اذرع في غلظ ذراع وله مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنا عشر سنا كل سن قدر يد الهون وهو معلق في سلسلة طولها ثمانية اذرع في استدارة اربعة اشبار ولذلك الباب عتبة عرضها عشرة ادرع وطولها مائة ذراع وقد جعل لذلك السد حارسا يركب كل يوم ومعه جماعة من قومه نحو عشرين فارسا وبأيديهم المرزبات من الحديد فيضربون على ذلك القفل ثلاث ضربات ثم يصغون باذانهم الى ماوراء الباب فيسمعون دويا كدوى النحل فيعلم يأجوج ومأجوج ان هناك حرسة وحفظة خلف الباب قال سلام الترجمان ورأيت بالقرب من السد عين ماء تجرى وحول تلك العين آلة البناء وهي قدور من حديد ومغارف وبقية من لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف في سمك شبرين وقد مرت عليها الدهور وصدئت والتصق بعضها على بعض قال سلام فسألت اهل الحصون هل رأيتم احدا من يأجوج ومأجوج فقالوا نعم نراهم مرارا عديدة فوق شرافات السد وربما يقع منهم احد الى الارض من الريح الشديد فكتب سلام ذلك جميعه كما رأى وسمع من السد واخبار يأجوج ومأجوج فصار المكتوب درجا وعزم على الرجوع الى بغداد فسار في برارى وقفار حتى خرج الى ارض سمرقند الى بغداد فكان مدة غيبته ثمانية وعشرين شهرا فلما دخل الى بغداد صار يحدث الناس بعجائب ما رأى وما سمع انتهى اورد ذلك ابن الجوزى في كتابه تنوير القبس

(ذكر اخبار يأجوج ومأجوج) قال الحسن البصرى ان

يأجوج ومأجوج اصلهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج من الترك *(قال وهب بن منبه)* انما سمي الترك تركا لان ذا القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم جماعة غائبون لم يعلموا ببنائه السد فتركوا خارجا عن السد فسموا تركا *(وقال بعضهم)* ان يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين فاض منيه لما هبط الى الارض فاختلطت تلك النطفة بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج وليس هم من حواء فانكر بعض العلماء هذا القول وقال انه ليس بصحيح (قال) ابن عباس رضي الله عنهما ان يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء والعالم بجميعه جزء واحد ذكر صفاتهم قال السدي انهم على ثلاثة اصناف صنف كالنخل الطويل حتى قيل ان فيهم من طوله عشرون ذراعا وصنف منهم طوله وعرضه سواء يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى فهذا الجنس لا يترك وحشا ولا ذا روح الا ويأكله ومن مات منهم اكلوه وصنف منهم في غاية القصر فمنهم من طوله شبر وشبران لا يموت احدهم حتى يرى له الف ولد وهم لا يحصون لكثرتهم (وقيل في الاخبار) ان يأجوج ومأجوج يلحسون السد بالسنتهم حتى يرون منه شعاع الشمس اذا غربت ويقولون غدا ننقبه فيأتون اليه في اليوم الثاني فيجدونه كما كان اولا في الشدة والسمك وهذا دأبهم الى قيام الساعة فيلحسونه في آخر الزمان اذا جاء الوعد ويقولون غدا ننقبه ويقولون ان شاء الله فلما يعودون في اليوم الثاني يجدونه مفتوحا فيخرجون على الناس ويسيحون في الارض ويأكلون الاشجار ويشربون الانهار ويرمون الناس بسهامهم ويفسدون على الناس معيشتهم ويأكلون زروعهم فيرسل الله عليهم الريح التي اهلك الله بها قوم عاد فيموتون في ساعة واحدة وتنتن الارض من جيفهم فيرسل الله تعالى طيورا فتلتقطهم وتلقيهم في البحر كما تقدم *(قال الثعلبي)* ان الناس يلتقطون اسلحتهم من الارض ولا يزالون يلتقطون ثلاث سبع سنين *(ذكر قصة دخول ذي القرنين الى الظلمات)* روى الثعلبي عن الامام علي رضي الله عنه انه قال لما سار ذو القرنين في الارض فاراد ان ينتهي الى جانب الارض وكان الله تعالى قد وكل بذي القرنين ملكا من الملائكة يقال له رفائيل فكان يسير معه اينما سار فبينما هو يتحدث مع ذلك الملك فقال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادة الملائكة في السماء فقال ان في السماء من هو قائم لا يرفع رأسه ومن هو ساجد لا يرفع رأسه ابدا ومن هو راكع لا يرفع رأسه دائما ابدا فقال ذو القرنين احب ان اعيش دهرا طويلا وانا في عبادة ربي فقال له الملك ان الله خلق عينا في الارض فسماها عين الحياة فمن شرب منها شربة لم يمت الى يوم القيامة او حتى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلم انت مكان

هذه العين فقال الملك لا اعلم مكانها ولكن كنت اسمع عنها فى السماء انها فى الارض المظلمة فلما سمع ذو القرنين ذلك من الملك جمع علماء زمانه جميعهم وسألهم عن هذه العين فقالوا لا نعلم لها خبرا فقال عالم منهم انى قرأت فى وصية آدم عليه السلام قال ان الله تعالى وضع فى الارض ظلمة وفى تلك الظلمة عين الحياة فقال ذو القرنين أين موضعها من الارض قال فى مطلع الشمس فاستعد ذو القرنين فى المسير اليها وقال لاصحابه أى الدواب ابصر فى الظلمة قالوا الحجورة البكارة فجمع ذو القرنين الف حجرة بكارة ثم انتخب من جيشه ستة آلاف انسان من اهل العقول واهل الجلد وكان الخضر أبو العباس وزيره فسار الخضر امام الجيش وجدوا فى المسير نحو مطلع الشمس جهة القبلة فلازالوا يجدون فى السير نحوا اثنى عشر سنة حتى بلغ طرف الظلمة فاذا هى ظلمة تفور مثل الدخان لا كظلمة الليل فنهاه عقلاء جيشه عن الدخول فيها وقالوا له أيها الملك ان الملوك السابقة لم يدخلوها لانها مهلكة فقال لا بد من ذلك فلما رأوه عازما على الدخول تركوه فقال لهم اقيموا مكانكم هذا مدة اثنى عشر سنة فان جئتكم فيها والا فامضوا الى بلادكم ثم قال ذو القرنين للملك رفائيل هل اذا سلكنا هذه الظلمة هل يرى بعضنا بعضا فقال لا ولكن انا ادفع اليك خرزة اذا طرحتها على الارض تصيح بصوت عال يرجع اليكم من يضل عنكم من رفقائكم ثم ان ذا القرنين دخل الى تلك الظلمة ومعه بعض جماعة من جيشه فسار فيها ثمانية عشر يوما لا يرى شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ولا طيرا ولا وحشا فسار هو والخضر فبينما هما يسيران فيها اذ أوحى الله الى الخضر ان العين فى أيمن الوادى ولم اخص بها غيرك من الناس فلما سمع الخضر ذلك قال لاصحابه قفوا مكانكم ولا تبرحوا حتى آتيكم فسار الخضر فى ذلك الوادى فظفر بالعين فنزل الخضر عن فرسه وتجرد من اثوابه ونزل فى تلك العين واغتسل منها وشرب فوجد ماءها احلى من العسل فلما اغتسل وشرب طلع منها ولبس اثوابه ثم ركب ولحق بذى القرنين ولم يشعر بما وقع للخضر من رؤية العين والاغتسال *(قال)* وهب بن منبه ان الخضر كان بن خالة اسكندر ذى القرنين واستمر اسكندر دائرا فى تلك الظلمة اربعين يوما اذ لاح له ضوء مثل البرق فرأى الارض بذلك النور فوجدها رملة حمراء وسمع خشخشة تحت قوائم الخيل فسأل الملك عن تلك الخشخشة فقال له هذه خشخشة من اخذ منها ندم ومن لم يأخذ منها ندم فحمل منها الجيش شيأ قليلا فلما خرجوا من تلك الظلمة وجدوها من الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر فندم من اخذ حيث لم يكثر وندم الذى لم يأخذ وقال ليتنى اخذت كثيرا *(ومن النكت)* ما قال فى أمر الطمع نقل الشعبى ان رجلا من بنى اسرائيل فى أيام نبى الله سليمان رأى رجلا صاد قنبرة فانطقها الله تعالى فقالت ما تفعل

بى فقال اشويك واكلك فقالت انا ما اشبعك ولا اغنيك من جوع فان اطلقتنى اعلمك
ثلاث فوائد يحصل لك بهن خيرا فقال لها هات فقالت الفائدة الاولى اعلمك بها وانا على
كفك والاخرى اعلمك بها وانا على الجبل والثالثة اعلمك بها وانا على الشجرة فوضعها على
كفه وقال لها هات ما عندك فقالت لا تندم على ما فات ثم طارت وقالت له الفائدة الثانية
لا تفرح بما هو آت والفائدة الثالثة لا تصدق بما لا يكون ان يكون ثم قالت انا اعلمك
عن شئ فاتك وهى ان فى حوصلتى جوهرة لو ذبحتنى لحصلت علم افتندم على اطلاقها
فقالت له افدتك اولا وثانيا وثالثا فلم تستفد اندمك على اطلاقى وقد فات ما فات
منى تصدقت ان عندى جوهرة ومن اين لى بالجوهرة وهذا من دلائل الطمع (قال)
السدى فلما انتهى ذو القرنين فى الظلمة لاح له قصر من نحاس اصفر طوله فرسخ
وعرضه فرسخ وله باب من حديد فنزل عن فرسه ودخل القصر فرأى طائرا أبيض قدر
البختى فدنا منه وسلم عليه فانطقه الله فرد عليه السلام وقال اما كفاك ما فعلت حتى
جئت الى هذا المكان فقال له ذو القرنين انى سائلك عن اشياء فأخبرنى عنها فقال سل
ما بدا لك فقال ما وراء هذه الظلمة قال جبل قاف فقال الطائر وانى سائلك عن اشياء
فقال ذو القرنين قل ما بدا لك فقال الطائر هل فشا فيكم الزنا وشرب الخمر قال نعم فانتفض
ذلك الطائر وصار ملأ القصر وصار له صوت كالرعد القاصف ثم قال هل فشا فيكم الربا
وشهادة الزور قال نعم فانتفض الطائر وفعل كالاول ثم قال هل كثر فيكم البناء المزخرف
قال نعم فانتفض وفعل مثل الاول حتى سد ما بين الخافقين ففزع منه ذو القرنين ثم قال
للطائر هل ترك الناس شهادة ان لا اله الا الله قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس
صلاة الفريضة قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس الغسل من الجنابة قال لا فانضم
قليلا حتى عاد مثل ما كان عليه اولا ثم قال يا اسكندر اصعد على ظهر هذا القصر وانظر
ما فوقه فلما صعد واذا هو بشخص حسن المنظر قائم على أقدامه شاخص الى
السماء وفى فمه بوق من نور فلما رأى ذا القرنين قال له من أنت قال أنا ذو القرنين قال
ما كفاك ما فعلت فى الارض حتى وصلت الى هذا المكان فقال اسكندر من أنت أيها
الشخص المبارك قال أنا اسرافيل صاحب الصور فقال مالى أراك شاخصا قال انتظر
امر ربى متى يأذن لى فى النفخ ثم ان اسرافيل أخذ حجرا من بين يديه ودفعها الى ذى القرنين
وقال خذ هذا الحجر فان شبع هذا الحجر شبعت وان جاع جعت فأخذه ذو القرنين ورجع
حتى وصل الى جنده الذين تركهم خارج الظلمة فأخذ يحدث جنوده فيما رأى من
العجائب ثم ان ذا القرنين جمع العلماء الذين كانوا فى عصره واخرج لهم ذلك الحجر الذى
اعطاه له صاحب الصور فوضعوه فى كفة ميزان ووضعوا حجرا قدره فى الكفة الاخرى

ثم رفعوا الميزان فمال الحجر الذى اعطاه له صاحب الصور فلا زالوا يضعوا حجرا بعد حجر حتى وضعوا الف حجر وذلك الحجر يميل فقالت العلماء قد انقطع علمنا دون هذا الحجر فاحضروا القرنين الخضر وسأله عن ذلك فأخذ الخضر كفا من تراب ووضعه مقابل الحجر فى الميزان ثم رفعه فاستوى التراب مع الحجر الذى اعطاه له صاحب الصور فقال العلماء هذا من العلم الذى لم نبلغه نحن ولا امثالنا فقال الخضر هذا مثل ضربه لك صاحب الصور فان الله قد ملكك البلاد وحكمك فى العباد واعطاك ملكا كبيرا وانت لا تقنع ولا تشبع دون ان تكون فى التراب فعند ذلك بكى ذو القرنين (ومن اللطائف) عند اهل الظرف والطرائف (قال) ابو الفرج الاصبهانى لما رجع ذو القرنين من المشرق والمغرب توجه بلاد الصين فحاصر مدينتها اشد محاصرة فلما اشرف على اخذها نزل اليه ملك الصين تحت الليل ولم يعرف احد انه ملك الصين وقال انا رسول ملك الصين فلما وصل الى الحجاب اخبرهم انه رسول ملك الصين ويريد الدخول على الاسكندر فاعلموا الاسكندر به وادخلوه اليه فلما دخل سلم ووقف بين يديه فقال له تكلم فقال انى مامور ان لا اتكلم الا فى خلوة ففتشه الرسل خوفا من ان يكون معه سلاح أومكيدة فوجدوه خاليا من ذلك فتقرب الى الملك الاسكندر وقال له أيها الملك اعلم انى ملك الصين بنفسى واست برسوله وقد حضرت بين يديك لعلمى انك رجل عاقل عارف صالح مأمون الغائلة فان كان قصدك قتلى فها أنا بين يديك واغنيك عن القتال وان كان قصدك المال فاطلب ولا تعجز فانى مجيبك فيما تطلب فقال الاسكندر خاطرت بنفسك فقال أيها الملك انا بين امرين اما ان تقتلنى فيقيم اهل مملكتى غيرى ويحاربوك وان تركتنى أفد بلادى بما تريد وتنسب الى الجميل فلما سمع ذو القرنين ذلك اطرق مليا متفكرا وعلم ان ملك الصين من ذوى العقول ثم انه رفع رأسه وقال اريد منك خراج مملكتك ثلاث سنين كوامل معجلا ثم بعد ذلك تعطى فى كل سنة نصف الخراج فقال ملك الصين وهل تطلب غير ذلك شيأ قال لا فقال قد اجبتك الى ذلك فقال الاسكندر كيف يكون حال رعيتك بعد هذا المال المعجل فقال اعطيك من عندى ولا اكلف رعيتى الى التعجيل والله على ما نقول وكيل فخرج ملك الصين شاكرا فلما طلع النهار اقبل ملك الصين بعشائره حتى سد ما بين المشرق والمغرب واحاطوا بعساكر ذى القرنين حتى ايقنوا بالهلاك فظن الاسكندر وقومه ان ملك الصين خدعهم فبينما هم فى هذه الفكرة واذا بملك الصين جاء وعلى رأسه التاج فلما رآه ذو القرنين قال اغدرت فيما قلت قال لا ولكن اردت ان اريك انى لم اخضع لك خوفا واعلم ان الذى هو غائب من جيوشى اكثر ممن حضر فقال له الاسكندر قد تركت لك جميع ما قررته عليك من امر الخراج فلما رجع من بلاد الصين ارسل

له

له ملك الصين تحفا واموالا كثيرة على سبيل الهدية (نكتة عجيبة) قيل ان رجلا مجنونا كان اذا مر في الاسواق والطرقات يتبعه الاولاد الصغار ويرمونه بالحجارة فبينما هو كذلك اذ مر بذلك المجنون رجل وعلى راسه عمامة مقرونة محشة في اقرانها فتعلق به ذلك المجنون وهو يقول ياذا القرنين خلصني من يأجوج ومأجوج فصار الناس يتعجبون من امر المجنون وقوله ذلك قال وهب بن منبه كان الاسكندر اذا جمع اهل النجوم يسألهم عن موته فكانوا يقولون له انه يموت في ارض من حديد وسماؤها من خشب فتعجب حتى مرض وكان مسافرا في ارض حارة فاشتد به المرض فشكى من الحر فوضعوا تحته الدروع وخيموا له بالرماح فقام فتأمل قول ارباب النجوم ارض من حديد وسماؤها من خشب وما انا فيه هو ذلك فايقن بالموت فجد بالسير حتى وصل الى مدينة بابل فمات بها ودفن هنالك وكتب على قبره هذين البيتين

لا تأسفن على الدنيا وزينتها * وارح فؤادك من هم ومن حزن

وانظر الى من حوى الدنيا باجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

(قال السدى) قال بعض المؤرخين ان الله سخر لذي القرنين حتى فتح جميع البلاد وهو الذي بنى مدينة همدان والدبوسية وشيرك وبرج الحجارة ببعلبك وسرنديب بالهند وغير ذلك والله اعلم انتهى *(ذكر قصة اهل الكهف رضي الله عنهم)* قال الله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا *(قال السدى)* الكهف هو غار في الجبل والرقيم لوح من الرصاص كتب فيه اسماء اصحاب الكهف وقصتهم وذلك اللوح موضوع على باب الكهف والصحيح ان الرقيم غار التجأ فيه ثلاثة انفار فوقع على باب ذلك الغار صخرة سدت عليهم الباب فدعا كل واحد منهم بما فعله من الخير لوجه الله تعالى فزالت تلك الصخرة عنهم وخرجوا والله اعلم قال وهب بن منبه ان اصحاب الكهف كانوا فتية من ابناء الروم وكانوا في زمن فترة المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يسكنون بارض رومية في مدينة يقال لها افسوس فلما جاء الاسلام غيروا اسمها وسموها ترسوس وكان لهم ملك رجل صالح مؤمن فاقام عليهم مدة ومات فلما مات تولى عليهم ملك جبار من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان مشركا بالله تعالى يعبد الاصنام وكان يسكن بمدينة غرناطة من اعمال الغرب ثم سار الى مدينة افسوس فملكها واتخذها دار مملكته وبنى بها قصرا من الرخام الملون طوله فرسخ وعرضه فرسخ وعلق به الف قنديل من الذهب والفضة يسرجها كل ليلة بدهن اللبان واتخذ في ذلك القصر سريرا مرصعا بالجواهر ومحلى بالذهب طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا وجعل فيه انواعا من الجواهر الفاخرة ونصب عن يمينه ثمانين كرسيا من الفضة وعن

ثم ماله ثمانين من الذهب ثم اتخذ من ابناء البطارقة خمسين غلاما احسانا كالاقمار والبسهم الحلل الفاخرة والتيجان وبايديهم قضبان الذهب يقفون على رأسه وقت الموكب ثم اتخذ من عقلاء مملكته ستين رجلا وجعلهم وزراءه وكان من جملة هؤلاء الوزراء تمليخا وهو اكبرهم ثم ان الملك طغى وتجبر وادعى الربوبية واطاعه قومه واستمر على ذلك مدة طويلة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض حجابه وقال له ان جيوش الفرس قد طرقت بلادك فاغتم دقيانوس لذلك غما شديدا حتى وقع التاج عن رأسه فلما رأى تمليخا ذلك تفكر فى نفسه وقال لو كان دقيانوس ربا كما يزعم لم يخف من احد غيره ولا من يطرق ارضه فلما انصرفت الوزراء اجتمعوا عند تمليخا فى بيته فوجدوه مغتما لا يأكل ولا يشرب فقالوا يا تمليخا مالك متفكرا فقال قد وقع فى نفسى شئ منعنى عن الاكل والشرب قالوا وما هو فقال من دقيانوس فقالوا ونحن وقع لنا مثل ما وقع لك فقال بعضهم وكيف الحيلة فى خلاصنا من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا ما الحيلة احسن من الهروب من هذه المدينة والخروج من ارضه فقالوا كلهم نعم الرأى فهبط تمليخا من وقته وساعته وباع له شيأ من غلال ارضه وجعله معه واجتمع الفتية كلهم فى مكان واحد ثم تواروا ومضوا وقيل ان جبرائيل عليه السلام اخبرهم بان يتخذوا كرة ويخرجون بها على هيئة اللعب فيها فركبوا على خيولهم وضربوا الكرة مرة بعد اخرى حتى خرجوا من المدينة ولم يشك بهم احد فلما صاروا فى الصحرا نزلوا عن خيولهم ونزعوا ثيابهم الفاخرة ولبسوا غيرها ومشوا نحو سبعة فراسخ فبينما هم يمشون واذ براعى غنم تلقاهم فطلبوا منه اللبن فاسقاهم فقال انكم من اهل النعمة وان لكم شأنا فاخبرونى فان لكم عندى ما تريدونه واظنكم قد هربتم قال فقصوا عليه قصتهم فقال وانا قد وقع فى نفسى كما وقع فى نفوسكم ولكن قفوا عندكم ساعة حتى اعطى هذه الاغنام لاصحابها ثم ذهب واعطا الغنم لاصحابها وعاد اليهم مسرعا ومضى معهم فتبعهم كلب الراعى فطردوه مرارا وهو يأبى الانصراف عنهم فانطقه الله الذى انطق كل شئ وقال بلسان فصيح اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له قال وكان الكلب اسمه قطمير وكان ابلق اللون ذا بياض وسواد (قال السدى) كان احمر اللون ثم ان الكلب قال دعونى معكم احرسكم فتركوه معهم ثم ان الراعى توجه بهم الى جبل فوجدوا به كهفا فدخلوا فيه وهو قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف الآية فلما جلسوا احتى جن عليهم الليل ناموا والكلب يحرسهم وهو قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد الآية فلما ناموا امر الله ملك الموت ان يقبض ارواحهم فقبضها ثم وكل الله تعالى بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال كما قال الله تعالى قال السدى) كانوا فى مغارة مظلمة وهم نائمون واعينهم مفتحة وهم يتنفسون ولا

يتكلمون

يتكلمون قال ولهم شعور مسبولة على اكتافهم وقد طالت اظفارهم وكانت عليهم هيبة عظيمة وكانهم ينطقون قال الله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود فلما رجع دقيانوس من محاربة الفرس سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك فلما سمع بذلك ركب في طلبهم ولا زال يقفوا اثرهم حتى وصل الى ذلك الكهف فدخل عليهم ونظر اليهم فوجدهم نائمين فقال لجيشه لو اردت ان اعاقبهم لا اعاقبهم بمثل ماهم عليه ثم امر بسد باب الكهف عليهم فسدوه بالحجارة واستمروا في رقادهم ثلثمائة سنة وتسع سنين كما اخبر الله تعالى في القرآن العظيم فلما سد دقيانوس عليهم ظن انهم يهلكون من العطش ثم ان راعيا ادركه المطر عند ذلك المكان فقال في نفسه لو فتحت باب الكهف وادخلت اليه الاغنام لكان حسنا فمازال حتى فتح الباب فدخل عليهم الراعي فرد الله عليهم ارواحهم وجلسوا فلما رآهم الراعي ولى هاربا واخذ غنمه معه فلما جلسوا صار بعضهم يسلم على بعض وقالوا لقد غفلنا في هذه الليلة عن عبادة ربنا فقوموا بنا الى الصلاة فجاؤا الى عين ماء عند شجرة بالقرب من الكهف فوجدوا العين قد غارت والشجرة قد جفت فصاروا يتعجبون من ذلك وقال بعضهم لبعض في ليلة واحدة تغور هذه العين وتيبس هذه الشجرة ثم ان الله تعالى القى عليهم الجوع فقالوا لبعضهم ايكم يذهب بهذا الورق اي الفضة الذي باع بها تمليخا غلالا كما تقدم ذكر ذلك فيشتري اتنا بها طعاما وهو قوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم هذه الآية (قال السدي) اما قولهم فلينظر أيها ازكى طعاما قيل هو الطعام الذي لا يوضع به شئ من شحم الخنزير كما كان يعمل لدقيانوس فقال تمليخا انا آتيكم بهذا الطعام ثم قال للراعي الذي معهم اعطني ثيابك وخذ انت ثيابي فاعطاه الراعي ثيابه فلبسها تمليخا ثم سار حتى اتى الى باب المدينة فوجد على بابها مكتوب لا اله الا الله عيسى روح الله فجعل تمليخا يمر من باب الى باب فيجد على كل الابواب مكتوب لا اله الا الله الخ فجعل يمسح عينيه ويجدد نظره في تلك الاماكن فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فجعل يمر باقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى آخر السوق فاذا هو بخباز فوقف عليه وقال له ما اسم هذه المدينة فقال له الخباز اسمها افسوس فقال وما اسم ملك قال عبد الرحمن ثم ان تمليخا دفع درهما الى ذلك الخباز وقال له اعطني به خبزا فلما رأى الخباز الدرهم صار يتعجب منه وقال لتمليخا يا هذا انت ظفرت بكنز فقال تمليخا لا والله وانما هذا الدراهم من ثمن غلالي فقال الخباز ان كنت اصبت كنزا فاعطني منه فقال له اني خرجت من هذه المدينة منذ ثلاثة ايام وكان بها الملك دقيانوس فقال له الخباز تقول بعت بهذا غلالا وتقول بعد ذلك كنت منذ ثلاثة ايام هنا وكان الملك دقيانوس ان امرك عجيب فطال بينهما الجدال فأتوا به الى الملك وكان الملك

من ذوى العقول فقال لتمليخا ما قصتك فقال تمليخا زعموا انى اصبت كنزا فقال له
الملك لا تخف ان كنت اصبت كنزا فادفع لى منه الخمس وامض لشأنك سالما فقال تمليخا
تثبت لامرى فانى من اعيان هذه المدينة فقال له الملك هل تعرف بها احدا فقال
تمليخا نعم وكان لى بها دار وكان اسم الملك دقيانوس فقال له الملك لا نعرف شيأ مما
قلته ولكن اتعرف دارك التى كانت فى هذه المدينة قال نعم فبعث الملك معه جماعة من
اعوانه حتى يريهم داره فمشى معهم تمليخا فلم يعرف داره لان البناء قد تغير فشكى فى سره
الى الله فارسل الله اليه جبرائيل عليه السلام فجعل يسوق به حتى اوقفه على باب داره
فقال تمليخا هذه دارى فقرعوا باب تلك الدار فخرج اليهم رجل كبير يرتعش من
الكبر فقال رجل من جماعة الملك للشيخ ان هذا الرجل يزعم ان هذه الدار داره فغضب
ذلك الشيخ من هذا الكلام ثم ان تمليخا تقدم الى ذلك الشيخ وقال له ايها الشيخ المبارك
انا اسمى تمليخا بن قسطين وكانت هذه دارى ولى فيها علامات فلما سمع الشيخ من تمليخا
هذا الكلام جعل الشيخ يقبل يدى تمليخا فالتفت الشيخ الى اعوان الملك وقال لهم
هذا جد جدى وهو احد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الجبار وقد كان عيسى ابن
مريم يخبرنا بخبرهم وانهم ينتبهون بعد ثلثمائة وتسع سنين ثم بلغوا الملك هذا الكلام
فركب الى تمليخا وجاءه وحضروه وجعل يقبل يدى تمليخا فشاع أمره فى المدينة فاجتمع
الناس عليه وجعلوا يتباركون به ويتعجبون من أمره ثم ان تمليخا قال للملك ان بقية
قومى فى المغارة التى فى الجبل وهم فى انتظارى لاجل الطعام *(قال وهب بن منبه)*
كان يومئذ بالمدينة ملكان أحدهما مؤمن والآخر كافر فركبا وتوجها مع تمليخا الى عند
الكهف فقال لهم تمليخا قفوا مكانكم حتى ادخل اليهم واعلمهم بما جرى لى معكم واعلمهم
ان الملك دقيانوس قد هلك حتى يطمئنوا على أنفسهم فانهم خائفون من الملك دقيانوس
فوقفوا قريبا من الكهف فدخل عليهم صاحبهم تمليخا فقاموا اليه واعتنقوه وقالوا
الحمد لله على سلامتك وخلاصك من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا دعونى من دقيانوس
كم لبثتم فى هذا الكهف قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فقال لهم تمليخا بل لبثتم ثلثمائة سنة
وتسع سنين وقد هلك دقيانوس فى مدة نيامكم وانقرض من بعده قرنان وقد ظهر نبى الله
عيسى ابن مريم عليه السلام ومضى ثم قال لهم ان ملك المدينة جاء هو واهل المدينة
ليسلموا عليكم ويتباركوا فيكم وقد اوقفتهم لاخبركم فعند ذلك تفكر اصحاب الكهف
ساعة ثم قالوا ما الرأى فقالوا اجمعون ان الرأى ان ترفعوا اكفكم الى الله تعالى بالدعاء بان
يقبض ارواحكم فى هذه الساعة اجمعين فرفعوا ايديهم وقالوا الهنا بحقك ان تقبضنا اليك
ولا نريد ان يطلع علينا احد غيرك فامر الله ملك الموت ان يقبض ارواحهم فى تلك

الساعة فلما بطئ على الملك واهل المدينة الخبر من تمليخا اتى الملك الى الكهف ودخل فوجدهم موتى فاخذ يقبل اقدامهم ويتبارك بهم وامر بان يجعل كل واحد منهم فى تابوت محلى فى الذهب فلما نام الملك تلك الليلة رأى فى منامه اصحاب الكهف فقالوا له ايها الملك انا خلقنا من تراب لا من ذهب ولا من فضة فاتركنا كما كنا فى التراب الى يوم البعث والحساب فامر الملك ان يجعلوهم على التراب من غير توابيت كما ارادوا ثم ان الملك سد عليهم باب الكهف واراد ان بنى على باب الكهف مسجدا فاعترضه الملك الكافر وقال انا ابنى على باب الكهف كنيسة فاقتتلا على ذلك قتالا عظيما فقتل المؤمن الكافر وبنى المسجد الذى هناك وهو قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا الآية *(قال السدى) ان عدة الفتية ستة انفس والراعى الذى تبعهم سابع وكلبهم ثامن كما اخبر الله تعالى فى القرآن العظيم قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما وانا من القليل اى الذين يعلمون عدتهم اهـ (قال العزيزى) ان الكهف الذى مات فيه الفتية هو مغارة فى الجبل الذى يقرب من مدينة ترسيس ومكانهم مشهور معلوم بها ويزارون ويتبارك بهم رضى الله تعالى عنهم تمت قصة اصحاب الكهف على سبيل الاختصار والله تعالى اعلم *(ذكر قصة نبى الله يونس بن متى عليه السلام)* واسم امه زاد قال الله تعالى وان يونس لمن المرسلين *(قال كعب الاحبار)* رضى الله عنه كان فى بنى اسرائيل خمسمائة رجل زاهد بن لباسهم من الشعر الاسود وطعامهم من خبز الشعير ولم يكن فى القوم يومئذ من يوحى اليه الا نبى الله زكريا عليه السلام فاوحى الله الى زكريا عليه السلام ان يختار من الخمسمائة مائة رجل فاختار منهم مائة رجل ثم اوحى الله تعالى اليه ان يختار من المائة خمسين ثم يختار من الخمسين عشرين ثم يختار من العشرين واحدا فاختار زكريا يونس بن متى عليه السلام ولم يكن فى القوم ازهد منه فاوحى الله تعالى الى زكريا ان يبشر يونس بالنبوة وقد جعله الله نبيا ورسولا فلما سمع يونس ذلك خر ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وقال لزكريا الحمد لله الذى جعلنى نبيا *(قال العزيزى)* ان متى ابا يونس كان رجلا صالحا وكان بارض فلسطين ولم يكن له ولد ذكر وقد كبر سنه فاتى الى العين التى اغتسل منها ايوب وعافاه الله فاغتسل منها متى وزوجته وصليا ركعتين ودعيا الى الله فاستجاب الله منهما ورزقهما يونس عليه السلام فلما كبر يونس خرج من بيت المقدس سائحا فى الاودية والجبال فبينما هو سائح اذ هبط عليه جبرائيل عليه السلام على صفة آدمى حسن الصورة وقال له يا يونس الله يأمرك بان تتوجه الى مدينة نينوى وهى قرية من قرى سوريا وكان بها ملك من الروم يعبد الاصنام من دون الله تعالى وكان هذا الملك

يقتل كل من يدعوه الى الله تعالى فلما تحقق يونس ان الله تعالى يأمره ان يتوجه الى
اهل نينوى حمل زوجته واولاده على ناقة واخذ معه جماعة من اعيان بنى اسرائيل وكان
عمره يومئذ اربعين سنة فلما دخل مدينة نينوى نزل فى غار فى جبل والى جانبه عين
ماء وصار يأكل هو وعياله من نبات الارض ويشربون من تلك العين ثم قال لزوجته انى
ماض عنكم فانتظرونى اربعين يوما فان زدت عليها فاعلموا انى قد قتلت كما قتل قبلى من
الانبياء ثم ان يونس لبس جبة صوف واخذ بيده عصا وتوجه حافيا مكشوف الرأس
فصعد على تل عال فى نينوى وصاح وقال لا اله الا الله يونس رسول الله فاجتمع القوم
اليه وضربوه ضربا مؤلما حتى غشى عليه فاوحى الله الى طائر يقال له الورشان بان يغمس
جناحيه فى الماء ويرش بهما على وجه يونس عليه السلام فلما فعل ذلك افاق يونس
من غشيته ورجع الى القوم وقال لهم كما قال فى الاول فحمل الريح كلام يونس والقاه فى
اذن الملك فلما سمع ذلك الصوت فزع منه وتغير لونه فقال لمن حوله ما هذا الصوت
فقالوا دخل المدينة غلام فقير مجنون يقال له يونس يزعم ان فى السماء الها يعبد
فلما سمع الملك ذلك غضب على يونس وامر بسجنه فسجن فى مكان مظلم ضيق فامر الله
جبرائيل بان يأتيه بقنديل من الجنة ويعلقه فى ذلك السجن ويأتيه بطعام وشراب من
الجنة فاقام يونس فى السجن نحو اربعين يوما ثم ان الملك تذكره فقال لوزيره امض الى
السجن وائتنى بالرجل حتى اقتله فدخل الوزير على يونس فوجده قائما يصلى وعنده
قنديل يضىء ووجد السجن قد امتد مد البصر فتعجب الوزير ثم التفت الى يونس وقال
من صنع معك هذا فقال يونس صنعه ربى فقال الوزير يا يونس ان انا آمنت بربك
ماذا يصنع معى فقال يونس يغفر لك ما تقدم من ذنبك ويسكنك جنته فقال
الوزير انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله وخرج الوزير واتى الى الملك
وقال دخلت على يونس الى السجن الضيق فرأيته قد اتسع مد البصر ورأيته يصلى
وفوق رأسه قنديل يضىء منه المكان ووجدت عنده مائدة عليها طعام طيب ليس
مثل طعامنا فقلت يا يونس من فعل معك هذا قال فعله معى ربى فعلمت ان له ربا يقدر
على كل شئ فآمنت به فغضب الملك على الوزير ثم امر باخراج يونس من السجن
واحضاره بين يديه فلما حضر قال له يا يونس اخرج من ارضنا فقد افسدت رعيتى
بسحرك فخرج يونس الى اهله فاوحى الله اليه يا يونس ارجع الى اهل نينوى وادعهم
الى التوحيد ثانيا اربعين يوما فان اجابوك والا فانى منزل عليهم العذاب فقال يا رب وما
علامة العذاب فاوحى الله اليه كونهم فى اليوم الاول تصفر وجوههم وابدانهم وفى اليوم
الرابع تحمر وجوههم وابدانهم وفى اليوم السابع تسود وجوههم وابدانهم وفى اليوم

العاشر

العاشر انزل عليهم العذاب فلما رجع يونس وصعد على التل العالي وقال يا قوم قولوا معي لا اله الا الله واني يونس رسول الله اجتمع حوله القوم وصاروا يقذفونه بالحجارة ويسبونه فقال لهم يونس ان لم تجيبوني الى توحيد الله بعد اربعين يوما والا ينزل ربي عليكم العذاب وعلامته في اليوم الاول ان تصفر وجوهكم وابدانكم ثم بعد اربعة ايام تحمر ثم بعد سبعة ايام تسود ثم في اليوم العاشر ينزل بكم العذاب فلم يزل يونس يدعوهم الى الاربعين فلم يؤمن احد منهم فاوحى الله تعالى الى يونس ان يخرج من بينهم فخرج يونس ودخل القوم الى الملك وقالوا له اما ترى ما قد نزل بنا وهو ما وعدنا به يونس من البلاء وكان قد اصفرت وجوههم وابدانهم والملك معهم كذلك فقال لهم امضوا الى اصنامكم واسألوها كشف ذلك عنكم فعمد القوم الى اصنامهم وكانت اصنامهم من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة فسجدوا لها وذبحوا الذبائح لها وسألوها كشف هذه النازلة عنهم فاوحى الله الى الموكل بالسحاب ان ينشر عليهم سحابة سوداء مظلمة محشوة بالعذاب والنيران والحجارة وامر جبريل بان يدنيها من القوم فادناها منهم فنزل منها الصواعق واظلمت الدنيا عليهم ظلمة شديدة فدخل القوم على الملك وقالوا له ان كنت الها فادفع عنا هذا العذاب فقال لهم امهلوني قليلا ثم دخل الى داره ولبس السلاح وركب جواده وخرج الى محل عال ولبث فيه مقدار ثلاث ساعات ثم رجع الى قومه فقال لهم لا يهولنكم السحابة فان بها مطرا شديدا ورعدا مهولا (قال كعب الاحبار) فلما دنت منهم السحابة وصارت فوق رؤسهم ضاقت انفسهم من شدة حرها وزادهم القلق حتى غلت جماجم رؤسهم فكان الرجل اذا قرب من صاحبه يسمع غليان دماغه فعند ذلك دخلوا على الملك وقالوا هذا هو العذاب الذي وعدنا به يونس فقال لهم الرأي عندي ان يعمد كل منكم فيكسر صنمه بيده فكسروا اصنامهم فقال لهم الملك الحق عندي والحق ما اقول اطلبوا يونس فانه كان ناصحا لكم فطلب القوم يونس فلم يجدوه فقال رجل منهم وهو الوزير اني كنت اسمع يونس يقول ان ربي حاضر لا يزول ايها الملك ان كان يونس قد غاب فان ربه حاضر لا يغيب فلما سمع الملك ذلك قام من وقته ولبس جبة من الصوف الاسود وغل يديه الى عنقه وقيد قدميه بقيد من حديد وحمله بعض عبيده وخرج الى القوم في هذه الحالة ففعل القوم كلهم كفعل الملك وحملوا انفسهم وخرجوا الى الصحراء وصعدوا على تل عال ثم اصطفوا صفوفا فجعلوا الشيوخ امامهم والشباب خلفهم ومن ورائهم الاطفال والنساء وبسطوا ايديهم بالدعاء وقالوا يا رب يونس اكشف عنا هذا العذاب فكانت الشيوخ تمرغ شيبتها بالرماد والشباب يحثونه على رؤسهم والنساء والاطفال يبكون ناشرين شعورهم وصاروا يعلنون بالبكاء والضجيج الى الله تعالى فكانوا يقولون

اللهم انك وعدت على لسان نبيك يونس ان لا تخيب سائلا سألك ولا داعيا دعاك ونحن سألناك ودعوناك فلا تردنا خائبين انه لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك فاكشف عنا هذا العذاب برحمتك يا ارحم الراحمين اللهم انا آمنا بك وصدقنا رسولك يونس بن متى لا اله الا انت وان يونس رسولك فلما اطلع الله على قلوبهم وجعلها خالصة مخلصة بما يقولون اوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بان يكشف عنهم العذاب فكشفه عنهم ورحمهم وقد قيل في المعنى

يا ما البارية بصدق * بادروان جاءت الخطوب

واقصد كريما بلا توانى * فسائل الله لا يؤب

(قال كعب الاحبار) لما صرف الله عنهم العذاب تقطع ذلك الغمام اربع قطع قطعة وقعت على جبال صنعاء فكان منها معادن الرصاص وقطعة وقعت على بعض الجبال فصارت لا تنبت شيأ الى ان تقوم الساعة وقطعة وقعت في البحار فهي تفور الى يوم القيامة وقطعة وقعت في نينوى فكانت اشد بياضا من الكافور واطيب رائحة من المسك فهم يتطيبون بها الى الآن ثم ان الله تعالى رد على القوم الوانهم وعافاهم وجعل يهنى بعضهم بعضا ثم ان ابليس اللعين تصور في صورة راع وجاء الى يونس عليه السلام وهو عند اهله على الجبل فقال له يونس من اين جئت يا راعي قال من قرية نينوى فقال يونس كيف حال اهلها فقال انهم انتظروا العذاب الذي وعدهم به يونس فلم يأتهم فعزموا على قتل يونس لانه كذب عليهم فلما سمع يونس ذلك غضب غضبا شديدا *(قال قتادة)* ان غضب يونس كان على اهل نينوى لا على ربه لانه نظر الى ان القوم كذبوه ولما سمع كلام الراعي قال انهم يزيدون على ما هم عليه من تكذيبي وعداوتي قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه الآية *(قال كعب الاحبار)* فاتى الى زوجته واولاده وحملهم على ناقته واتى بهم الى شاطئ الدجلة فرأى هناك سفينة فاشار اليها فأتت اليه فنزل في تلك السفينة هو وزوجته واولاده فلما صار في وسط الماء انخرقت بهم السفينة فتعلقت زوجته على لوح ووصلت الى البر فالتقطها بعض من الناس فحملها الى داره وطلع يونس هو واولاده على خشبة الى البر فصارت الاولاد يبكون على امهم فاقام يونس على شاطئ الدجلة اياما ينتظر سفينة اخرى تحمله واذا سفينة تلوح من بعد فاشار اليها فجاءته فهم يونس ان ينزل فيها فبادر ابنه الكبير النزول الى السفينة فاخذته موجة فقال ابنه الصغير يا ابت ادرك اخي فاراد ان يدركه فنادته الموجة ارجع يا يونس فليس لك من الامر شئ فبينما هو في امر ولده الكبير اذ نزل من الجبل ذئب فاحتمل ولده الصغير فنادى يونس أيها الذئب لا تفجعني فيه فقال له الذئب يا يونس ليس لك من الامر شئ (قال كعب الاحبار) وكان على وسط يونس

خرجات فيها دواهم فتبددت كلها فعلم يونس انه اخذ بذنبه فعند ذلك جاس يونس وحيدا على الشاطئ فرت به سفينة فاشار اليهم فعرفوه وحملته وهو مهموم مغموم فالقى الله عليه النوم فنام وسارت السفينة الى وسط الماء فتموجت وحاست فاعيا الملاحون امرها فقالوا للركاب هل فيكم رجل مذنب فقال لهم يونس انا المذنب فظنوا انه قال ذلك من همه فقرعوا بينهم القرعة فخرجت على يونس فاعادوها ثلاث مرات وهي تقع على يونس وهو يقول الم اقل لكم اني مذنب *(ذكر قصة كيفية القرعة وسببها)* كانوا يكتبون اسماء كل من كان في السفينة في ورق ويلقونها في ماء فكل من غاصت ورقته في الماء فهو المطلوب والسبب ان السفينة لا تسير فيعلم ان في ركابها رجلا مذنبا فيرمونه في الماء فتخلص السفينة باذن الله فلما وقعت القرعة على يونس قام على قدميه ولف جسده في عباءة وشد وسطه وتقدم الى جانب السفينة وهم ان يلقي نفسه فرأى الامواج تضطرب فتحول الى الجانب الآخر فرأى ايضا الامواج تضطرب فتحير يونس في أمره فاوحى الله تعالى الى الملك الموكل بالحيتان بأن ادفع الحوت الفلاني فاني جعلت جوفه سجنا ليونس بن متى فاحضر الملك ذلك الحوت وقال له سر الى يونس فادركه قبل ان يصل الى الماء فلا زال ذلك الحوت يخرق البحار الى ان وصل الى السفينة فرمى يونس نفسه فالتقمه ذلك الحوت (قال كعب الاحبار) كان يونس في آخر السفينة فلما هم يونس ان يرمي نفسه هم الحوت ان يلتقمه ففزع يونس فناداه الحوت ما هذا الفزع يا يونس وانت المطلوب من بين القوم فلما سمع يونس كلام الحوت رمى نفسه في فم الحوت فلما صار في جوفه قال يونس آه واغمي عليه فأوحى الله الى الحوت اني لم اجعل يونس لك رزقا ولا طعاما وانما جعلتك له حرزا فلا تخدش له لحما ولا تمزق له جلدا ثم ابتلع الحوت الذي التقم يونس حوت آخر اعظم منه في الخلقة ثم ان يونس قام في بطن الحوت على قدميه وقال الهي لاسجدن لك في مثله ملك مقرب ولا نبي مرسل فصار يونس يسجد على كبد الحوت (قال كعب الاحبار) ان جلد الحوت رق ليونس حتى كان ينظر منه ما في البحار من العجائب من حيوانات البحر وعظم اسماكه وغير ذلك فطاف به الحوت في البحار السبع ورأى غرائبها وما فيها من الملائكة الموكلين في البحر وكان يونس يسبح في بطن الحوت فلما سمعته الملائكة يسبح في بطن الحوت قالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا لم نسمعه قبل ذلك فأوحى الله تعالى اليهم هذا صوت عبدي يونس عصاني فسجنته في بطن الحوت فلما سمعوا ذلك سجدوا لله اجمعون وهو قوله تعالى فلولا ان كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقوله تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين

(قال ابن عباس رضي الله عنهما) في تفسير قوله تعالى فنادى في الظلمات هي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وكان اسم ذلك الحوت النون فسمي يونس ذا النون *(قال كعب الاحبار)* امر الله تعالى الحوت ان يقذف يونس من بطنه في تلك الساعة فقذفه من بطنه في الحال في المكان الذي اخذه منه فلما دنا الحوت ليقذف يونس من بطنه اتاه جبرائيل عليه السلام ودنا من فم الحوت وقال السلام عليك يا يونس رب العزة يقرئك السلام فقال يونس مرحبا بصوت كنت اخشى ان لا اسمعه ابدا فقال جبرائيل للحوت اقذف يونس من بطنك باذن الله فقذفه من بطنه فجعل يبكي لفقده ويقول لا اوحش الله منك يا يونس ومن تسبيحك فخرج من بطنه مثل الفرخ الذي لا ريش له ووقع شعره وذاب جسده ولان عظمه من حرارة بطن الحوت *(قال الشعبي) ومجاهد مكث يونس في بطن الحوت اربعين يوما وفي رواية مكث ثلاثة ايام وذلك قوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين *(قال كعب الاحبار)* لما خرج يونس من بطن الحوت خرج عريانا فانبت الله عليه شجرة من يقطين كالقبة لها اربعة ابواب تخرج منها الرياح *(قال)* ابن عباس هي شجرة اليقطين يعني القرع *(قال كعب الاحبار)* ان تلك الشجرة حملت في ذلك اليوم اثنين وثلاثين صنفا من الفواكه لا يشبه بعضها بعضا وانبع الله في اصلها عينا احلى من العسل وابرد من الثلج وارسل الله اليه غزالة تدر من ثديها لبنا يتغذى به (قال السدي ان الغزالة التي تغذى يونس عليه السلام منها جعل الله قرونها واظفارها بلون الذهب (قال) الثعلبي ان ببلاد الحبشة من اعالي الصعيد دابة تشبه الغزلان ولها قرون كلون الذهب وكذلك اظفارها وهي قليلة البقاء اذا صيدت لا تعيش اكثر من ثلاثة ايام فذكر انها من نسل الغزالة التي تغذى بلبنها يونس عليه السلام (قال كعب الاحبار) فالقى الله على يونس النوم فنام تحت تلك الشجرة فلما انتبه من نومه فلم يجد الشجرة ولا العين ولا الغزالة وكان يستأنس بهن فحزن على ذلك فاوحى الله اليه ان لا تحزن يا يونس امض الى اهل نينوى فانهم قد آمنوا بي فاقم عندهم ومرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر فسار يونس اليهم فبينما هو سائر اذ مر براع ومعه اغنام فقال له هل من شربة لبن فقال له الراعي اشرفا حتلب له اللبن واسقاه ثم جلس عنده ساعة يحدثه فقال له يونس من اين انت يا راعي فقال من نينوى فقال كيف حال القوم قال الراعي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقال يونس اتحب ان يكون لك عندهم منزلة قال نعم فقال امض اليهم وبشرهم بان نبيهم يونس بن متى باق على قيد الحياة فقال له الراعي يكذبوني فقال له يونس خذ معك هذه الشاة فانها تشهد لي باني يونس بن متى فلما علم

الراعى صدق مقالة توجه الى اهل نينوى واخذ الشاة معه فلما دخل على الملك قال له البشارة قال وما بشارتك قال له ان يونس قد ظهر وهو فى مكان كذا وكذا فاجتمع عليه القوم وكذبوه فقال لهم ان معى من يشهد لى قالوا وما شاهدك قال هذه الشاة واحضرها بين يدى الملك وقال لها ايتها الشاة بماذا تشهدين فانطقها الله تعالى ان يونس حى وانه احتلب منى اللبن وشربه فلما سمع القوم ذلك صدقوا الراعى وخرجوا وصحبتهم الملك الى ذلك المكان فوجدوا يونس قائما يصلى فجعل القوم يأخذون التراب من تحت اقدامه ويجعلونه فوق رؤسهم للتبرك ثم ان يونس سار معهم ودخل المدينة وجدد اسلامهم وآمنوا برسالته واقام بينهم يبين لهم الحلال والحرام فبينما هو جالس بينهم اذا اتاه رجل صياد وقال له يانبى الله انى طرحت شبكتى يوما فطلع لى صبى من احسن الناس وجها فقال له يونس هذا ولدى ورب ابراهيم فاحضره اليه ثم اتى اليه رجل آخر وقال له يانبى الله انى كنت فى الفلوات اذ رأيت ذئبا على ظهره مولود وهو من احسن الناس وجها فقال يونس هذا ولدى ورب ابراهيم ثم اتاه رجل آخر وقال له انى رجل تاجر خرجت فى طلب سفينة الى شاطئ الدجلة فرأيت امرأة على البر عريانة وقد غرقت فى الدجلة فمضيت بها الى منزلى واحسنت اليها والبستها ثيابا فقال يونس هذه زوجتى ورب ابراهيم قال فجمع الله شمله بولديه وبزوجته على احسن وجه فاقام يونس بنينوى مدة طويلة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم بعد ذلك توجه الى الكوفة فمات بها ودفن هنالك على ماقيل وقيل دفن بالقرب من مدينة صيدا من اعمال الشام على شاطئ البحر الملح وبنى عليه مسجد يزار ويتبرك به وهو باق الى الآن وهو المشهور والله اعلم انتهى على سبيل الاختصار *(ذكر قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام)* قال الله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا قال وهب بن منبه هو زكريا بن ادن من اولاد سليمان بن داود عليهما السلام (قال الطبرى) هو زكريا بن يوحنا وكان نبيا صلبا فى الدين فلما مر عليه مائة وعشرون سنة من العمر ولم يرزق ولدا ذكرا *قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا *(قال السدى)* هو اول من تسمى يحيى قبل الخلائق فلما سمع زكريا ماقالته الملائكة فقال لهم وما علامة ذلك فاتاه جبرائيل عليه السلام وقال له يازكريا الا تكلم احدا من الناس ثلاث ليال سويا فقال زكريا ياجبرائيل انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا اى كيف يجيء لنا ولد ونحن على هذه الشيخوخة قال له جبرائيل قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ *(قال السدى)* ان زوجة زكريا حاضت فى

يوما فلما واقعها زكريا حملت منه بيحيى فلما وضعته وكبر وانتشا اعتكف على عبادة الله
تعالى وصار باكيا حزينا ليلا ونهارا لا يأكل ولا يشرب ولا يمل من البكاء (فقال) زكريا
يارب انى طلبت منك ولدا انتفع به وهذا مشتغل بالبكاء دائما فاوحى الله اليه يا زكريا
انت قلت فهب لي من لدنك وليا والولى لا يكون الا على هذه الصفة وكان يحيى عليه
السلام ابن المجانب رضى الخالق كما قال الله تعالى واجعله رب رضيا (قال السدى) ان
يحيى كان فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل وكان ذلك الملك مغرما بحب النساء الحسان
وكان للملك زوجة قد طعنت فى السن وكان لها بنت من غير الملك جميلة فاراد ان يتزوج
بغيرها عندما كبر سنها فعمدت الى تلك البنت وزينتها باحسن زينة واحضرتها بين
يدى الملك وقالت له تزوج بها فقال لها حتى نسأل يحيى بن زكريا هل يجوز ذلك ام لا
فاحضر يحيى وسأله عن ذلك فقال له لا تحل لك ولا يجوز وانها محرمة عليك فغضب منه
الملك فقالت له زوجته ان لم تقتل يحيى والا ما بقيت اقيم عندك فامر الملك بقتل يحيى
فقالت علماء بنى اسرائيل للملك ان وقع من دم يحيى قطرة على الارض لم ينبت فيها الزرع
ابدا (قال القزويني) ولما سمع الملك ما قالته العلماء احضر طستا من نحاس وامر بذبح
يحيى فى ذلك الطست النحاس وان لا ينزل من دمه شئ على الارض فلما ذبحه طلب اباه
زكريا ليذبحه ايضا فهرب منه فلم ير فى وجهه الا شجرة قال لها ايتها الشجرة اجيرى نبى الله
زكريا من القتل فانشقت الشجرة نصفين فدخل زكريا فى جوفها وانطبقت عليه
كما كانت فلما تتبعوه ولم يجدوه جاء اليهم ابليس اللعين فى صفة شيخ زاهد وقال لهم ان
زكريا قد دخل فى جوف هذه الشجرة فاحضر الملك منشارا ونشر به تلك الشجرة (قال
السدى) لما بلغ المنشار رأس زكريا صاح آه فنزل اليه جبرائيل وقال له يا زكريا
ان الله تعالى يقول لك ان قلت بعد ذلك آه مرة اخرى لامحونك من ديوان الانبياء
فسكت زكريا وصبر على البلاء حتى نشروه نصفين وهو لا يتكلم فاعلم ان الانبياء اشد
بلاء من جميع الناس * (قال الثعلبى) * مات زكريا وله من العمر نحو ثلاثمائة سنة
وقيل دون ذلك والله اعلم * (قال السدى) * ان الشجرة التى نشر فيها زكريا كانت
بنابلس ودفن هناك ثم نقل من بعد ذلك الى حلب وقبره مشهور بها الآن (قال السدى)
ان يحيى بن زكريا ذبح بفلسطين ودفنت جثته بها ورأسه حمل الى الشام ودفن بها
وذراعه دفن فى بيروت ورجله فى صيدا صلوات الله عليهما (قال الثعلبى) مات يحيى بن
زكريا وله من العمر خمسة وتسعون سنة (قال قتادة) لما دخل بخت نصر البابلى الى
بيت المقدس رأى دم يحيى يفور ويغلى على الارض كغليان القدر وشرع بقتل بنى
اسرائيل حتى بلغ ما قتله منهم سبعون الف انسان فعند ذلك سكن الدم قليلا (قال زيد

ابن واقد) لما عمر الوليد بن عبد الملك بن مروان مسجده الذى انشأه بدمشق وكانى على
البنائين فبينما انا واقف عليهم اذ لاحت لنا مغارة بابها مسدود بالحجارة فعرفنا الوليد
بذلك فلما دخل الليل اتى الوليد الى المسجد وبين يديه الشموع فوقف على تلك المغارة
وامر بفتحها ففتحت بحضرته فرأى بها مكانا مربعا نحو ثلاثة اذرع فى مثلها ووجد بها
صندوقا مقفولا بقفل من حديد ففتحه فرأى رأس انسان وعليها شعر وهى على هيئتها
لم يتغير منها شئ من محاسن وجهها وفى ذلك الصندوق لوح من رخام ابيض مكتوب فيه
هذه رأس يحيى بن زكريا فلما راى الوليد ذلك قبل الراس وامر بردها الى الصندوق
تحت العمود الذى فى شرقى الجامع المعروف بعمود السكاسك وهو فى الصف الثانى
بالقرب من المقصورة التى بها محراب المسجد وقبره مشهور يزار ويتبارك به عليه السلام
انتهى ما اوردناه من قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام *(ذكر قصة
عيسى ابن مريم وقصة امه عليهما السلام)* قال الله تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم ان
الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين الآية (قال وهب بن منبه) كانت
حنة ام مريم اخت زوجة زكريا وكان ابو مريم رجل من بنى اسرائيل يقال له عمران
وكان امام المسجد الاقصى فلما حملت حنة املت ان يكون ما فى بطنها ولدا ذكرا فقالت
ان ولدت ذكرا اجعله خادما للمتعبدين بمسجد الاقصى يستقى لهم الماء عند الافطار
ويحمل الزاد على رأسه ولهذا قالت رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فلما اخبرت زوجها
بما نذرت قال لها لقد اخطأت فيما نذرت فربما تلدين انثى فكيف تخدم الرجال فى
المسجد فلما وضعتها وجدتها انثى وهو قوله تعالى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها
انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم الآية فضاق صدرها
من ذلك النذر حيث كانت انثى ثم ان حنة سمتها مريم ومعنى ذلك لا عيب فيها ثم ان
عمران ابا مريم مات وهى صغيرة مرضع ثم ان حنة اقامت بعد زوجها عمران مدة يسيرة
وماتت فلما ماتت حنة اخذ مريم زكريا زوج خالتها ام يحيى وكفلها من بعد امها كما
اخبر الله تعالى حيث قال وكفلها زكريا (قال السدى) كان زكريا رجلا فقيرا ضيق
المعيشة فلما كفل مريم صار اذا دخل عليها يجد عندها فاكهة الشتاء فى أوان
الصيف وفاكهة الصيف فى أوان الشتاء وهو قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب
وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب (قال وهب بن منبه) كانت مريم قد خالفت عادة النساء لان النساء لا يرجعن
الى الطاعة والعبادة الا بعد مضى الشباب ومريم تعبدت وهى طفلة صغيرة واخذت
عادة العجائز فى العبادة والاعتكاف عن الناس فكان زكريا يتعجب من حال مريم

فى العبادة فلما بلغت مبلغ النساء اتاها الحيض فلما طهرت ارادت الاغتسال فخرجت
الى عين ماء هناك فجاءاليها جبرائيل عليه السلام فى صورة شاب من بنى اسرائيل يسمى
تقيا وكان مشهورا فى زمانه بالشقاوة من الفساد والزنا قال تعالى فارسلنا اليها
روحنا اى جبريل فتمثل لها بشرا سويا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقال لها
جبريل عليه السلام انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم
يمسسنى بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا
وكان امرا مقضيا فمد جبرائيل يده واخذ بزيق قميصها ونفخ فيه فلما بلغت النفخة الى
صدرها خلق الله تعالى من تلك النفخة عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى والتى
احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين (قال العلماء) ان الله
تعالى خلق آدم من غير اب وام وخلق حواء من اب من غير ام وخلق سائر المخلوقات من اب
وام فاراد الله تعالى ان يكمل الدور رابعة فخلق عيسى من ام من غير اب فكمل ببديع
حكمته الدور وقد قال الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون (قال وهب بن منبه) لما حملت مريم بعيسى كان مدة حملها ساعة واحدة
لقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت
ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا (وقال ابن عباس رضى الله عنهما) كان مدة
حملها ثمانية اشهر وقد جرت العادة ان من ولد لثمانية اشهر لا يعيش * (قال مجاهد) *
بل كان حملها تسعة اشهر كعادة النساء (قال السدى) وكان وضعه ببيت لحم بالقرب من
بيت المقدس وولدته ليلة الاثنين فى التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط
المعروف بليلة الميلاد عيد النصارى وفيها يشتد البرد فلما قالت مريم ياليتنى مت قبل
هذا ناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة
تساقط عليك رطبا جنيا (قال وهب بن منبه) ان النخلة التى امرت مريم بهزها كان لها
نحو سبعين سنة يابسة لم تثمر فلما وضعت سيدنا عيسى عليه السلام اورقت فى الحال
واثمرت وصار البلح رطبا جنيا من وقته معجزة له وكرامة لها وامرها بالهز تعاطيا للاسباب
فتساقط عليها الرطب كما اخبر الله تعالى وقيل فى المعنى

الم تران الله قال لمريم * فهزى اليك الجذع تساقط الرطب
ولوشاء اجنى الجذع من غير هزه * ولكن كل شئ له سبب

(قال السدى) لما أتت مريم بعيسى تحمله الى قومها قالوا يامريم قد جئت شيأ فريا
يااخت هرون ما كان أبوك امرء سوء وما كانت امك بغيا (قال وهب بن منبه) ليس المراد
بأخت هارون انها كانت اخت هارون بن عمران اخى موسى عليه السلام من النسب

ولكن

ولكن كانت اخته في العبادة لان هارون كان مشهورا بالعبادة وهي ايضا مشهورة بالعبادة فلما سمعت كلام قومها من المعاتبة اشارت اليه اى بان كلموه فقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فانطقه الله تعالى لهم وقال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا فاول كلمة قالها عيسى انى عبد الله لان الله تعالى اعلمه انهم سيقولون عنه بانه ابن الله فكان ذلك تكذيبا لهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يتكلم في المهد غير اربعة وهم شاهد يوسف بقد القميص والثانى صاحب الاخدود والثالث الذى شهد لجريج الراهب بانه ابن الراعى والرابع سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام قيل ان جماعة من النصارى سألوا عليا رضي الله عنه ان من كرامات عيسى انه نطق في المهد فهل نطق نبيكم وهو في المهد فقال على رضي الله عنه ان عيسى كان محتاجا الى النطق لانه ولد من غير اب فخاف من التهمة فاحتاج الى النطق ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحتج اذ ذاك الى النطق (قال وهب بن منبه) لما كبر عيسى عليه السلام كان سواحا في الارض لا يتخذ دارا ولا مسكنا ولا زوجة ولا دابة وكان يلبس جبة صوف على لحمه ويلبس على راسه قلنسوة من لباد وكان لا يأكل الا من غزل امه وكانت تغزل الصوف (قال السدى) أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى ان لم يكن لك زوجة فازوجك في الآخرة الف حورية من الحين ولاطعمن في عرسك الف عام وينادى مناد احضروا وليمة عيسى الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة (قال الواقدى) لما ساح عيسى عليه السلام في الارض أتى الى الربوة التى يعبرون من اراضى الشام فاقام بقرية هناك يقال لها الناصرة واليها تنسب النصارى فاوى اليها هو وامه قال الله تعالى وآوينا الى ربوة ذات قرار ومعين والصحيح ان الربوة في دمشق الشام ومحلها مشهور معلوم بها الى الآن وتحتها الانهار والاشجار وهى ذات القرار والمعين (قال الواقدى) لما أراد الملك هردوس ملك اليهود ان يقتل عيسى عند ظهور معجزاته وآمن غالب الناس به اخذته امه مريم وخرجت به من بيت المقدس وكان معها يوسف النجار وهو رجل من عباد بنى اسرائيل فدخلوا الى مصر ومروا بمدينة عين شمس التى بالمطرية فوجدوا هناك بئرا وكانت أثواب عيسى قد اتسخت من السفر فنزلوا بجانب تلك البئر وغسلت مريم اثواب عيسى وغسلته واغتسلت ورشت الماء حول ذلك البئر فانبت الله هناك البلسان ويعرف بالبلسم وهو لا يوجد بأرض مصر الا في هذا المكان فقط وهذا سبب تعظيم النصارى البلسان وتغاليهم فيه خصوصا الافرنج ويقولون انه لا يصح التنصر عندهم الا اذا كان في ماء المعمودية دهن البلسان وينغمسون فيه وكان البلسم من محاسن مصر وقد انقطع منها في أواخر القرن التاسع

وتبيّن بعد ذلك (وقال الواقدى) لما دخلت مريم مصر انقطع عنها اللبن لان عيسى كان رضيعا فالهمها الله ان تغلى النبيذ وتطعمه العيسى ففعلت فكانت تغنيه عن اللبن (قال) فلما كبر عيسى وساح فى اراضى مصر حتى دخل الى الاشمون وكان بها فرس من نحاس اذا دخلها غريب يصهل ذلك الفرس النحاس حتى يسمعه كل من فى المدينة فيعلموا انه دخل غريب فلما وصل عيسى عليه السلام سقط ذلك الفرس وتكسر فلما دخل عيسى المدينة رأى جمالا محملة غلالا تزاحموه فى الطريق فصرخ عليهم فصاروا حجارة سودا ثم انه مر بسفح الجبل المقطم هو وامه فالتفت اليها وقال يا اماه هذه البقعة تصير مقبرة لامة محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وهو غراس الجنة (قال وهب بن منبه) ثم ان عيسى خرج من مصر وتوجه الى البلاد الشامية وقد اشتهر امره بانه يحيى الموتى باذن الله تعالى ويبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى فاجتمعت اليه اليهود وقالوا له يا عيسى لن نؤمن لك حتى تحيى لنا العزير فقال لهم عيسى واين مكان قبره فاتوا به الى قبره فصلى هناك ركعتين ودعا الى الله تعالى بان يحيى له العزير فجعل القبر ينفرج عنه قليلا قليلا حتى ظهر منه العزير عليه السلام وقد ابيض شعر رأسه ولحيته فقال لعيسى هذا فعلك يا ابن مريم فقال بل بطلب قومك لانهم قالوا لن نؤمن لك حتى تحيى لنا العزير فعند ذلك جلس العزير بين قومه وقال لهم يا معشر بنى اسرائيل آمنوا برسالة عيسى ابن مريم واتبعوا ملته فانه على الحق من ربه فقال بنو اسرائيل انا كنا نعهدك حين مت شابا وانت اسود شعر الرأس واللحية وقد ابيضا فقال لهم لما سمعت هذه الصيحة وقال لى قم باذن الله تعالى ظننت انها صيحة القيامة فابيض نصف رأسى ولحيتى من هول ذلك اليوم واتانى ملك وقال لى هذه دعوة عيسى ابن مريم فلما احيى الله العزير وظهر لبنى اسرائيل معجزة عيسى عليه السلام فآمن منهم فى ذلك اليوم جماعة كثيرة ثم دعا الله تعالى عيسى ان يعيد العزير لما كان عليه ميتا فعاد كما كان

(ذكر نزول المائدة لعيسى عليه السلام) قال سلمان الفارسى رضى الله عنه ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فقال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا لابد لنا من ذلك فخرج عيسى الى الصحراء ولبس المسوح وطأطأ رأسه خاشعا لله تعالى يبكى ويتضرع وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين فاوحى الله اليه انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه الآية (قال الترمذى) فانزل الله عليهم سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون اليها فلما نظرها عيسى قال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها نقمة فلا

زالت تنزل قليلا قليلا حتى هبطت بين يدي عيسى عليه السلام وكان عليها منديل مغطى به السفرة فعند ذلك خر عيسى ساجدا لله تعالى ومعه الحواريون ثم قالوا لعيسى قم واكشف عن هذه السفرة حتى ننظر ما فيها فقام عيسى وكشف عنها فاذا فيها سمكة مشوية وعند رأسها شيء من الخل والملح وعند ذنبها خمسة ارغفة كبار كل رغيف عليه شيء من الزيتون والتمر وحول ذلك من سائر البقول وكان الحواريون الذين سألوا عيسى اثني عشر انسانا فقال شمعون وهو اكبر الحواريين يا عيسى ان هذه السمكة من طعام الدنيا ام من طعام الجنة فقال عيسى ما اخوفني عليكم من عذاب الله تعالى كما اخبر الله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ثم قال عيسى للسمكة ايتها السمكة قومي باذن الله تعالى فاحياها الله تعالى فجعلت تضطرب وتنظر بعينها الى بني اسرائيل فخافوا منها فقال لهم عيسى مالي اراكم تسألون الشيء فاذا حصل لكم كرهتموه ثم قال عيسى للسمكة عودي كما كنت مشوية فعادت باذن الله تعالى فقال الحواريون يا روح الله انت اول من يأكل من هذه السمكة فقال لهم معاذ الله انما يأكل منها من سأل منها وأبى الحواريون ان يأكلوا منها خشية ان تكون فتنة فعند ذلك نادى عيسى عليه السلام للفقراء والمساكين واصحاب العاهات من المجذومين والبرص والعميان والمقعدين بان يأكلوا منها فاكلوا حتى اكتفوا عن آخرهم وكانوا نحو الف وثلاثمائة انسان فبرئ منها اصحاب العاهات جميعهم باذن الله تعالى وقال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى * وينطق من ذكرى مذاقتها البكم
ولو جليت يوما على اكمه غدا * بصيرا ومن راووقها يسمع الصم

قال فلما سمع الناس بذلك ازدحموا على الاكل منها وجاؤا اليها من سائر الاقطار فلما رأى عيسى ازدحام الناس عليها جعلها قسما بينهم فللفقراء يوم وللاغنياء يوم فكانت هذه المائدة تنزل كل يوم مرة كما كانت ناقة صالح تختفي يوما وتظهر يوما فاستمرت على ذلك اربعين يوما (قال مجاهد) انها كانت تنزل في وقت الضحى فتنزل قليلا قليلا ثم ترتفع قليلا قليلا والناس ينظرون اليها وهي بين الغمام حتى تتوارى (قال الواقدي) ان المائدة كانت تنزل بكنيسة صهيون (قال وهب بن منبه) ان جماعة من بني اسرائيل شكوا في امر المائدة وقالوا انها ليست من عند الله فلما ظنوا ظن السوء مسخ منهم جماعة قردة فكان عدة من مسخ ثلاثين انسانا فجاؤا الى عيسى وهم يبكون بين يديه فقال لهم الست انت فلانا وانت فلانا فاومؤا برؤسهم اي بلى فاقاموا على ذلك سبعة ايام انتهى (حديث المائدة)* قال السدي فرق بعضهم بين المائدة والسفرة فقال ان المائدة ما امتد

وانحوهما مثل المنديل والثوب وما اشبه ذلك وأما السفرة فهي التي تكون مضمومة بخلاف وحلق لانها اذا كانت مضمومة وفتحت سفر مافيها اي بان فلذلك سميت سفرة والسماط من الموائد وأما المائدة فمن عرف العجم وأما السفرة فمن عرف العرب وتسمى المائدة خوانا ايضا *(قال كعب الاحبار)* لما ظهرت ملة عيسى عليه السلام وانتشرت في الآفاق رغب اكثر الناس الدخول في ملته فانحطت ملة اليهود وضعفت في ايام عيسى واقبل الناس على عيسى وانزل الله عليه الانجيل وكان يحيي الموتى باذن الله فلما رأى الملك هردوس المعجزات الباهرة عول على قتل المسيح عيسى عليه السلام بموافقة جماعة من احبار اليهود فهجموا على عيسى وهو عند أمه مريم فدخل عليه منهم واحد البيت فرفع الله تعالى سيدنا عيسى من سقف البيت فلما استبطأ القوم صاحبهم دخلوا عليه فشبه لهم انه عيسى عليه السلام وكشفوا رأسه والبسوه تاجا من شعر واركبوه على جريدة خضراء وطافوا به في المدينة ثم نصبوا له خشبتين مثل صاري المركب واوثقوا الحبال في يديه ورجليه وصارت اليهود حوله ثم قدموه الى تلك الخشبتين وصلبوه عليهما وصلبوا معه اثنين من اللصوص وهو مصداق قول الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقوله وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه قال العزيزي ان الرجل الذي اشتبه عليهم بعيسى اسمه اشيوع وكان من احبار اليهود وقال وهب بن منبه لما صلب شبيه عيسى عليه السلام كان ذلك يوم الجمعة في الساعة الثالثة من النهار وكان رفعه في خامس عشر نيسان من شهور الروم الموافق لتاسع وعشرين برمهات من شهور القبط قال الثعلبي كان عمر عيسى عليه السلام لما ان رفع الى السماء نحوا من ثلاثة وثلاثين سنة على ما قيل (قال السدي) ان عيسى رفع من كنيسة السلق ببيت المقدس فلما رفع الى السماء كساه الله تعالى اوصاف الملائكة وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكا سماويا ارضيا وهو حي الى الآن وهذا مذهب اهل السنة (قال الثعلبي) ان مريم عليها السلام توفيت بعد رفع ولدها عليه السلام بست سنين وكانت مدة حياتها نحوا من ستين سنة ولما ماتت دفنت ببيت المقدس وقبرها يزار هنالك الى الآن صلوات الله عليهما وقد اجاد الشيخ عبد العزيز الديريني بهذه الابيات الرد على من يعتقد ان عيسى قتل او صلب وقيل ان الابيات لابن تيميه

عجبا للمسيح بين النصارى * حيث قالوا ان الاله ابوه
قالوا ابن الاله اله * ثم قالوا بجهلهم عبدوه
ثم جاؤا بشئ اعجب من ذا * حيث قالوا بانهم صلبوه
ليت شعري وليتني كنت ادري * ساعة الصلب اين كان ابوه

حين خلى ابنه رهين الاعادى * اتراهم ارضوه ام اغضبوه
عجبى للمسيح بين النصارى * والى اى والد نسبوه
اسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
واذا كان مايقولون حقا * وصحيحا فاين ما نسبوه
فلئن كان راضيا باذاهم * فاحمدوهم لانهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه * واعبدوهم لانهم غلبوه

وقال شمس الدين بن الصايغ الحنفى عروض ذلك واجاد حيث قال

اعباد المسيح لنا سؤال * نريد جوابه ممن وعاه
اذا مات الاله بفعل عبد * يهودى فما هذا الاله
وهل بقى الوجود بلا اله * سميع يستجيب لمن دعاه
ومن رزق البرية وهو ميت * ومن حفظ الوجود ومن حواه
وهل هو عاد لما شاء حيا * الها ام تولاه سواه *
وهل رضى المسيح الصلب عمدا * وسكنى القبر ام ارضى اباه
والا عنوة فالعبد اقوى * من المعبود يفعل ما يراه
فمن يفهم ما قلنا جوابا * يجيب او يتب مما افتراه

قال ابن رزق ان الملكة هيلانة ام الملك قسطنطين الاكبر هى التى بنت كنيسة القمامة ببيت المقدس ولما توجهت الى هناك وجدت تلك الخشبتين التى صلب عليهما المسيح بزعمهم وخشبة ثالثة فالجملة ثلاثة اخشاب فزعمت النصارى ان ثلاثة من الاموات القوا على تلك الاخشاب فعادوا احياء فى الحال فلما رات الملكة هيلانة ذلك صنعت لتلك الاخشاب غلفا من الذهب فاتخذوا من ذلك اليوم لها عيدا وسموه عيد الصليب وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثمائة وثمانية وعشرين سنة وهذا غاية اعتقاد النصارى فى امر الصليب وكان عيسى نبيا مرسلا وهو من اولى العزم من الرسل الخمسة وقد قال الله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوارة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد الآية (قال مقاتل) كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قريب من ستمائة سنة (وقال الكلبى) كان بينهما خمسمائة واربعون سنة وهى زمن الفترة فى غير العرب لان الله تعالى لم يرسل لاهل تلك الجهة نبيا بعد عيسى ابن مريم وشريعة الانبياء قبل نبينا كانت تنقطع بموته حتى يرسل غيره اما بشرع او يوحى اليه بتقرير شريعة من قبله من الانبياء الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان شريعته لم تنسخ بل هى باقية الى قرب قيام الساعة اه ذكر نزول عيسى عليه السلام الى

لارض قال أوس الثقفي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينزل عيسى ابن
مريم عند قيام الساعة ويكون نزوله على المنارة البيضاء التي بشرقي جامع دمشق وصفته
مربوع القامة اسود الشعر ابيض اللون فاذا نزل يدخل الى المسجد ويقعد على المنبر
فتسامع الناس به فيدخل عليه المسلمون والنصارى واليهود فيزدحمون هنالك حتى
يطأ الناس بعضهم بعضا فيأتي مؤذن المسلمين فيقيم الصلاة وهي صلاة الفجر فيصلي عيسى
مأموما مقتديا بالمهدي *(ومن النكت اللطيفة)* ما أورده الشيخ أبو الفرج ابن
الجوزي في بعض مصنفاته ان الشيخ ابا القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه كان مقيما
فيما وراء النهر وكان شابا عاقلا علامة عصره في علم الشريعة والحقيقة فصنف الف كتاب
في علوم شتى وكان له تلميذ لا يفارقه ساعة واحدة فلما كان في بعض الايام أخرج الشيخ
أبو القاسم ما كان صنفه من الكتب المقدم ذكرها ووضعها في صندوق من الخشب
ووضع مع تلك الكتب مصحفا شريفا وأغلق ذلك الصندوق بقفل وقال لتلميذه خذ هذا
الصندوق واذهب به الى نهر جيحون وارمه فيه فحمل المريد ذلك الصندوق وخرج
به من عند الشيخ فقال في نفسه وكيف ارمي الف كتاب من مصنفات الشيخ وقد تعب في
جمعها وافنى عمره فيها فرجع بالصندوق الى داره وجاء الى الشيخ فقال الشيخ ارميت
الصندوق في النهر قال نعم قال الشيخ فما رأيت عند رميه قال ما رأيت شيأ فقال اذهب
فارمه ولا تخالف فذهب المريد فالقى الصندوق في النهر فلما القاه خرجت يد من الماء
وتلقت ذلك الصندوق واخذته فقال المريد من انت ايها الشخص فقال عبد ربي
مأمور بحفظ هذا الصندوق فرجع المريد الى الشيخ وقال اني قد رميته فخرجت يد فتلقته
فقال الشيخ الآن قد القيته ثم ان المريد صار في قلق على الصندوق ولم يقدر على أن
يسأل الشيخ عن حقيقة الصندوق والقائه في النهر ومن تناوله فعلم الشيخ مراد تلميذه
فقال له يوما من الايام يا فلان اتريد ان تعلم حقيقة حال الصندوق فقال التلميذ بلى
يا سيدي فقال الشيخ انه اذا خرج الدجال لا يبقى على وجه الارض كتاب فينزل عيسى
عليه السلام ويقتل الدجال ويكون على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويأمره الله
تعالى ان يحكم على شريعته فيطلب مصحفا وكتابا فلم يجد فعند ذلك ينزل جبرائيل عليه
السلام ويقول لعيسى عليه السلام ان الله يأمرك ان تتوجه الى نهر جيحون وتصلي
ركعتين وتنادي وتقول يا امين الله على بكتب ابي القاسم القشيري سلم الى الصندوق
فان الله تعالى امرني ان احكم بين الناس بالشريعة المحمدية فيذهب عيسى ويفعل
ما امره به جبرائيل فينشق النهر بقدرة الله تعالى ويخرج منه الصندوق فيأخذه عيسى
عليه السلام فيجد في الصندوق المصحف والكتب فيقرأها ويحكم بين الناس بمقتضاها

نقل ذلك ابن الجوزى قال ولما يظهر الدجال يخرج من بلاد اصفهان طوله عشرة اذرع واحدى عينيه ممسوحة من اصل الخلقة كأنه نزل بعين واحدة نرجوه سبحانه وتعالى ان يعمى له الاخرى مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل قارئ من قرب ومن بعد ومكتوب تحت ذلك سعيد من خالفه وشقى من اطاعه ويظهر للناس ان له جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فيطوف البلاد ويقتل العباد ويقول انا ربكم الاعلى فيجتمع اليه الجم الغفير من الناس من جميع الطوائف فيجتمع عنده من العساكر نحو الف الف وستين الفا فيزحف بهم من اصفهان الى دمشق فى اربعين يوما ثم يدخل بيت المقدس ويكثر فيه من القتل والسبى * فيظهر فى ذلك الوقت شخص يقال له المهدى وصفته على خده الايمن شامة وبين كتفيه شامة فيجتمع عليه الناس فيسير بهم الى محاربة الدجال فيدخل الى دمشق الشام ثم ينزل بعد ذلك عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء المشهورة الآن بمنارة عيسى عليه السلام فيلتقى مع المهدى بجامع بنى امية فى دمشق الشام فيصلى هنالك المهدى اماما وعيسى مأموم به ثم يخرجا اليهما الدجال بمن معه من العساكر فيلتقى معهما على مدينة لد فيحاربه عيسى عليه السلام فينكسر الدجال ويقتله عيسى بحربته التى تكون بيده ثم ان عيسى بعد قتل الدجال يهد الارض شرقا وغربا ولا يدع على وجه الارض [illegible]ودياولا نصرانيا ويصير الدين كله واحدا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويعدل [illegible] الناس برا وبحرا فعند ذلك يوحى الله الى الارض بأن تخرج بركتها الى [illegible] فى الاول حتى قيل ان عشرة من الناس يجتمعون على عنقود من العنب وعلى [illegible] فيأكلون منها ويبقى من المأكول اكثر مما اكلوا منه وعلى هذا فقس فى جميع الاشياء التى تؤكل ويكثر العدل حتى ان الحية تكون بيد الطفل فلا تؤذيه وهو يلعب بها وهى لا تضره ويكون الاسد مع الشاة فلا يفترسها ويكون الذئب مع الغنم فلا يؤذيها وهو الى جانبها حتى ان الحى يمر على الميت فيقول له ليتك لو كنت حيا ورأيت هذه الايام فيستمر الحال على ذلك اربعين سنة ثم ان عيسى يتزوج بامرأة من اهل عسقلان ويولد له ولدان منها ثم ان عيسى عليه السلام يحج الى بيت الله الحرام ويزور قبر محمد صلى الله عليه وسلم فيمرض هنالك فيموت ويدفن الى جانب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى فى بعض الاخبار ويرسل الله تعالى ريحا طيبة فتقبض روح كل مؤمن على وجه الارض ويبقى اشر الناس فتقوم عليهم الساعة ويصير الناس يتهارجون كما تتهارج الحمر فعند ذلك يفتح سد يأجوج ومأجوج ويخرجون الى الارض ويفسدون ما فيها من اشجار ونبات ويشربون الانهار والبحار ويصلون الى بحيرة طبرية ويشربون ماءها جميعا وقد تقدم الكلام على ذلك ولا يسلم من فتنة يأجوج ومأجوج

سوى اهل مكة والمدينة المشرفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك فلا يدخلها الدجال ولا يأجوج ومأجوج ولا الطاعون وقد قال ابن ابي حجلة مشيرا الى ذلك بقوله

مدينة شاعت احاديث فضلها * وسارت بها الركبان في كل بلدة
فما روع الدجال ساكن ارضها * ولا مات في الطاعون فيها وبكة

قال فلما تفسد الاحوال يخرج الله تعالى الى الناس دابة مما يلي المسعى عند الميلين الاخضرين يقال لها السحاب وهو قوله تعالى واذا وقع عليهم القول اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (قال وهب بن منبه) بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت فتضطرب الارض وتنشق مما يلي المسعى فتخرج من هنالك الدابة فأول ما يخرج منها رأسها وهي ذات ريش وزغب كريش الطير ولها جناحان ورأسها يلمس السحاب ورجلاها تحت تخوم الارض (وقال السدي) ان رأس الدابة كرأس الثور وعيناها كعيني الخنزير واذنها كاذن الفيل ولونها كلون النمر وصدرها كصدر الاسد وقرونها كقرون الايل وذنبها كذنب الكبش وقوائمها كقوائم البعير ووجهها كوجه الانسان فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ومعها عصا موسى وخاتم سليمان تختم وجوه الكفار بخاتم سليمان وتجلو وجه المؤمن بعصا موسى فيعرف الكافر من المؤمن بالرسم الذي في وجوههم وهو هذا مؤمن وهذا كافر ثم بعد ذلك (تطلع الشمس من مغربها) فمن شدة حرها يموت من بقي من الناس من انس وجان ويغلق باب التوبة عن الناس (قال ابوذر) ان عدد الانبياء مائة الف نبي واربعة وعشرون الف نبي فمنهم المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلا او اربعة عشر او خمسة عشر قال الثعلبي مجموع الكتب التي انزلت على المرسلين اربعة كتب التوراة والانجيل والزبور والفرقان واما الصحف المنزلة فهي مائة وعشرة صحف نزل منها على شيث بن آدم ستون صحيفة ونزل منها على ادريس ثلاثون صحيفة ومنها على ابراهيم عشرون صحيفة (قال وهب بن منبه) انزل الله التوراة على موسى عليه السلام في الواح من الزمرد الاخضر فكتبها موسى في اربعة وعشرين سفرا وهي الف سورة في كل سورة الف آية فمسكها بنو اسرائيل من بعد موسى برهة من الزمان ثم حرفوها وغيروها (قال ابن عباس رضي الله عنهما) لا يجوز للجنب ان يمس شيأ من الكتب المنزلة واما الانجيل فانه انزل على عيسى عليه السلام وان قومه بدلوه اكثر تبديل من التوراة فان علماء بني اسرائيل كانوا اربعة وهم مرقس ولوقا ومتى ويوحنا ولما مات عيسى عليه السلام كتب كل واحد منهم انجيلا واحاله الى نفسه وليس لهم في ذلك حجة فصار كل انجيل

مخالفا

هذا الفال الآخر امابزيادة اونقصان واظهار تصويرهم فى كنائسهم ليس لهم به حجة وكذلك تركهم الختان ونقلهم صيامهم الى زمن الربيع وزيادتهم الصوم الى خمسين يوما ليس لهم فى ذلك حجة واكلهم لحم الخنزير وترك تزويج الرهبان فليس لهم به حجة ومشوا على ذلك الى الآن سؤال لطيف وهوان الكتب المنزلة كلها ذهبت وحرفوها وغيروها فشى على ذلك التغيير علماؤهم ولم يشكوا فى ذلك والقرآن لم يتغير ولم يتبدل منه حرف واحد الجواب ان الله تعالى قال فى القرآن العظيم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فحفظه الله من التغيير والتبديل والعدم حتى قيل انه لا يحترق وان قال قائل اذا احرقته يحترق تقول نعم يحترق لان المعنى اذا كان فى الدنيا مصحف واحد فانه اذا احرق لم يحترق لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكانت الفترة التى بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قريبة من ستمائة سنة وقال الكاى خمسمائة واربعين سنة (وقال وهب بن منبه) ان آدم عاش من العمر الف سنة وقال الثعلبى من هبوط آدم الى الهجرة النبوية ستة آلاف سنة ومائة وثلاثون سنة (قال وهب بن منبه) كان بين موت آدم وطوفان نوح الفان ومائتان سنة وكان بين ابراهيم وموسى ستمائة سنة وكان بين موسى وداود خمسمائة واربعون سنة وكان بين داود وابنه سليمان وبين عيسى الف ومائة سنة وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ستمائة سنة والله اعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل اقول وبالله التوفيق قد طالعت هذا التاريخ من عدة تواريخ منها ما روى الثعلبى ونقله الكسائى والجبرى وابن الجوزى وابن سلام عبد الرحمن وابن كثير عماد الدين ووهب ابن منبه والسدى والواقدى وغير ذلك من الرواة والمؤرخين وما وافق مما وقع عليه اختيارى وذلك على سبيل الاختصار ليكون طالبه على اقتدار وانا اسأل الواقف عليه ان يصلح شيأ لا يوافق لديه والله الموفق للصواب

تم

انويدة برزت من الابكار * فغوزت لطيف الود بالافكار
امريح مسك فاح من عرف الشذا * مذ لاح روح المسك بالاسفار
امورق غنى على غصن بان * شخصت له الاطيار بالاسحار
ام عندليب صاح فى قرية * فتيقظ الدوام بالاقمار
امذى بدائع للزهور تضمنت * لوقائع الدهر القديم السار
قدحا كها ابن اياس ذاك محمد * نجل لاحمد ساطع الانوار
فصار سناها محجلا بدرا بدا * وقررت من التبيان خير قرار
فعن عجائب من مضى قد اسفرت * وتزينت بمحاسن الابكار
تحكى لاخبار مضت بلطائف * تشفى الصدور برائق الاخبار
تحكى تفاصيل القرون وما حووا * من كل مكنون من الآثار
فاذا اطلعت على بدايع نقلها * شاركت للماضين فى الاعصار
تعطيك اسرارا بايسر برهة * اعطاه شخص صادق الاخبار
ودت محاسن طبعها طرز الورى * فابدت بلطيف رقم بدايع الازهار

٢٤٥ ٨٧ ٣٤٠ ١٣٣ ٤٨٧

١٢٩٠

تم طبع هذا الكتاب بالسنة ... الملك الوهاب على ذمه الخواجه انزله كاستلي وذلك بمطبعة الكثوليرا الخواجه موسى كاستلي فى يوم الخميس المبارك سبعة خلت من شهر جمادى الاول سنة تسعين ومائتين بعد الالف من هجرة من خلقه الله على أحسن حال واكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وكل ناسج على منواله وكان تصحيحه على يد محمد جاهين بغاية الجهد والاجتهاد وجاء مسر القلب والفؤاد ومن اراد الاستحصال على نسخة منها فليبادر الى الدكان التى بالسكة الجديدة على يمين السالك بقرب سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه

